مركز حضرموت
للدراسات التاريخيه والتوثيق والنشر
HADHRAMAUT CENTRE
For Historical Studies
Documentation and Publicatin

حضرموت الثقافية

ذي الحجة ١٤٤٤هـ - Hadhramaout AL-Thaqafiah - June 2023
مجلة فصلية - السنة السابعة - العدد (28)



حوار مع
الروائي والمناضل القومي
الأستاذ صالح باعامر

طوابع حضرموت البريدية
تاريخ وهوية شعب ووطن

محاضرات إنجرامز
عن حضرموت

دولة ابن مقيص
في حضرموت

التناقل البحثي
في مجال الأبحاث



الشاعر/ سعيد محمد دحي

(1948– 2000م)

- ولد في مدينة المكلا، حضرموت عام 1948م.
- أكمل دراسته الثانوية في السودان عام 1968م.
- حصل على شهادة البكلاريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعة عدن عام 1974م.
- عمل بعد تخرجه مدرسًا بكليات جامعة عدن.
- ترجم كتاب (شعر ونثر من حضرموت) للمستشرق الإنجليزي روبرت سارجنت.
- سافر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة عام 1979م فعمل محررًا ومترجمًا في صحيفة (الاتحاد) الإماراتية، ثم سكرتيرًا لمجلة (الدفاع الخليجي) حتى وفاته في ديسمبر 2000م.
- صدرت في عام 2009م أعماله الشعرية الكاملة عن هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

خطورة الأمثال



د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس التحرير

لعل أهم مكون نعاشره ثقافيًا هو الأمثال التي تعطي اتجاهات مختلفة نفسية واجتماعية وذهنية، فهل يمكننا أن ننتج واقعًا جديدًا قدر الإمكان بعيدًا عن تأثير بعض الأمثال؟ لو حدث هذا للحضرمي سيحدث حدث تاريخي عظيم هو حدث الانتقال والفهم، فسيميائيات الثقافة مهمة جدًا، ومن ضمنها الأمثال التي تعد مرجعية ثقافية كبيرة نفكر من خلالها، ونسقًا من القواعد والنظم يحكمنا ويوجهنا، فضلاً عن أنها تسيطر على مشاعرنا وأحاسيسنا وعواطفنا، وتقوم بعملية استدراج لنا دون أن نشعر، وقد نشأنا على ترددها، وما زلنا نكررها، وسنظل.

والأمثال من المكونات اللسانية النشطة التي لا تتغير صيغتها على مدى قرون، بخلاف الخطاب الشعري الذي قد يتغير، فلا يمكن إحداث تطوير للأمثال أو تغيير فيها، فهي إشكالية تعمل على تشكيلنا، والأدهى أنها تتناص معها كثير من الأشعار والأغاني، فضلاً عن تمثيلاتها العملية المختلفة التي نرددها كل يوم في مواقف مختلفة، فتلعب دورًا حيويًا في رفد حديثنا اليومي ونصوصنا، وتغذيتها بإيديولوجية اجتماعية ذات سمات معينة. فهي مسارات نصية عميقة التأثير والوجد لاسيما أنها ترتبط مباشرة بالموقف العملي الذي تقال فيه مما يجعل وقعها وتأثيرها أشد.

إن الأمثال واقع داخلي يعيش فينا، وبما أنها ذات صيغة مختصرة مكثفة، فإننا لا نستطيع أن ننسى جزءًا منها، ولا أن نختصرها، ولا أن نحذف منها، وبما أن كلا منها في الغالب جملة واحدة مختصرة ومركزة فإنها تجعل التصورات تصب جميعها في اتجاه واحد، فليس ثمة كيفيات تلق متعددة ومتنوعة لها كما في الشعر، وإنما كيفية تلق واحدة عند الجميع، ويعود الأمر هنا إلى كفاءة وجماعية المرسل وهو الشعب كله، ومن ثم المتلقي وهو الشعب كله، وتتم عملية التواصل بين الشعب وذاته على وجه دقيق ومؤثر وقوي تنتج نماذج ذهنية وتصورية قارّة تتحول إلى أسس اجتماعية.

فالمثل هو نقطة البداية في تحليل شخصية الإنسان الحضرمي، ونحن من خلال بعض هذه الأمثال أمام غربة عن واقعنا المعاصر، فلا نستطيع أن نفهمه مادام الزمن تطور والأحوال تغيرت، فكيف للحضرمي أن يجد صورته اليوم بعيدًا عن الصورة التي جسدتها له بعض الأمثال؟.

محتويات العدد

فعالية ثقافية

تطور الوعي الوطني في حضرموت (رؤية تاريخية)



ص 10 أ. د. عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي

الوعي الوطني في حضرموت - إشارة ثقافية

ص 17 د. عبدالقادر علي باعيسى

أضواء



ص 31



ص 60 أبوبكر حسين مقيبل

حضرموت الثقافية

مجلة فصلية

السنة السابعة العدد (28)

إبريل - يونيو 2023م

تصدر عن مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة
الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام
أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

رئيس التحرير
د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني
حسن أحمد بلجعد

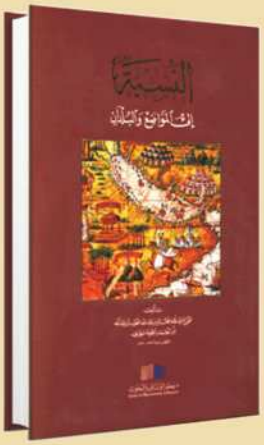
التدقيق اللغوي
د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية
أ.د. عبدالله حسين البار
أ. د. عبدالله صالح بابعير
أ. د. ناجي جعفر الكثيري
أ. د. مسعود سعيد عمشوش
أ.د. خالد يسلم بلخشر
د. حسن صالح الغلام العمودي
د. طه حسين الحضرمي
د. أحمد سعيد عبيدون
د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنيّة إخراجية.
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تلتزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخطّ اليد.

مراسلات المجلة
hc.magazine16@gmail.com
hadcenter1@gmail.com
موقعنا على الشبكة الإلكترونية
www.hadramout.center
لعنوان: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشريف سابقًا) - ت: ٢٥٠١٣٥

أضواء



النسبة إلى المواضع والبلدان أثرٌ عالميٌ نفيس لعالِم حضرمي جليل

د. محمد صالح بلعفير النهدي

ص 40

حـوار



مقابلة مع الروائي والمناضل القومي الأستاذ صالح سعيد باعامر

حاوره/ صالح حسين الفردي

ص 23

دراسات

طوابع حضرموت البريدية 1938-1990م (تاريخ وهوية شعب ووطن)

ص 84



أ. د. محمد عبدالله بن هاوي باوزير

ترجمة



محاضرات إنجرامز عن حضرموت

ترجمة:
نجيب سعيد باوزير
نورة نجيب باوزير

ص 70

كتابات



طارق بن محمد سكلوع العمودي

ص 110

حديث البداية

- **خطورة الأمثال**..... د. عبدالقادر علي باعيسى - رئيس التحرر.... 3

أضواء

- **عادات وتقاليد هضبة دوعن في سطور** ... سالم محمد بجود باراس.... 49

ترجمة

- **أرضٌ بلا ظِلال** (الفصل الثامن والتاسع)..ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن..64

دراسات

- **التناقل البحثي في مجال الأبحاث (ج١)**..... م. محمد سالم مصيباح... 90
- **السوارح عند الأحموم والقبائل المجاورة(ج٢)**.. طاهر ناصر المشطي.. 96
- **الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب**(١٢). أ. عمر خميس بامتيرف. 107

إبـداع

- **من مذكرة أبي** (سرد)..... صالح بحرق.... 112
- **ترانيم مشتاق** (قصيدة)..... سالمين سعيد بنقح.... 113

توقيع قلم

- **"لك عذر أو لك حمار"**..... أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي... 114

مركز حضرموت يقيم محاضرة "تطور الوعي الوطني في حضرموت"



إعلام المركز:

أقيمت محاضرة بعنوان (تطور الوعي الوطني في حضرموت) في كلية التربية بجامعة حضرموت بحضور عدد من الأكاديميين والباحثين والطلاب وعدد من الحضور من خارج الجامعة حيث افتتحت المحاضرة بكلمة ترحيبية ألقاها عميد كلية التربية د. سعيد سالمين بلعفير مرحباً بالمركز والحضور ومؤملاً في استمرار هذه المناشط من محاضرات وندوات لما لها من أثر إيجابي على الطلاب، وأيضاً ألقى أ. أحمد العطاس مدير عام صندوق التراث والتنمية الثقافية كلمة أعرب فيها عن مدى اهتمام الصندوق بالنشاطات الثقافية والحاجة الملحة للكثير من المحاضرات الثقافية، واشتملت المحاضرة على محورين أساسين (المنظور التاريخي، والمنظور الثقافي).

في المنظور التاريخي تحدث أ. د عبدالله الجعيدي رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر عن إرهاصات ظهور الوعي الوطني ابتداء من النصف الثاني من القرن العشرين



أ. د. عبدالله الجعيدي يلقي كلمته

مبيناً الفرق بينه وبين الوعي الوطني الفطري. واستشهد بعدد من النصوص الشعرية والمقالات الصحفية والشعارات التي رفعها الحضارمة التي عبروا من خلالها عن تطلعاتهم في المشاركة في الحكم ثم قدم عرض بانورامي للتطورات التاريخية حتى عصرنا الراهن تحدث فيه عن موقع حضرموت في الخارطة السياسية ومحاولاتها ليكون لها مكان تستحقه بحسب موقعها وعمقها التاريخي والحضاري.



د. عبدالقادر باعيسى يلقي كلمته

وفي المنظور الثقافي تحدث د. عبدالقادر باعيسى عن تجليات الوعي الوطني في حضرموت على مستوى الواقع وعلى مستوى الأبنية النظرية ومدى التقائهما وافتراقهما وأثر ذلك على حضرموت، كما تحدث عن الوعي الذي عمل على محاولة التأثير على حضرموت من الخارج وأن كثيراً منه استنفد مسيرته التاريخية دون أن يؤدي إلى نتائج مرجوة كالفكر القومي والفكر الاشتراكي، وأن الوعي الوطني يمكن التقاطه حسب المنظور الثقافي ليس من خلال أدبيات الأحزاب والتوجهات السياسية التي توالت على حضرموت ولكن من خلال القصاصات والرسائل الخاصة التي كتبها أفراد تلك الاتجاهات والدالة من حيث أنسقتها الخفية على وعي مختلف كان يحكم أفراد تلك الاتجاهات غير ذلك الذي كان يتم الإعلان عنه رسمياً، ولذلك كان الخلاف يثور بينهم باستمرار.



أ.د. محمد سعيد داؤود

أ. أحمد العطاس



أ. عبداللاه هاشم



د. عبدالعزيز بازرعة

الجدير بالذكر أن هذه المحاضرة تأتي بتنسيق مع كلية التربية بجامعة حضرموت وتمويل صندوق التراث والتنمية الثقافية وضمن سلسلة محاضرات ينفذها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.





8
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

مركز حضرموت يلتقي مدير المجلس الثقافي البريطاني لبحث أوجه التعاون الثقافي

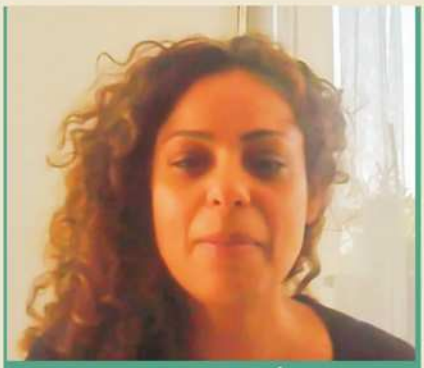


إعلام المركز:

التقى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر متمثلة بإدارة المركز عبر الشبكة العنكبوتية الانترنت بمدير المجلس البريطاني أ. رويدا الخليدي المقيمة بالعاصمة الأردنية عمّان لبحث أوجه التعاون فيما يتعلق بالجانب الثقافي وحفظ الموروث اللامادي وفق خطط وأهداف المركز.

ويأتي هذا الاجتماع لرفع مستوى عمل المركز وفتح آفاق دولية تسهم في إيصال رسالة المركز والعمل الذي يقوم به.

من جانبه قال رئيس المركز أ.د عبدالله الجعيدي إن هذا اللقاء يشكل نافذة جديدة لتطوير مستوى العمل للمركز وفق الرؤية الكبيرة التي يحملها فيما يخص التوثيق والدراسات والتأهيل، شاكراً رحابة صدر المدير التنفيذي للمجلس الثقافي البريطاني على قبول اللقاء آملاً بأن يثمر بتنفيذ الكثير من المشاريع المشتركة.



أ. رويدا الخليدي
مدير المجلس الثقافي البريطاني

وقالت أ. رويدا الخليدي: إن رسالة المركز كبيرة وتحتاج إلى الاهتمام الجيد للحفاظ على ما تبقى من أثر تاريخي لهذا الوطن، وهذا الاهتمام من المركز يشكل حالة نوعية يشكر عليها القائمون عليه.

يذكر أن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يعمل على تنفيذ المؤتمرات والندوات العلمية وبناء الدراسات التاريخية والتوثيق وإصدار الكتب ونشر مجلة حضرموت الثقافية والكثير من البرامج الثقافية والتاريخية.

9
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

أ. خالد مدرك يُهدي كتابه (تاريخ الصحافة في حضرموت) للمركز





إعلام المركز:

تقدّم أ. خالد مدرك بإهداء كتابه الجديد " تاريخ الصحافة في حضرموت، النشأة والتطور والتأثير (١٨٩٨ - ٢٠٢٠) " لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.

وفي استقباله في المركز رحّب أ.د عبدالله الجعيدي رئيس المركز بالأستاذ خالد مدرك ومهنئاً له هذا الإنجاز الذي يعد إضافة للمكتبة الحضرمية لما له من أهمية جمعت التاريخ الصحافي الحضرمي الذي يأتي في ضمن الأهداف التي يعمل عليها المركز في الحفاظ على التاريخ بكل جوانبه.

وفي ذات السياق قال د.عبدالقادر باعيسى نائب رئيس المركز ومدير إدارة الإعلام والثقافة: الصحافة هي لسان المواطن وتوثيق حاله وتعد من الأمور المهمة التي تجسد حالة واقعية بلسان السلطة الرابعة، وهذا الكتاب توثيق ممتاز لا يخلو من تحليل لتاريخ وواقع الصحافة الحضرمية وتأثيرها في المجتمع.



ويمثل الكتاب محاولة بحثية علمية جادة لكتابة تاريخ الصحافة الحضرمية (المقروءة) نشأتها وتطورها وتأثيرها في المجتمع الحضرمي، والعوامل التي أسهمت في نشوئها، وذلك بشكل موسع وشامل.

الجدير بالذكر أن المركز أصدر العديد من الكتب ذات الاهتمام التاريخي والثقافي لإثراء المكتبة الحضرمية وسيصدر هذا العام عدد منها.

10
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

تطور الوعي الوطني في حضرموت

(رؤية تاريخية)





أ. د. عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي

تكمن صعوبة الإحاطة بهذا العنوان الواسع الدلالات في أنه مفهومٌ وليس حدثًا تاريخيًا، له بداية ونهاية يمكن ضبطها، ولنتمكن من السيطرة على ماهية هذا المفهوم المتحرك في الثقافة المحلية، والعابر للعصور، سنركز في هذه الورقة على أشكال الوعي الوطني الفطري، وصولاً إلى الوعي الإيجابي، الذي اتخذ له موقفًا من السلطة الحاكمة في حضرموت (القعيطية)، ابتداءً من ثلاثينيات القرن الماضي (العشرين).

وبنظرة سريعة لمفردات العنوان، فأولاً نقصد بلفظة (التطور) هو الانتقال من حالة إلى حالة مغايرة ليست بالضرورة أفضل مما سبقتها، أما (الوطن) فهو المكان الذي ولد فيه الشخص أو عاش فيه، ويُكنُّ له ارتباطًا عاطفي، ويشعر بالانتماء له، و(الوعي الوطني) هو الشعور الواضح بالهوية بين مجموعات بشرية تجمعها وحدة الأرض، والعرق، والثقافة المشتركة، (التاريخ والدين، واللغة). وهناك علاقة بين الوعي الوطني، وإنشاء الأمة، فكلما ارتفع الوعي الوطني تسارعت الخطى نحو تعزيز الخصوصية والأمة، والكيان المستقل.

ولفظة (حضرموت) اسم يطلق على القبيلة، وهم سكانها القدماء أو الأصلاء، وعلى منطقة جغرافية واضحة المعالم في جنوب الجزيرة العربية، لها حدودها السياسية القديمة الثابتة، والمتحركة بخاصة مع جوارها الغربي فتتسع هذه الحدود، وتضيق وفقًا للتطورات السياسية، ولكن ظلت الحلقة

العصية على حركة التاريخ لآلاف السنين هي صمود المسمى (حضرموت)، فصنع هذا الصمود هويتها العميقة، وشكّل شخصيتها الوطنية، وجعل لها إطاراً معترفًا به في الأدبيات التاريخية المحلية، والعالمية، وبهذا تجاوز مسمى حضرموت صفته القبلية إلى الصفة المكانية لكل سكان حضرموت، بصرف النظر عن مسمياتهم ومكانتهم في التركيبة الاجتماعية، وهذه الجغرافيا الصامدة خلقتْ ما يمكن وصفه بالشعب الحضرمي أو الوطن الحضرمي، ونهدف من هذه الورقة تحديد مسارات واسعة لأجوبة التاريخ المرحّلة، ورسم مداخل سليمة للبحث العلمي المعمق.

الوعي الفطري:

سبق وأشرنا إلى أن الصمود التاريخي لتسمية حضرموت صنع ما يمكن وصفه بشعب حضرموت، فعُزِّز ذلك الشعور بالانتماء إلى أرض محددة المعالم، بثقافة مشتركة في كثير من جوانبها، لكن هذه الحقيقة لا تلغي اختلاف وجهات النظر لمفهوم الوطن بين الحواضر والأرياف، فيضيق ويتسع عندهما لاعتبارات اقتصادية، واجتماعية، فعلى سبيل المثال يطغى التعصب لمثاوي القبيلة عند البادية على الانتماءات الجغرافية الوطنية الأوسع، وفي المناطق الحضرية، وخاصة في المدن الكبيرة يضيق مفهوم الوطن ليصل إلى حارة في مدينة تنظر بعين المنافسة، وأحيانًا الخصومة تجاه الحارات المجاورة، ولغياب الدور السياسي للقبيلة الحضرمية، وضعف دور النخب المثقفة في المدن، واضطراب مصالحها وأسباب أخرى ابتعد سكان المدن (الحضر) عن السلطة، وصارت البلدات والمدن الحضرمية خلال ثلاثة قرون بيد العشائر اليافعية، ومما ساعدهم على ذلك – إلى جانب غياب منافستهم على السلطة – أنهم جمعوا في التصنيف التراتبي بين ثنائية فئتي الحضر، والقبائل فهم من سكان المدن، وهم من حملة السلاح، ثم إنهم ليس لهم حاضنة جغرافية خارج أسوار المدن.

وينحصر مفهوم (حضرموت الجغرافي) عند الحضارمة أنفسهم في الثقافة الشفاهية في المنطقة، من منطقة الكسر حيث التقاء وديان وادي عمد، ووادي العين، ووادي دوعن، إلى

> "هناك علاقة بين الوعي الوطني، وإنشاء الأمة، فكلما ارتفع الوعي الوطني تسارعت الخطى نحو تعزيز الخصوصية والأمة، والكيان المستقل"

المناطق المحاذية لوادي حضرموت الرئيس، لهذا يقول سكان دوعن أو وادي عمد على سبيل المثال إذا عزموا على السفر إلى مدن وادي حضرموت وبلداته: أريد الذهاب إلى حضرموت، ويقول لضيوفه منها: عندي حضارمة، أو عمال حضارمة، لكنه عندما يُعرّف نفسه خارج حدود حضرموت يقول: أنا من حضرموت، ويتطابقون في ذلك مع سكان السواحل الحضرمية.

ولشيوع المذهب الشافعي في حضرموت، وترسخه عبر قرون عدَّة بوساطة أسر من فئتي مشايخ حضرموت، وسادتها الذين استقروا في كل جغرافية حضرموت تشكلت الوحدة المذهبية السنية الحضرمية بفكرها الوسطي، فصنع هؤلاء ما يمكن تسميته (دولة حضرموت الثقافية)، وصاروا سلطة اجتماعية اختيارية على القبائل، موازية للسلطة السياسية في الحواضر، وذلك عبر مقام (المنصبة)، الذين تمكنوا عبره من التدخل لفك الاشتباكات القبلية، أو التقليل منها، هذا فضلاً عن دورهم في الإشراف على ماله علاقة بالأمور الدينية والتعليمية، وهم بهذا يمثلون سلطة روحية، ومرجعية اجتماعية، تضعهم في مستوى أرفع من مكانة زعيم القبيلة (المقدم) وأدنى من مستوى مقام الأمراء والسلاطين.

وهذا كله يدفعنا إلى القول: إن الوعي الوطني الفطري كان إحساسًا جغرافيًا ثقافيًا، وليس كيانًا سياسيًا، أو دولة تعبر عنهم، وتحمي مصالحهم، وترسم مستقبلهم، لكن ساعد الصمود التاريخي للبعدين (الجغرافي، والثقافي) في وجود رافعة قوية محفِّزة للحضارمة لتحقيق تطلعاتهم السياسية، ليكونوا أسيادًا في بلادهم.

الوعي الإيجابي:

تحيل لفظة الموقف إلى حالة وعي؛ لأنها تؤشر إلى الاختيار أو القبول أو الرفض، وهناك عبارة شهيرة تقول: "إن وقوع **الظلم ليس كافيًا وحده لاندلاع الثورة؛ بل لابد أن يتبلور الشعور بالظلم**"، ولنتتبع موقف الأهالي في حضرموت (القعيطية) من القوى الحاكمة علينا أدراك طبيعة المجتمع الحضرمي، الذي ينقسم على قسمين جغرافيين واجتماعيين أساسيين، هما: حضر، وبادية، أو بالأحرى (ريف، وحواضر)، وهذا يختلف على التراتب الاجتماعي الذي يعتلي هرمه السادة والمشايخ، فكان القبائل، والعبيد التابعون لهم وللحكام هم فقط من يحمل السلاح في حضرموت، لهذا ارتبطوا بحالتي الحرب والسلام؛ ولأن الدويلات والدول في مدن حضرموت وبلداته قامت على العصبية القبلية بحسب نظرية ابن خلدون فكان الحفاظ على السلطة هي مهام القبيلة الحاكمة، أو التكتل القبلي الذي يسنده كمشيخة آل العمودي، لكن الموقف الحضري والقبلي من السلطات الحاكمة القائمة، سواء عند القبائل أو الحضر يختلف؛ فالحكام الكثيريون يعدون امتدادًا لحكم الاتحاد الشنفري، الذي يحكم أراضيه بحسب الحدود القبلية، فلهذا لم يكن هناك موقف ضدي واضح تجاههم من رعاياهم إلا في العصر العروبي القومي الناصري، وهذا يؤشر إلى حالة تطور وعي اجتماعي من فكرة القبيلة، إلى فكرة الوطن.

وبالنسبة للموقف الحضرمي العام تجاه اليافعيين (حكام الحواضر) كانت النظرة إليهم بوصفهم غرباء على المنطقة، ومما ساعد على ذلك رغم هجرتهم القديمة إلى حضرموت أن تقاليدهم الشعبية ظلت مميزة لهم، ومعبرة عن ثقافتهم المحلية؛ لاستمرار خط هجرتهم إلى حضرموت لقرون عدَّة، ويطلق عليهم الحضارمة لفظة (العسكر)، وهو توصيف شامل لهم. لكن هذا النظرة العامة لا تلغي وجود تباينات في وجهات النظر بين سكان الحواضر، والأرياف تجاههم.

فعند (سكان المدن) الموقف منهم شبه محايد، فما يعنيهم هو الأمن الداخلي والتسيير الإداري، وهي تتسق مع موقفهم من أي

> "إن الوعي الوطني الفطري كان إحساسًا جغرافيًا ثقافيًا، وليس كيانًا سياسيًا، أو دولة تعبر عنهم، وتحمي مصالحهم"

سلطة حاكمة عليهم، وينظرون إليهم بوصفهم (حماة الديار)، لهذا تجد الشاعر (الحضرمي) يصطف (مكانيًا) مع حاكم مدينته عند المساجلات الشعرية في الاتجاه المضاد لزميله الشاعر (الحضرمي) المنتمي لمدينة حاكم آخر، سواء كان يافعيًا أو كثيريًا، وقريب من ذلك نجده عند الشعراء الشعبيين، وبعضهم يغير (ولاءه المكاني) إذا استقر في حارة أخرى من المدينة نفسها.

وتؤكد الثقافة الشفاهية الشعبية على أهمية طاعة السلطة القائمة وقبولها تحت مظلة المثل المشهور (**من تزوَّج أُمَّنا فهو عمُّنا**)، وكما يؤشر المثل على فكرة الفصل بين السلطة، والرعايا (المحكومين) يؤشر على الموقف السلبي للناس من أهل الحكم، وبأنه شأنٌ ليس من شأنهم، لهذا تحركوا باستراتيجية مهادنة الحكام، وتجنب الصدام معهم، ومن أمثلة الموقف التقليدي (الحضري) من الحكم ترديدهم القول الشائع: "**دولة ومحد يعصي الدولة**"، وهي فكرة استسلام وخضوع، أكثر منها التزامًا لمنظومة الحكم، واحترامًا لها.

أمَّا الموقف القبلي من الحكم اليافعي فقد تميزت العلاقات بالحذر المشوب بالرفض وأحيانًا الصدام، لكن مع مرور الزمن شهدت الأوضاع نوعًا من الاستقرار، خاصة بعد أن تمكن اليافعيون من إبرام معاهدات السمع والطاعة (سمعه وتبعه) مع الكثير من القبائل الحضرمية بوساطة شخصيات حضرمية بارزة ومؤثرة، خاصة ممن ينتمون لفئتي سادة حضرموت ومشايخها، وأكدت غالب بنودها على التحالف بينهما (إلى أن يشيب الغراب ويفنى التراب) مقابل مكاسب اقتصادية يسيرة لهم. ومن أهم ما تذكره بنود المعاهدات هو احترام

القبائل لمقام الحاكم (الدولة)، وهو مقام يعادل مقام الأب، في حين أنَّ القبائل في منزلة (عيال الدولة)، ولفظة عيال الدولة مفهوم أدنى من لفظة (الرعايا)، التي هي مفهوم أدنى من مفهوم المواطنة، والنظرة الفاحصة لمفهوم (عيال الدولة) سنراه يمضي حسب سياقات عصره، ومع درجة الوعي عند البدو، والحضر الذين هم أيضًا - أي الحضر - يستخدمون هذه اللفظة عندما يلتمسون من (الدولة) مطلبًا من المطالب المجتمعية.

وبعد دخول حضرموت مرحلة الحكم الاستعماري غير المباشر منذ أواخر ثلاثينيات القرن الماضي تغيرت الكثير من الأمور، فبعد أن كانت السلطنة القعيطية منطقة استثمار سياسي، منطلقًا من حيدر آباد، تدار بواسطة وزراء أقرب إلى الوكلاء الخصوصيين، أدخل البريطانيون النظم الحديثة المتعلقة بمؤسسات الدولة الإدارية، والعسكرية، وأسسوا التعليم الحديث، ومع تطور واتساع الحركة الصحفية العربية والحضرمية المهجرية، وتطلعات الشعوب العربية في الاستقلال بموجب مبدأ حق المصير الذي دعا إليه - ولو نظريًا - الرئيس الأمريكي (ويلسون)، والثورات العربية في كل من مصر وسوريا والعراق والمقاومة الوطنية الفلسطينية، ثم قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، الخاصة بإنهاء الحكم الاستعماري للشعوب، ومع تسارع حركة الملاحة البحرية، ومع دخول سيارات الشحن في حضرموت منذ بداية خمسينيات القرن العشرين وبداية ظهور الراديو وغيرها من العوامل، التي كانت غير بعيدة عنها حضرموت بثقلها المهجري، الذي اتسم بحركة متسارعة لحركة الذهاب والإياب، كل ذلك ألقى بظلاله على المشهد السياسي والموقف من السلطة القائمة.

لكن بدايات الوعي الوطني الشعبي انطلق من المدن، حيث توجد فرص لإيجاد زعامات شعبية، تطالب بحقوق عامة، وليس قبلية أو فئوية أو شخصية، وبالنسبة للمناطق القبلية عبرَّت المساجلات الشعرية عن الموقف القبلي لما يعتمل في (حضرموت الثقافية) والعالم العربي والإسلامي، لكن الموقف

> ”بدايات الوعي الوطني الشعبي انطلق من المدن، حيث توجد فرص لإيجاد زعامات شعبية، تطالب بحقوق عامة، وليس قبلية أو فئوية أو شخصية“

النخبوي ممكن ملاحظته في صوت المثقف الحضرمي المهجري، الذي التحم بشعوب وثقافات متطورة مقارنة ببلاده، وسعى عن بُعد لتنوير أهله، وأسهم الشعر الشعبي في التنوير، والتثوير، فخلقت حالة مغايرة وإن اتسمت بالجنينية وغير المنظمة.

وبالنسبة لمعاهدة الاستشارة التي وقَّع عليها السلطان صالح سنة ١٩٣٧م فقد جوبهت باستياء واسع من الحضارمة، وتراوحت ردود الأفعال بين التوجس والرفض، وإذا كنا لا نستطيع قياس مؤشرات الرفض الشعبي بدقة؛ نتيجة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتخلفة وقتئذ، فإننا يمكن أن نلمس جوانب من ذلك من خلال الشعر الشعبي، والمقالات الصحفية التي كتبها الحضارمة في الصحف المصرية والعدنية، وكذا البيانات التي أصدرتها بعض مكوناتهم في مهاجرهم.

وتعد القصيدة الشهيرة للشيخ صلاح بن أحمد لحمدي القعيطي المهاجر بحيدر آباد بالهند من أهم الأشعار الشعبية التي عبرت عن الرفض لتلك المعاهدة ومما قال فيها:

قالوا جهة لحقاف لحمة فاس سرحت بالبرود
سرحت مع الصاحب بلا قيمة ولا سلم نقود
يا حر جوفي يا حياة الذل يا حر الكبود
أين الشنافر أين نهد اللي يزرون الشدود
أين الجعيدي أين كندة لتعزوى بن كنود

[عبدالخالق البطاطي، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت، ص١٠١].

وتكمن أهمية قصيدة لحمدي في أنها لاقت بلهجتها العامية صدًى وانتشارًا كبيرين عند معاصريها في المجتمع الحضرمي، الذي لم تصله وقتئذ وسائل الإعلام الحديثة، كالصحافة والإذاعة. كما أنها أقلقت الدوائر الرسمية في حضرموت وأوعزت لحلفائها بالرد عليها للتقليل من تأثيرها، وهذا يدل على أنها أثارت حفيظة الأهالي، ونبهتهم إلى تبعات التدخل البريطاني في شئون حضرموت. [د. عبدالله الجعيدي، في رحاب تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، ص ٦٥].

وبموجب المعاهدة عمل إنجرامس بصورة منسجمة مع السلطان صالح القعيطي على تحديث مؤسسات السلطنة، وقد مسَّتْ هذه الإجراءات مصالح بعض القوى، كما أن الجديد في أي مجتمع محافظ أو تقليدي غالبًا ما يجابه بالرفض (والإنسان عدو ما يجهل)، وممكن نلمس درجة الوعي الوطني من خلال شعارات المسيرة، التي انطلقت في المكلا عام ١٩٣٩م، والتي نشرت خبرها مجلة الرابطة العربية تحت عنوان (مظاهرة في المكلا)، ولما يحمله الخبر من دلالات نرده هنا بنصه:

"جاء من المكلا أنّ جمعًا غفيرًا من أهالي المكلا تجمهروا في الشارع الكبير، وساروا نحو قصر المعين (القصر السلطاني)، وصراخهم يملأ الفضاء قائلين: (لا نقبل البدع، لا نهضم الظلم، يكفينا ظلم الجمرك..) ولمَّا شاهدهم حرس القصر توهمّوا أنهّم أمام ثورة خطيرة فأقفلوا أبواب الحوش بسرعة، ولكن ما هي إلا دقائق حتى حطّم الجمهور بابًا من أبواب الحوش. ويقول من شاهد الحادث أنّه لما وصل الخبر إلى المستر "إنجرامس" المستشار المقيم، ركب سيارته، وخرج بها من باب جنينة الدار التي يسكنها، وتقع مقابل قصر السلطان، قاصدًا الدخول إلى القصر، فحال المتظاهرون دون سيره بالسيارة، مخترقًا جمعهم، فترجَّل ومشى نحو القصر، ودخل على عظمة السلطان، فإذا بوفد المتظاهرين هناك يهدِّد بالهجرة إلى بلاد أخرى إذا لم يمتنع التدخل الأجنبي في شؤونهم ولا سيما الدينية منها، ومما قاله الوفد إنّ بلادهم فقيرة لا تهضم المشروعات الإصلاحية بالأساليب التي يريد العمل بها المستشار الإنجليزي، وإنهم يرحبون بكل مشروع إصلاحي يتفق وحالة بلادهم الاقتصادية.. فردّ عليهم عظمته راجيًا أن يتفرقوا وقال لهم: "كلّ بدعةٍ مردودة، الآن أنا مسافر إلى حضرموت للزيارة، وعند عودتي يكون خير إن شاء الله" [مجلة الرابطة العربية المجلد ٦، ص ٤٥].

> "بدأ الأهالي يدركون أن أمور الحكم ليست قدرًا محتومًا عليهم، وأنهم إذا ما وحَّدوا أصواتهم يمكن أن يشكِّلوا أداة ضغط، تدفع لتحقيق المطالب المتعلقة بشؤون حياتهم"

سجل هذا الخبر صفحة مهمة من تاريخ حضرموت المعاصر، عبرّ فيه أهالي المكلا عن موقفهم إزاء السياسة الاستعمارية البريطانية الجديدة في بلادهم، ونستشف من الشعارات المرفوعة أن المتظاهرين خرجوا بعد أن فاض بهم الكيل كما يقال، وما نود الإشارة إليه هو التمعن في مضامين الشعارات التي رفعها المتظاهرون، وهي: (لا نقبل البدع)، (لا نهضم الظلم)، ويبدو أن من أطلق هذه الشعارات هم عناصر من النخبة الوطنية الواعية في المجتمع، التي رأت في أن التحديثات المتسارعة في مؤسسات الدولة، التي شرع فيها المستشار البريطاني إنجرامس لا تتناسب مع واقع المجتمع الحضرمي، أو ربما أطلقها عناصر تضررت من هذه الإجراءات، وربما يتخفَّى وراء هذه المطالب موقف الرفض من الوجود الاستعماري ذاته، والذي مثَّله إنجرامس وقتئذ، ولا نرى في شعار (لا نقبل البدع) شأنًا ما يتعلق بالدين؛ فمعاهدة الاستشارة نصَّتْ صراحة بقبول السلطان القعيطي مشورة المستشار البريطاني في كل الأمور ماعدا التي تتعلق بالدين الإسلامي والعادات.

أما الشعار الآخر (لا نهضم الظلم) فهو أقرب إلى الصرخة المعبرة عن الإحساس بالظلم، والتهديد بترك الوطن من قبل المتظاهرين، وهو أقرب إلى الرجاء منه إلى التهديد، يتوارى خلفه خطاب يؤشر إلى درجة جنينية من الوعي الوطني، تجلىَّ في التعبير عن الاعتراض على بعض الإجراءات الاقتصادية، ولم يصل بعد لمرحلة الرفض لسياسة السلطنة القعيطية ذاتها، وهو أمر حدث في مرحلة تاريخية لاحقة، عندما تظاهر سكان مدينة المكلا احتجاجًا على تعيين وزير (سكرتير) أجنبي للسلطنة القعيطية. [في رحاب تاريخ حضرموت، ص٨٥].

وعلى أية حال فإن هذه المسيرة تؤشر على درجة من درجات تطور الوعي الوطني؛ فقد بدأ الأهالي يدركون أن أمور الحكم ليست قدراً محتومًا عليهم، وأنهم إذا ما وحَّدوا أصواتهم يمكن أن يشكِّلوا أداة ضغط، تدفع لتحقيق المطالب المتعلقة بشؤون حياتهم.

وفي غمرة هذه الأجواء المشجعة بدأ الحزب الوطني يضع مقترحاته في تعيين سكرتير وطني بدلاً من السكرتير المنتهي عقده. وكان الشائع في الدوائر الرسمية ترشيح القدال سعيد القدال، وهو سوداني الجنسية، وجيهان خان باكستاني الجنسية، ومرة أخرى سجل بافقيه تلك اللحظات المهمة في تاريخ حضرموت بمقال عنونه (أسبوع البعث والخلود في حضرموت) واصفًا مظاهرةً شاركَ فيها ما يقارب عشرة آلاف من سكان المكلا، وذلك في يوم الأربعاء ١٣ ديسمبر ١٩٥٠م، "... وخرج الناس من منازلهم... فلم يكونوا يجتازون الأعتاب ويدلفون إلى الشوارع والأسواق حتى يشاهدوا عجبًا: حيوية جديدة، وحركة غير عادية، وبلادًا غير التي ألفوها، وشعبًا غير الذي عهدوه، هذه منشورات ولافتات ملصقة بكل جدار تحمل معاني الوطنية (حضرموت تناديكم - تحيا حضرموت - رشحوا ابن الوطن، حضرموت تنتبه لمآلها... إلخ)، وتلك مظاهرات تطوف بالشوارع وتجوس خلال الديار، مؤلَّفة من النابتة الناشئة، رجال الغد، تمشي أفواجًا أفواجًا، وتهتف بعبارات الوطنية وتنشد الأناشيد الحماسية" [محمد بن ابي بكر باذيب، أحمد عمر بافقيه ودوره الصحفي، ص٥٧٤].



وقد رفع المتظاهرون ثلاث لافتات، كتبت عليها الشعارات الآتية: الأولى في مقدمة المظاهرة (الشعب يريد تحقيق مطالبه)، والثانية في الوسط (نريد سكرتيراً وطنيًا)، والثالثة في الساقة (الوطن للوطني). وفي الخطاب الذي تقدم به المتظاهرون إلى ولي العهد الأمير عوض بن صالح القعيطي جاء فيه: **"نحن نعتقد ونجزم أن الحكومة والشعب شيء واحد، غير أن للحكومة امتيازاً هو بمثابة امتياز مقام الأبوة، والشعب كالولد، ولابد للولد من التمتع بحقوقه كاملة مع الحرية التامة"**.

إن القراءة التاريخية لهذه الشعارات المرفوعة والعرائض المقدمة ستساعدنا على تتبع كيفية تبلور الموقف الشعبي المواكب لمجريات الأحداث في حضرموت، ولاسيما حاضرتها مدينة المكلا، وواضح من صيغ الشعارات تطورٌ لافتٌ في الرؤية الوطنية، فبعد أن كانت المطالبات لا تقترب من شؤون الحكم صارت تحتلُّ الصدارة، وتنظر إلى الحقوق السياسية؛ بوصفها إرادة شعبية واضحة، يجب تحقيقها، إنَّ هذه الشعارات تستحق الكثير من الوقفات التأملية، وما نود الإشارة إليه بخصوصها أن ترتيبها لم يكن جزافًا، بل عكست التدرج التصاعدي للمطالب الشعبية، فالشعار الأول أشار إلى المطالب الداخلية التي سبق تقديمها، وهي تخص مدينة المكلا، والشعار الثاني حدد مطالب الشعب بأعلى منصب في السلطنة القعيطية بعد منصب السلطان (السكرتير)، في حين أن الشعار الثالث قد رفع سقف المطالب ليشمل حضرموت كلها وبنية الحكم فيها وحدد أن الوطن لأبنائه وليس للأجانب. [في رحاب تاريخ حضرموت الحديث، ص، ٩١].

وقد رصد أحمد عمر بافقيه تلك اللحظات بأسلوب لا يخلو من الحماسة قائلاً: "مر الأسبوع المنصرم على هذه العاصمة حافلاً بأحداث جسام، من حقها أن تمنحه صفة الخلود... يقف عندها المؤرخ فيقول: هنا ينتهي تاريخ، ويبدأ تاريخ! هنا تنطوي صفحة من تاريخ الشعب الحضرمي، تغيّم فوق سطورها سحابة سوداء من اليأس، ويجللها إطار قاتم من الخنوع والخذلان، لتبدو صفحة أخرى مشرقة وضيئة، كلها قوة وإشعاع وتضامن وإيمان" [أحمد عمر بافقيه، ودوره الصحفي ص، ٥٧٣].

وتساعد هذه الأجواء الساخنة على فهم الأحداث اللاحقة، التي شهدتها مدينة المكلا؛ فالسلطان صالح قطع إجازته وعاد من حيدر آباد مستشعراً خطورة هذه المطالب، التي لامست ما يظنه حقًّا ليس للشعب رأي فيه، وأول إجراء قام به هو دعوة مجلس الدولة للاجتماع والموافقة على تعيين القدال سكرتيراً للسلطنة، ويرى بعض المؤرخين أن السلطان نزل في هذا التعيين عند إرادة المستشار البريطاني (بوستيد)، وسواء كان ذلك إرادة السلطان أو مستشاره فإن هذا الاختيار جاء صادمًا للإرادة الشعبية، وفي اليوم التالي ٢٧ ديسمبر تقدَّم وفدٌ من الأهالي للسلطان صالح قدَّم له مطالبه المتضمنة تعيين سكرتير وطني، وقد تناولت المصادر التاريخية تفاصيل اللقاء، وما أعقبه من تداعيات، أدت إلى مصادمات بين رجال الأمن والمتظاهرين، أسفرت عن استشهاد أكثر من سبعة عشر رجلاً من سكان مدينة المكلا، وهو أول صدام شعبي (غير قبلي) بين السلطنة القعيطية ممثلة في قواتها الأمنية، والسكان المدنيين.

وخلاصة القول إنَّ الموقف الحضرمي قد اتسم بحالة جديدة من الوعي، الذي يختلف عما كان قبله، وحتى السلطان صالح الذي حمل مشروع التحديث في حضرموت بالمساندة البريطانية كان يرى مسائل الحكم من شأنه الخاص، ولا شأن للأهالي به، ولعلنا لا نجانب الصواب لو وصفنا هذا الوعي بالجنيني، وطبعًا من المبالغة بمكان رفع سقف التوقعات بإمكانية حدوث تغييرات كبيرة في تلك المرحلة، لهذا بعد حادثة القصر التي سقط فيها سبعة عشر شهيداً وخلال أربع عشر سنة

> "مع توافر الفرص الراهنة لتعبر حضرموت عن نفسها بقوة فإنها ما تزال تدفعها تيارات فوق استعدادها التاريخي. لكنها تحاول جاهدة ليكون لها مكان آمن وسط التيارات المتدفقة الجديدة القديمة"

بعدها اعتلى منصب الوزارة القعيطية أشخاص من خارج حضرموت. (سوداني - باكستاني).

لكن حركة التاريخ المتسارعة دفعت بالأمور إلى مسارات متعددة، وكانت الثورة المصرية وزعيمها عبدالناصر ملهمة لكل الشعوب العربية، وابتداء من عام ١٩٥٩م دشنت صحيفة الطليعة في مدينة المكلا، الصوت القومي العروبي، الذي يدعو للوحدة العربية. وعمومًا يعد عقد الستينيات من أخطر المحطات التاريخية في حضرموت؛ فقد انقسم الحضارمة على أنفسهم بين الإبقاء على السلطنات بنظام اتحادي، وبين انضمام حضرموت لدولة الجنوب العربي، التي كانت بريطانيا ترتب لها قبل رحيلها عن المنطقة، وجرت مياه كثيرة إلى أن خرجت حضرموت عن ذاتها، وصارت منذ عام ١٩٦٧م وحتى الآن (٢٠٢٣م) محافظة من محافظات (جمهوريتين) كانت فيهما رقماً مُهمَّشًا ومُستَغَلاً.

وبعد ما عرف بثورات الربيع العربي وتداعياته في اليمن بقيام (بثورة التغيير) عام ٢٠١١م حاول الحضارمة لملمة أنفسهم في شكل مجالس أهلية، ومؤتمرات أو ملتقيات شعبية، وعبرت حضرموت عن معاناتها تحت الكلمة الشعار (كفاية)، أي: يكفي تهميشًا لأهلها، واستغلالاً لثرواتها، ولاريب في أنهَّا كانت حلقة من حلقات في تطور الوعي الوطني، ومع توافر الفرص الراهنة لتعبر حضرموت عن نفسها بقوة فإنها ما تزال تدفعها تيارات فوق استعدادها التاريخي. لكنها تحاول جاهدة ليكون لها مكان آمن وسط التيارات المتدفقة الجديدة القديمة.

* ورقة محاضرة أقامها مركز حضرموت للدراسات والتوثيق والنشر بعنوان (تطور الوعي الوطني في حضرموت) - المكلا ١٦ مايو ٢٠٢٣م

17
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



الوعي الوطني في حضرموت

إشارة ثقافية



د. عبدالقادر علي باعيسى

تعريف الوعي:

سنعمد بدءًا إلى تقديم تعريف إجرائي لمفهوم الوعي في صيغته العامة وهو أنه "ما يمتلكه الإنسان من أفكار ووجهات نظر تتعلق بالحياة ومفاهيمها وما يحيط به من بيئة، ومن الممكن أن يتصف الوعي بالزيف حيث يتباين واقع الإنسان بهذه الحالة مع وجهات نظره وأفكاره، وقد يقتصر هذا التباين على أحد جوانب حياة الفرد أو جميعها"[١] ومع أن الفلسفة تعد الوعي بهذه الصيغة العامة "جوهر الإنسان وخاصيته التي تميزه عن باقي الكائنات الحية الأخرى"[٢] أي إنه وعي تلقائي يصاحب كل أفكار الإنسان وسلوكه، فإن اتجاهات تعريف الوعي بين مختلف المدارس والاتجاهات شديدة الاختلاف، فرغم "آلاف السنين من التحليلات والتعاريف والتفسيرات والمناقشات بين الفلاسفة والعلماء، ما يزال الوعي أمرًا محيرًا ومثيرًا للجدل، كونه أكثر الجوانب ألفة وأكثرها غموضًا في حياتنا"[٣] ولعله من هذا المنطلق قامت الدراسات النفسية بوضع الوعي موضع نقد إذ اعتبر "من خلال تلك الدراسات غطاء خارجيًا لا يمثل الجهاز النفسي العميق، بل هو يمثل فقط سطح الذات، أما اللاوعي فهو يمثل أعماق الذات الإنسانية"[٤] فضلاً عن أنه يتمظهر في الحياة العملية من خلال عدد من الأشكال والمظاهر كالوعي السياسي، والوعي الأخلاقي، والوعي الاجتماعي[٥].

الوعي والبنية اللاشعورية:

وأخطر ما في الوعي أن ينعكس في البنية اللاشعورية للفرد والمجتمع، كما في الوعي ببعض الأفكار والتصورات الاجتماعية والأخلاقية التي إذا تكررت خلال فترة تاريخية طويلة تكرس الوعي بها بصورة صلبة، وقلّت في أثناء ذلك ظواهر التعدد والكثرة لصالح رؤية واحدة كما في الوعي الطبقي والفئوي، وكلما اكتشف الإنسان وعيًا جديدًا اكتشف كينونة جديدة له سواء كان ذلك الوعي إيجابيًا أو سلبيًا، وغالبًا ما تتشعب شخصية المجتمع داخل سياقات متعددة من الوعي من خلال تكريس عدد من المفاهيم والتعاملات عبر أجيال كثيرة بحيث يتحول الوعي إلى نموذج صارم في المجتمع، ويتجلى من خلال الخطاب المكتوب والشفوي على حد سواء، ومع أن بعض التطوير الإيجابي الذي يحدث في حالات الوعي يعد لحظات تصحيحية إلا أنه يعد عند آخرين مواقف غير جيدة.

الوعي الوطني والوعي السياسي:

ويتصل مفهوم الوعي الوطني بمفهوم الوعي السياسي من حيث ارتباطه بسيادة سلطة سياسية معينة على وطن معين، بسكان معينين، واستقلاله، وحماية ثرواته وموارده، واللافت أن مفهوم (الوعي الوطني) يتصل بالاستعمار الحديث عن طريق المفارقة، فلم يكن مفهوم الوطن -وهو مساحة جغرافية من الأرض ذات حدود معلومة يعيش عليها شعب معين- معروفاً بصورة رسمية قبل حركة الاستعمار الذي أخذ يتشكل على أساسه مفهوم الأوطان التجزيئية حتى اتضحت صورتها بشكل جلي.

لقد برز مفهوم الوعي الوطني في إطار النضال ضد الاستعمار في أثناء الثورات التحررية العربية، وأخذ يتشكل من خلال ما أخذ يشعر به الإنسان العربي من أهمية وطنه، واستقلال حدوده، واستغلال الاستعمار له، ونهب خيراته، واستعباد مواطنيه، أي إن الرؤية انطلقت -على ثوريتها- لتحرير رقعة جغرافية محدودة من الوطن الكبير حاملة رغبة الأفراد القوية في الدفاع

> ”إن ما نسميه وعيًا وطنيًا من منظور القراءة الثقافية قد لا يكون كذلك عندما يتم قراءة عدد من خطاباته وشفراته فقد يكون وعيًا ذاتيًا، أو وعيًا قبليًا، أو وعيًا مشوشًا يضيع في زحمة هذه التعددات. إننا لا نستطيع أن نحدد مفهوم الوعي الوطني إلا بكثير من القراءة الدقيقة“

عنها أكثر من أي وطن محلي آخر شاعرين في أثناء ذلك بخصوصية بلادهم[٦] وفي هذه الحالة يكون مفهوم الوعي الوطني مرتبطا بالدوائر الاستعمارية عن طريق المفارقة أو المخالفة، وهو مجموعة الإجراءات الثورية النظرية والعملية التي أخذ يدركها الشعب وطليعته المناضلة على وجه الخصوص لإخراج الاستعمار الأجنبي وركائزه من بلادهم، ومن ثم فالوعي الوطني مفهوم حديث يندرج في إطار مفهوم الوعي السياسي في صورته التي انبثقت بعد وجود الاستعمار.

الوعي الوطني والواقع:

وعلى هذا عمل الوعي الوطني في البلاد العربية على تحقيق إنجازات للمجتمع على أرض الواقع بحيث لم يعد إطار نظريًا فحسب بل فاعلاً في إطار التحقق، وبذلك يحصل نوع من التفاعل بين الوعي والواقع، ولا يظل الوعي مجرد أطر نظرية شكلية، بل يزداد تطوراً، وتتجسد من خلال ذلك إمكانات التغيير القوي والفاعل في المجتمع مما يتطلب أهمية الحفاظ على مثل هذا النوع من الوعي وتطويره والعمل على تحويل مبادئه إلى إجراءات لا تستمد قوتها من الوعي نفسه بل من إمكانية تجسيده على الواقع. وتبرز حقائق الوعي في الواقع عبر عدد من العوامل التي تعمل

على إبرازه وترسيخه وهي الإعلام، والسلطة السياسية، والسلطة التعليمية بمختلف أنواعها بما فيها الدينية بحيث يتحرر الإنسان ويتطور ويرتكز على قيم أكبر في استيعاب الوعي الوطني في كثير من أبعاده وتجلياته النظرية والواقعية.

وتمثل الجماهير المرتكز الأساسي الذي يمكن أن نعتمد عليه لتنفيذ الوعي الوطني إجرائيًا، ويمكن لمفكريها أن يبدعوا في هذا المجال بحيث لا يعود النظري معلقًا في الفضاء، ولا يعود الواقعي تائها لا يسترشد بأطر من الوعي، وبذلك تظهر تجليات مثلى في التاريخ، وينشغل المجتمع بما يمكن تسميته بالتغيير الجذري الذي يحدث فيه والذي يلامس مختلف جنباته، فيرى الإنسان وجوده متجسداً ومتحققًا على الواقع ومتفاعلاً مع الأطر النظرية التي يؤمن بها، وفي هذه الحالة يكبر الإنسان ذاته ومجتمعه ووطنه.

ولا يمكن لأي وعي أن يظهر بصيغة واحدة في كل المراحل، أو أن يظل ثابتًا، فثمة تغييرات تطرأ عليه، وأي محاولة لتجميد الوعي هي فكرة خطيرة على المجتمع، وغير علمية، وغير موضوعية، فلا يُرسم الوعي الوطني مكتملاً ونهائياً، فثمة تغييرات وإضافات وانتقادات وتحسينات تحدث في إطاره، وقد يأتي ما يتعارض مع ذلك الوعي ويطيح به إذا استنفد مسيرته وقوته التاريخية، ذلك لأن الوعي الجديد يفرض نفسه محكوما بفكرة التفاعل الزمني حيث يأخذ الجديد البؤرة أو مركز الإشعاع ويشير إلى حدوث تطور في التاريخ المعاصر كما حدث مع قوة اندفاع الوعي القومي في منتصف القرن العشرين في البلاد العربية.

ويبدو أن الوعي في بلادنا بحاجة إلى كثير من الدراسات لمعرفة ما إذا كانت تجليات التغيير في الواقع أجلى أو تغيرات الاتجاه نحو الأبنية النظرية كما حصل في المرحلة الاشتراكية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي لم يجد فكرها ما يمثله على أرض الواقع من حقائق البروليتاريا وقوى الإنتاج ووسائله وعلاقاته، وكان عليه حينئذٍ أن ينتظر واهما لتحقيق ذلك بعنف

> "نحن قد نستجيب شخصيًا لمفهوم الوعي الوطني، ولكن هل هذه الاستجابة الشخصية هي الاستجابة الحقيقية التي تمثل الوعي الوطني، أو أنها واقعة تحت تأثير الإعلام ومنتجة به، وأنه يكمن في بنيتنا الداخلية ما هو أعمق منه؟. إن إغراء المفاهيم والمصطلحات يلعب دورًا كبيراً في التضليل"

ثوري، أو أن يختفي ويعود إلى الأدراج التاريخية للنظريات التي لم تتحقق. فليس المهم أن يظهر الفكر بل أن يترك أثره في الواقع والإنسان دالاً بذلك على قيمة كبرى تتعلق بالوجود الإنساني نفسه الذي يعني أنه التقى فيه النظري والواقعي، وتبينت طريقه أمامه بوضوح، ولم يعد يختفي في إطار وعي نظري لا يدركه ولا يعرف من يوجهه فيه، وإنما يمضي فيه أشبه بآلة، لا يتبينه، ويغدو مكيفا به من الخارج، ومن ثم إشاعة وعي وهمي مع ما يترتب على ذلك ويفضي إليه.

واللافت أن الوعي الوطني حقق في المرحلة الاشتراكية إنجازًا كبيرًا على مستوى إحساس الطبقات المظلومة اجتماعيًا بذاتها وقوتها، ومازال أثر ذلك واضحًا، بل يتنامى مستفيداً من حركة التطور الحديث على مستوى التعليم والديمقراطية والمفاهيم المشاعة عن سلطة الدولة الحديثة، فنظر من خلال ذلك إلى ذاته الإنسانية مجسدة أمامه وهي ترى حيثيات إمكاناتها انطلاقًا من وعيها بذاتها في إطار سياق عام يجسد إرادة الإنسان الذي لم يعد خاضعًا لوعي آخر مفروض عليه حتى من داخل مجتمعه.

الوعي الوطني من منظور القراءة الثقافية:

وإن ما نسميه وعيًا وطنيًا من منظور القراءة الثقافية قد لا يكون كذلك عندما يتم قراءة عدد من خطاباته وشفراته فقد يكون وعيًا ذاتيًا، أو وعيًا قبليًا، أو وعيًا مشوشًا يضيع في زحمة هذه التعددات. إننا لا نستطيع أن نحدد مفهوم الوعي الوطني إلا بكثير من القراءة الدقيقة، فنحن قد نستجيب شخصيًا لمفهوم الوعي الوطني، ولكن هل هذه الاستجابة الشخصية هي الاستجابة الحقيقية التي تمثل الوعي الوطني، أو أنها واقعة تحت تأثير الإعلام ومنتجة به، وأنه يكمن في بنيتنا الداخلية ما هو أعمق منه؟. إن إغراء المفاهيم والمصطلحات يلعب دوراً كبيراً في التضليل، فمثلاً لو أردنا أن نبحث في مفهوم الوعي القومي عند رجال الجبة القومية علينا أن نعود إلى الأرشيف الخاص الذي كتبوه أو سجلوه لنفهم بدقة تقدير كل واحد منهم لمفهوم الوعي الوطني، وربما نجد أن هذا الوعي غير موجود أساسًا لديهم، أو موجود بصورة إعلامية خارجية كما هو متمثل في الأدبيات السياسية (الخطابات والبيانات) بدليل الصراعات التي قامت بينهم، فلو كانوا ينطلقون من وعي وطني واحد عميق ومؤسس فإنهم لن يختلفوا، وإذًا فثمة مفاهيم أخرى أكثر تأثيراً فيهم تدخل في التأثير على وعيهم الوطني قد تكون مفاهيم قبلية، أو شخصية، وقد تكون انفعالات ذاتية أنانية راغبة في الاستحواذ العشوائي على السلطة. فالوعي الوطني الذي يبدو واضحًا كما تحدده الأدبيات السياسية، هو من حيث المنظور الثقافي غير كذلك عندما يتم مراجعته من خلال كثير من الوثائق والأرشيفات الخاصة والعامة، ودراستها، وتحليلها.

علينا أن نفصل بين مفهوم الوعي الوطني في النصوص القانونية والرسمية ومفهوم الوعي الوطني في النصوص الخاصة، فالنص الذي يقال في الدستور، أي دستور، عن الوعي الوطني هو غير النص الذي ننتجه نحن عن وعينا الوطني، فالنص الصادر عن الذوات الخاصة هو أكثر مصداقية، وقد مرت حضرموت الآن في تاريخها المعاصر بعدد من التحولات، فهل الوعي الوطني في كل هذه التحولات واحد؟ لنأخذ الحالة التي تعيشها الآن وهي حالة الوعي الوطني في إطار الاتصال مع الجنوب والبناء معه،

> ”لو أردنا أن نبحث في مفهوم الوعي القومي عند رجال الجبة القومية علينا أن نعود إلى الأرشيف الخاص الذي كتبوه أو سجلوه لنفهم بدقة تقدير كل واحد منهم لمفهوم الوعي الوطني، وربما نجد أن هذا الوعي غير موجود أساسًا لديهم، أو موجود بصورة إعلامية خارجية كما هو متمثل في الأدبيات السياسية (الخطابات والبيانات) بدليل الصراعات التي قامت بينهم، فلو كانوا ينطلقون من وعي وطني واحد عميق ومؤسس فإنهم لن يختلفوا“

أو حالة الوعي الوطني بحضرموت وحدها دون غيرها حسب المواقف والاتجاهات، فإن أمام القارئ الثقافي -لتبيان ذلك- أن يقرأ النصوص الرسمية وينظر ما تحويه بداخلها من أنساق خفية، فضلاً عن الأرشيف الخاص لاسيما أننا الآن في إطار بنية اجتماعية اقتصادية سياسية كثيرة الاضطراب يتحدد وعينا الوطني من خلالها بكثير من الاضطراب. كما أن الوعي الوطني يكون مختلفًا من وسط شعبي، إلى وسط قبلي، إلى وسط ديني، إلى وسط أكاديمي، بمعنى أن الوعي الوطني قابل لأن ينفصل بعضه عن بعضه الآخر بموجب ثقافة هذه الفئات ورؤاها، لكن المهم أن تلتقي هذه الرؤى في الخطوط العامة بوصفها وعيًا وطنيًا شاملاً في اللحظة التاريخية الراهنة. ولعلنا نتفق في أننا ننظر جميعًا برؤية عاطفية إلى حضرموت من حيث كون حضرموت موطناً للحضارة والثقافة والتاريخ كما نردد دائماً، لكن التاريخ لا يقول ذلك باستمرار، فثمة تاريخ صراعات مسلحة عنيفة شهدتها حضرموت بين القبائل، أو داخل القبيلة

نفسها، وهناك حالات اعتداء على السكان المحليين، فهذه مسائل ليست حضارية يجدر أن يلتفت إلى خطورتها وتأثيرها السلبي عند دراسة الوعي الوطني ومحاولة فهمه وتحديده.

الوعي الوطني وفق مفهومات مستحدثة:

وينبني الوعي الوطني في الوقت الراهن من خلال مفهومات جديدة تشرّع له، فالوطن تتحدد مساحته كياناً وجغرافياً بالصورة التي تكشف عن خصوصيته في مقابل خصوصيات بلدان أخرى في إطار الثنائيات الصغيرة بين البلدان المتجاورة بحيث يتقابل وجوده مع وجودها، وتطوره مع تطورها، أي في تميزه واختلافه عنها، واختلافها عنه سلباً وإيجاباً، فترتبط حركته بحركة محيطه من الدول، وبذلك يمكن أن ينبني الوعي الوطني على أساس منهج معين من التقابل، فيدل على ذاته من خلال ما ينجزه لوطنه، وليس بالاعتماد على الجغرافيا بصورة كبيرة، فقد أثبتت الجغرافيا عدم أهميتها بصورة مطلقة، فالدول ذات المساحات الصغيرة الآن في المنطقة تلعب دوراً كبيراً لا تلعبه بعض الدول ذات المساحات الجغرافية الواسعة، فمفهوم الجغرافيا، جغرافيا الوطن، يمكن أن يظل فاعلاً ويمكن أن يجمد، والمهم العلاقات التي يمكن إنشاؤها مع الدول الفاعلة على النطاق العالمي على مختلف الأصعدة لاسيما الاقتصادية والسياسية وما يرتبط بذلك من تفعيل مناح مختلفة تأخذ مداها في حركات الواقع المعاصر.

الوعي الوطني والتاريخ:

ويجدر في سبيل إدراك الوعي الوطني أن نفهم تاريخنا والتغيرات التي حدثت فيه بعمق، وأن نفهم المجالات التي التحم فيها الوعي بالواقع، بغض النظر عن كون مفهوم الوعي الوطني لم يكن معروفا في التاريخ، فالمهم أن يكون الوعي قادرا على رؤية أبعاده المختلفة سواء كان وعيًا اجتماعيًا أو سياسيًا أو وطنياً يمتلك إمكانية الإرادة والتغيير، ففي تلك الحالة يكون أكثر تأثيراً وقوة كما حدث في المرحلة الإباضية التي تأسس على أساسها في حضرموت مشروع ثوري كبير لمواجهة الدولة الأموية تجاوز منطقة حضرموت إلى خارجها بحيث صارت حضرموت هي التي تحمل الثورة والوعي وتنشره وتدفع به

> ”علينا أن نفصل بين مفهوم الوعي الوطني في النصوص القانونية والرسمية ومفهوم الوعي الوطني في النصوص الخاصة، فالنص الذي يقال في الدستور، أي دستور، عن الوعي الوطني هو غير النص الذي ننتجه نحن عن وعينا الوطني، فالنص الصادر عن الذوات الخاصة هو أكثر مصداقية، وقد مرت حضرموت الآن في تاريخها المعاصر بعدد من التحولات، فهل الوعي الوطني في كل هذه التحولات واحد؟“

إلى الخارج مما لم يتحقق بعد ذلك في مراحل تاريخية لاحقة مما أدخل حضرموت في فلك التفاعل السياسي والفكري القوي في ذلك الوقت وجعلها تتمثل وجودها بصورة جيدة إن لم نقل عظيمة، وبغض النظر عن عدم انتشار الوعي الإباضي المقاوم لأسباب تاريخية متعلقة بقوة الدولة الأموية ومهاجمتها لحضرموت في عقر دارها وغير ذلك، فإنه يكفينا منه أنه قد تجسد عمليًا وحدث فيه التلاحم بين الفكر والواقع، وتحقق من خلاله مشروع الإنسان الذي رسمه لنفسه في ذلك الوقت، ولم يكن ليضطرب لولا الهجوم الكاسح والقوي الذي تعرض له من دولة نظامية كبيرة حينئذٍ هي الدولة الأموية، فمن المهم أن نفهم هذا المنحى وأن نتعمق في دراسته وفهمه لنعلم إلى أين يمكننا أن نتجه؟ وإلى أين يمكن أن نكون؟ ولا يظل وجودنا ينحصر في تفكير نظري معلق عن الواقع، أو في واقع يمشي بغاثا بخليط من أفكار مختلفة يتضارب الوعي فيما بينه على أساسها ومن ثم ينحصر الوعي في إطار صراعات مختلفة قد تفضي إلى شكل من هذه الأشكال، وقد تفضي إلى صراعات بينها، وقد تفضي إلى شكل مختلف.

ويمتاز الوعي في تاريخ الأوطان بأنه عبارة عن سلسلة من التميزات والانقطاعات، فلا يمضي على وتيرة واحدة، وقد يشهد عدداً من المراحل المختلفة والمتنابذة كما في تاريخ حضرموت بين الإباضية والصوفية التي انبثق من خلال وجودها وعلى مدى قرون في حضرموت وعي ديني عمل على نشر سلوك المسالمة بعيدا عن المواجهات العنيفة، أي إنه وعي يقوم على معيارية معينة لا ترغب في الحرب وممارسة القوة بقدر ما تشتغل على مستوى الروح وتهتم بنشر مبادئها وأفكارها بصورة ناعمة على ما في ذلك من سلبيات وإيجابيات.

ارتباط الوعي بالتسمية والمثل:

وللتسمية ارتباط بالوعي فحضرموت تطلق عليها عدة أسماء هي حضرموت، وبلاد الأحقاف، ووبار، وعبدل، وبرك الغماد، وهذه التسميات دليل كما يقول عبدالرحمن ابن عبيدالله في كتابه (إدام القوت) على عهود مختلفة، أي إن التسمية تأتي انطلاقا من تشكل وعي معين تجاه حضرموت من قبل أهلها أو من قبل الآخرين من خارجها في عصور مختلفة، ونحن في التسميات كما في الأمثال نكون ألصق بما نقوله وما نتداوله من خلال التسمية والمثل، فعندما يقول الحضرمي ((وطنك حيث ترزق)) فإنه يجسد هذا المثل تماما عندما يهاجر إلى بلاد أخرى ويستقر بها وتطيب معيشته فيها، فيتعامل معها على أنها وطنه يؤسس الشركات ورؤوس الأموال الضخمة، ولا يرسل إلا القليل، وقد لا يرسل شيئًا إلى وطنه الأصلي حضرموت، بخلاف غيره من الأجناس المهاجرة الذين يحولون أموالهم إلى بلادهم سريعا حتى لو أقاموا في بلدان المهجر عشرات السنين، يبني الحضرمي ويستقر هادئا هانئا حتى لئن لم يأخذ جنسية ذلك البلد، وهنا يتحول موقع المعيشة إلى وطن، وليس الأمر مرتبطا بظروف سياسية في بلاده يمكنه أن يتذرع بها، وهو صادق، كقوله إنه في المرحلة السابقة كان الحزب الاشتراكي يمنع نشوء رؤوس الأموال الضخمة انطلاقا من النهج الاشتراكي، وفي العهد الأخير عهد الجمهورية اليمنية كانت رؤوس النظام تقتضي المشاركة بالنصف في رؤوس الأموال مقابل (الحماية) ولكن لنتجاوز هاتين المرحلتين، إلى ما قبل عام ١٩٦٧م قرنين من الزمان عندما كان الحضرمي يهاجر إلى افريقيا وجنوبي شرق آسيا فإنه ما كان يحول أمواله إلى حضرموت رغم أن الإمكانية كانت متاحة أمامه، على الأقل في المدن، إذًا فالسبب كامن فيه انطلاقًا من الفلسفة السلوكية التي يتضمنها هذا المثل، وقوة النص تكمن في تأثيره وليس بالضرورة أن يكون مطولاً، كتابًا مثلاً، قد يكون مكونًا من عدة كلمات لها تأثير بالغ ككلمات هذا المثل الثلاث، أو الأربع، لو عددنا الكاف (الضمير) كلمة مستقلة (وطنك حيث ترزق) مما يغني عن عشرات الكتب في قوة تأثيره، بل إن النص قد يكون كلمة واحدة، فهل يعني هذا أن حضرموت كانت موطنا لرزق جماعات معينة هاجروا إليها، ثم إذا ضاقت بهم سبل المعيشة فيها غادروها إلى غيرها، فهي بهذه الحال لا تختلف عن أي بلاد يعيشون فيها لأجل الرزق ثم يهاجرون عنها إذا قلت فيها أسباب رزقهم ومعيشتهم؟ هذا احتمال وارد على مستوى القراءة الثقافية التي تبحث عما وراء الظاهر، وهل يعني هذا أن جزءاً من تفكيرنا مازال تحكمه الطريقة البدوية الباحثة عن الكلا والماء مكتفين بالحنين إلى الوطن الأول، مجرد الحنين؟ ربما.

وكما أشرنا في ثنايا هذه القراءة الموجزة فإن الوعي الوطني والوعي بعامة في حضرموت مازال بحاجة إلى مزيد من الدراسات وفق مناهج التحليل الحديثة لرؤية مواطن الخلل والتغلب عليها.

---

* ورقة محاضرة أقامها مركز حضرموت للدراسات والتوثيق والنشر بعنوان (تطور الوعي الوطني في حضرموت) - المكلا ١٦ مايو ٢٠٢٣م

الهوامش:

١) مفهوم الوعي، صفحة منتدى الشهيد المربي زكي شكر الثقافي، على الفيس بوك.

٢) مفهوم الوعي في الفلسفة، تمت الكتابة بوساطة فرج عبدالغني، والتدقيق بوساطة أميرة حجازي، آخر تحديث كان بتاريخ ٧ سبتمبر ٢٠٢١م، انترنت.

٣) وعي، ويكيبيديا، انترنت.

٤) مفهوم الوعي في الفلسفة، تمت الكتابة بوساطة فرج عبدالغني، والتدقيق بوساطة أميرة حجازي، آخر تحديث كان بتاريخ ٧ سبتمبر ٢٠٢١م، انترنت.

٥) ينظر مفهوم الوعي في الفلسفة المعاصرة، موسوعة العقيقي، إدارة وإشراف الأستاذ حامد العقيقي، انترنت.

٦) انطلق بعد ذلك مفهوم القومية العربية، وهو مفهوم آخر حاول توحيد الرقعة العربية كاملة، ولو نظريا، ولكن لم يكتب له النجاح.

مقابلة مع الروائي والمناضل القومي

الأستاذ صالح سعيد باعامر



الأديب والروائي الأستاذ صالح سعيد باعامر، له الكثير من الأعمال القصصية والروائية.. بدأها في العام ١٩٨٣م بمجموعته القصصية (حلم الأم يُمْنَى) وأتبعها بمجموعته القصصية (دهوم المشقاصي) ورواية (الصمصام) في العام ١٩٩٣م، ثم مجموعته القصصية (احتمالات المغايرة) في العام ٢٠٠٢م، ليتبعها برواية (المكلا) ٢٠٠٤م، وليواصل رحلة العطاء الأدبي حتى اليوم في (إنه البحر) و (ملكة الناصر) و(الغمزات الضوئية) وغير ذلك من الأعمال الإبداعية.

حاوره/ صالح حسين الفردي



24
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

• نرحب بك أستاذ صالح على صفحات مجلة "حضرموت الثقافية"، لنوثق حوار ذكريات الزمن الحميمي الذي مضى، وننثر صفحات من رحيق الأمس، فأهلاً وسهلاً بك ؟!.

– أهلاً وسهلاً بكم وأنا سعيد جداً بإجراء هذا الحوار مع مجلة (حضرموت الثقافية) التي صارت تشغل حيزاً بارزاً في ثقافتنا المعاصرة في حضرموت، وسعيد بكم شخصياً أ. صالح.

• أستاذ صالح بعد رحلتك الطويلة في محطات الحياة المتعددة، ما هي المحطة التي تجد فيها الإنسان الحالم صالح سعيد باعامر.

– هي تلك التي أعبر فيها عن هجسي، بادئ ذي بدء، وكان الهجس الحرية.. حرية الذات.. حرية القول.. حرية الوطن.. حرية التفكير والتعبير ومحاربة العادات المعيقة لحياة الشباب الطامح في حياة متحررة من أسر العقل الجامد، فكان بدء الجهر بما أريد، و كان بدء التكوين التعليم والتعلم والثقيف والتثاقف، وحب الكتاب، والمجلة، والمذياع، والتتلمذ، والتلقي عن الذي سبقني إلى عالم المعرفة ومد الجسور التواصلية.

• الأستاذ صالح باعامر رحلة حياة، ومحطات عمرٍ، وتنوعات إبداع، كيف كانت البداية الإبداعية ومتى وأين؟!

– أهم المحطات في حياتي الإبداعية مدينة المكلا التي خصصت لها رواية خاصة بعنوان (المكلا) وقد جذبتني، فبحرها امتداد لبحر قصيعر، وقد صار وجداني في المكلا أكثر رقة، وأكثر حباً للجمال، فعاطفتي مع المكلا غير، وتليها عدن التي فاقت أخيلتي وعواطفي، أما رقيي فيتصل بالكويت، وإذا كانت قصيعر رعت النبتة فالمكلا والكويت أخصبتاها، وعدن أينعتها، وكل هذه المدن أوجدتني، وأيقنت أني مهما سرت الهوينى، وخببت، أو ركضت فلا هناء ولا مأوى ولا ملاذ إلا في حضن المكلا، فقصيعر تعني البراءة، والكويت التفتح، والمكلا التفتق، أما عدن فهي الخيال والتخييل والفضاءات التي لم تقل من قبل، ففي المكلا وجدتني أقترب شيئًا فشيئا إلى الكتابة السردية وفيها أنجزت خمس مجموعات قصصية، وخمس روايات كلها طبعت ووزعت، وما زال في الخاطر هجس لما هو جميل، والجمال هنا جمال إبداعي. وتلعب اللغة الدور الأهم في المعالجة الفنية، والكاتب الروائي مهمته أن يبحث عن الفكرة غير المتداولة وأن يجود من أدواته التعبيرية، وأن يجدد من إبداعاته.



" أهم المحطات في حياتي الإبداعية مدينة المكلا التي خصصت لها رواية خاصة بعنوان (المكلا) وقد جذبتني، فبحرها امتداد لبحر قصيعر، وقد صار وجداني في المكلا أكثر رقة، وأكثر حباً للجمال "

• الأستاذ صالح باعامر عمل في صحيفة الشرارة في ١٩٦٨م، ليتحمّل إدارة تلفزيون العاصمة عدن في ١٩٧٠م، فيعود ليرأس تحرير صحيفة الشرارة في العام ١٩٧٤م، وتقلّد منصب مدير عام مكتب وزارة الثقافة بمحافظة حضرموت حتى مغادرته للمعاش التقاعدي، كيف ترى هذه المحطات في حياتك بالأمس وبماذا تصفها اليوم بوصفها من رحيق الأمس؟!

– في أثناء تحملي إدارة الثقافة في حضرموت ظل الهجس بالحرية هو الهجس، لكن لا أخفيك سراً إذا قلت لك إن الإدارة تعرقل الإبداع، والراوي يجب أن ينطلق دون عائق، ولكن أجدني آنذاك في أثناء العمل أدون فكرة ما أريد أن أجد لها موقعًا في مشهد روائي، وأحيانًا، فإن قضية إدارية معينة قد تنقض ما غزلته فنيًا، وأشياء أخرى لا أحبذ ذكرها.

• هذه المرحلة أستاذنا تجعلنا نفتح نافذة على نشاطكم السياسي قبل الاستقلال، وما قمتم به من أدوار في سنوات المدّ الثوري ومواجهة الاستعمار البريطاني، وإزاحة حكم السلاطين، هل لك أن تضعنا وتلك المرحلة التي لم تزل محكمة الإغلاق لديك وغيرك من أبناء جيلك النضالي الثوري؟.

– علقت بالسياسة، ومجازًا بالنضال في وقت مبكر من حياتي، وكان الفضاء قصيرعر من خلال نادي الوحدة الرياضي الثقافي الاجتماعي في عامي ١٩٦٠م، ١٩٦١م الذي كان مناصراً لعبدالناصر، وقد اتسم هذا النشاط بالعفوية، ولم يتبلور النضال الحقيقي إلا في الكويت، وانضمامي إلى تيار الحركة القومية ممثلاً في حركة القوميين العرب الذي فتق أمامي طرقًا وسبلاً واسعة للسير من أجل التحرر، واستقلال حضرموت والجنوب، وكنا في ضمن إطار قاعدي (حلقة خلية قيادية)، ورابطة تنظيمية مع عدد من شباب اليمن عمومًا، لكن التطبيق على أرض الواقع كان في حضرموت الساحل، عاصمة السلطنة القعيطية بعد عودتي في منتصف عام ١٩٦٦م، وكنت مع رفاقي نناضل ضمن الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل إلى يوم الاستيلاء على حضرموت الساحل ثم الوادي فالمهرة وسقطرى وبلاد الواحدي إلى أن أنجز استقلال الجنوب عام ٦٧م وقيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

وفي هذه الأثناء عملت محرراً في صحيفة الشرارة لسان حال تنظيم الجبهة القومية الحاكم في حضرموت ثم انتقلت إلى سكرتير دائرة الفكر والثقافة والإعلام في سكرتارية التنظيم



" في أثناء تحملي إدارة الثقافة في حضرموت ظل الهجس بالحرية هو الهجس، لأن الإدارة تعرقل الإبداع، والراوي يجب أن ينطلق دون عائق، ولكن أجدني آنذاك في أثناء العمل أدون فكرة ما أريد أن أجد لها موقعًا في مشهد روائي، وأحيانًا، فإن قضية إدارية معينة قد تنقض ما غزلته فنيًا، وأشياء أخرى لا أحبذ ذكرها "

بحضرموت، وآخر عمل لي هو مدير الثقافة بحضرموت، والآن متفرغ للكتابة.

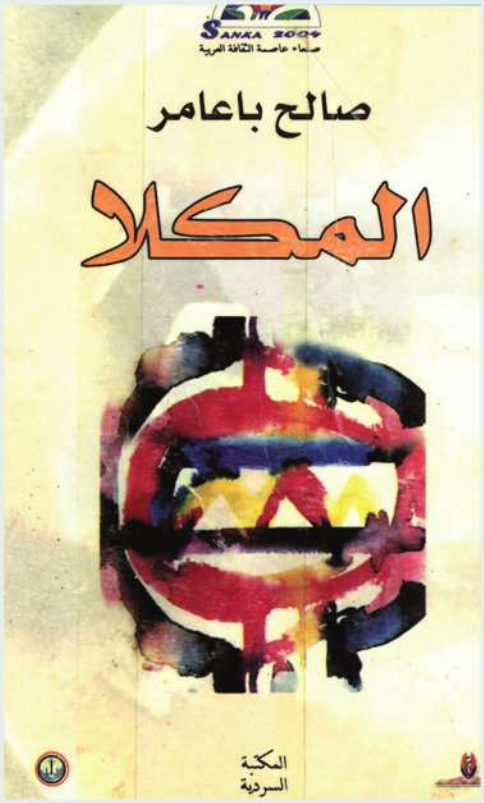
السياسة علم، وكما عرفها مفكروها لا سيما الماركسيين، السياسة علم تغيير المجتمع، وليس بالضرورة أن تكون احترافاً، ومما سبق كان نشاطي السياسي على مستوى التغيير الاجتماعي في وطني، ولست نادماً على ما حدث، حتى لو كان سلباً فالشيء المكتسب في التجربة هو طموحنا في التحرر، وإن كانت المسألة نسبية فثمة من يحن على الماضي ويصفه بأنه (الزمن الجميل) بينما الجميل والقبيح في كل الأزمنة.

• أستاذ صالح باعامر توزع إنتاجك الأدبي (قصةً ورواية وخواطر) فما هو الفضاء الذي بلور رؤى وأحلام وأمنيات الأديب المفكّر صالح باعمر، ولماذا؟!

– الفكرة تبتدع من خلال الغوص في قضايا الإنسان وهي لا تنضب، الفارق بين الأمس واليوم هو أن الحلم كان لا يتعدى الحلم القريب الذي لا يجاوز الآن، فصار الحلم أعمق، وارتبط بسعة الخيال والحس الجمعي، وبالقضايا الكبرى والخلاص من معيقي حرية الإنسان وانعتاقه من كل ما يعيق تقدمه. بالأمس تسيد عبق الرومانسية المحلقة في فضاء الخيال وتعمقت مواجهة حقيقة ثالوث الخرافة، والتسطيح وعدم معرفة الواقع، وتجاوز معادلة الشكل والمحتوى، والاهتمام بجماليات الشكل، واليوم صرنا أكثر تشبثًا بجماليات التلقي بحيث يشارك القارئ الكاتب في نقده، وبذلك يكون مشتركًا في كتابة النص الذي يتعاطى معه.

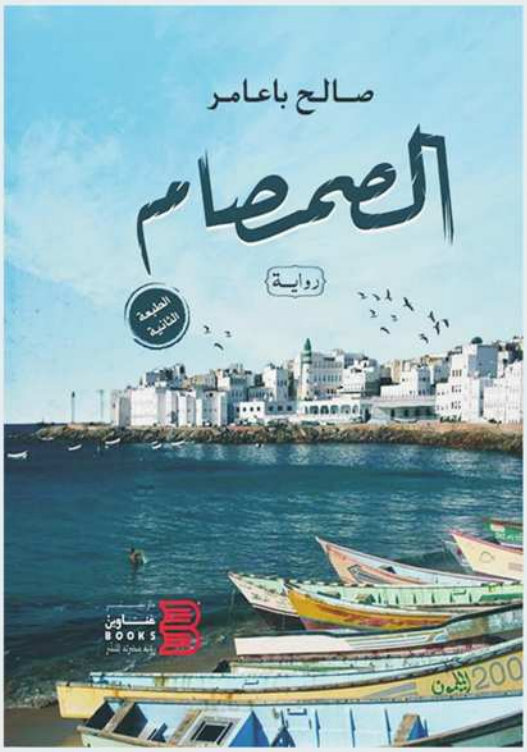
• كيف تجد أحلام الأمس التي نثرتها في حيوات أعمالك السردية، وما يشي منها اليوم في عالم الواقع؟!.

– كل عمل إبداعي مهما ابتعد عنه مبدعه عند الكتابة لا يمكن أن يكون مكتملاً بأبعاده الفنية والإنسانية والوجدانية، فلا بد أن ينطلق الكاتب من شيء يكتوي به ولو من بعيد وإلا سينتج عملاً خاليًا من الحياة لا سيما السرد الذي يبنى فنيًا على أشخاص يتم الالتحام معهم دمًا ومشاعر حتى تينع الرواية بالإنسان الذي يفكر، يحب ويكره، ويتبنى، ويتعلم ويعلم، ويتأثر سلبًا وإيجابًا مثلا رواية (المكلا) الجانب الذي يمكن أن نبحث فيه عن شيءٍ له علاقة بالرواية هو التخييل فيما يتعلق باختطافي الذي لم يحدث أساسًا، لكني أوردت ذلك ليحدث مقارنة بين ذلك الاختطاف الكاذب الذي عمدت إلى إيجاده في ظل نظام الوحدة، وبين سجني بصورة قانونية في ظل نظام الحزب الاشتراكي اليمني. الاتهام الذي وجه إلي قبل الوحدة هو (الانحراف)، والذي وجه إلي بعد الوحدة هو (الماركسية)،



> ”
> رواية (المكلا) الجانب الذي يمكن أن نبحث فيه عن شيءٍ له علاقة بالرواية هو التخييل فيما يتعلق باختطافي الذي لم يحدث أساسًا، لكني أوردت ذلك ليحدث مقارنة بين ذلك الاختطاف الكاذب الذي عمدت إلى إيجاده في ظل نظام الوحدة، وبين سجني بصورة قانونية في ظل نظام الحزب الاشتراكي اليمني. الاتهام الذي وجه إلي قبل الوحدة هو (الانحراف)، والذي وجه إلي بعد الوحدة هو (الماركسية)
> “

27
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



الاتهام الأول حدث من قبل الاشتراكي والاتهام الثاني لم يحدث (تخييل) ولكن القارئ الحصيف يستطيع أن يقرأ النص بعيداً عن قصدية الكاتب أي يمكنه أن يفصل بين النص وكاتبه، كذلك هو الحال بالنسبة للقصص والروايات الأخرى.

وفي (الصمصام) كانت حسناء الفتاة السقطرية التي لعبت بعقولنا ونحن نحاور براءتنا واختطفها بدوي أكثر جرأة وجدية ووسامة في قصة (العيك العيك) التي تعني باللغة السقطرية (أكرهك)، ودهوم المشقاصي الذي كنا نتمثله وهو يشق البحر ويمتطي قاربه ليعارك الأمواج العملاقة والأسماك الكبيرة، ويسابق أمهر الصيادين ليكون له قصب السبق في تدشين موسم الاصطياد.

• في رواية المكلا .. استرجعت الكثير من مخزون ذكرياتك لمعاناة السجن التي عشتها بعد أحداث يناير من العام ١٩٨٦م في عدن والوطن، فهل أنت راضٍ عن هذه الرواية فنياً، أو أن السياق السياسي قد أوقعك في بعض الأحيان في التقريرية والمباشرة؟!

– ثمة تقريرية أو مباشرة في رواية (المكلا)، فتأثير الواقع يكون أبلغ من أي خيال أو تخييل أو تزويق، فاللحظة التي تنزل على الكاتب وهو يعالج نصه هي التي تجد سبيلها على الورق.

• لك صداقات كثيرة بمبدعي عصرك الذين تنوعت إبداعاتهم الأدبية، شعراً فصيحاً وغنائياً، فهل لك أن تضعنا وما علق بالذاكرة من بقايا رحيق ذلك الأمس؟!

– من أصدقائي الفنانين والشعراء عبدالقادر الكاف، الملحن، الإنسان، العاشق الذي رحل وهو في قمة العطاء الإبداعي، هذا الفنان الحق الذي غاير ما هو سائد لأنه ابتعد عن نمطية الغناء الحضرمي الذي كان يدور حول أجواء الدان واللون الغنائي العوداي أو الصوفي إذا استثنينا تجربة المحضار، فعبدالقادر الكاف بدءاً من أغنية (شمس الضحية غابت) بدأ يطلق لوناً يمكن أن نطلق عليه غناء الوادي والصحراء، وشكل مع تجربة الأخوين حسن ومحفوظ باحشوان ومحمد عمر بن طالب وحسن بن طالب العامري تجربة خاصة، فعبدالقادر الكاف لم يأتِ من فراغ، فنحن أمام مدرسة غنائية اتسم بها الوادي تشم فيها عبق التربة، ونكهة البر الهلباء.

ثمة شيء ينفث رقة، ضمخ أغنيتنا، رقة يمكن إدراجها في سياق الرومانسية من حيث طغيان الحب والجمال يا (لذيك المناظر) أو قسوة الحبيب (لا تغرك شبعة العيد) لصالح عبدالرحمن المفلحي.

وفي الشعر أميل إلى ما يكتبه خالد عبدالعزيز وطاهر عاطف و د. سعيد الجريري وصالح المفلحي وعبدالقادر الكاف، وفي المقدمة منهم المحضار وفي السرد ما يكتبه سالم العبد وعلي باذيب ووجدي الأهدل وآخرون، وفي النقد د. عبدالله البار، وطه حسين الحضرمي.

• كيف تصف عالم المشقاص الذي كان هو المنهل الأول لذاكرة الأديب باعامر، وهل نجحت في أخذه معك إلى المدينة أو استطاع أن يبقيك فيه في كل المحطات؟!

28
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

– بلد المشقاص يضج بكنوز الثقافة الشعبية المتعددة التي تتوزع بين الريف والساحل، فمن خلال البحر الزاخر بالعطاء تنهل من ثقافة البحر التي تعلمك الحياة فيه كيف تعرف البطولة؟ وكيف تواجه المجهول؟ وكيف تعانق الأمواج وتواجه العواصف؟ وكيف تعارك أسماكاً عملاقة شرسة سمتها أن تأكل حتى لا تؤكل، وعلى الضفاف تتعلم أو تتثقف كيف (توشرّ) السفينة؟ وكيف تصنع بفنية ومهارة وإتقان؟ وكيف (تقلفط) جوانب السنبوق بالمطارق التي تقرعها أيد ألفت تناغم النقرات فوق المسامير الكبيرة المغروسة فوق الألواح الخشبية الملتصقة ببعضها مشكلة لوحة أخاذة ومتكاملة للسنبوق على أيدي النجارين من آل بن ربيد وآل بازياد، وكيف تلم بأسماء مفردات ما تريده السفينة للإبحار من دقل، وشراع، وقلمي، وشلمان، وأين تقع السطحة الأمامية التي تتصدر السفينة والسطحة الخلفية التي تقع بها قمرة النوخذة والصرنج والسكوني وصاحب (الديره) وأسماء البحارة الكبار والصغار من البحار الماهر إلى الطحان إلى صغير درك؟ ومتى يتم تكوير السمبوق وكيف (يجحب) والأهازيج التي تتردد في أثناء ذلك قبل الإبحار؟

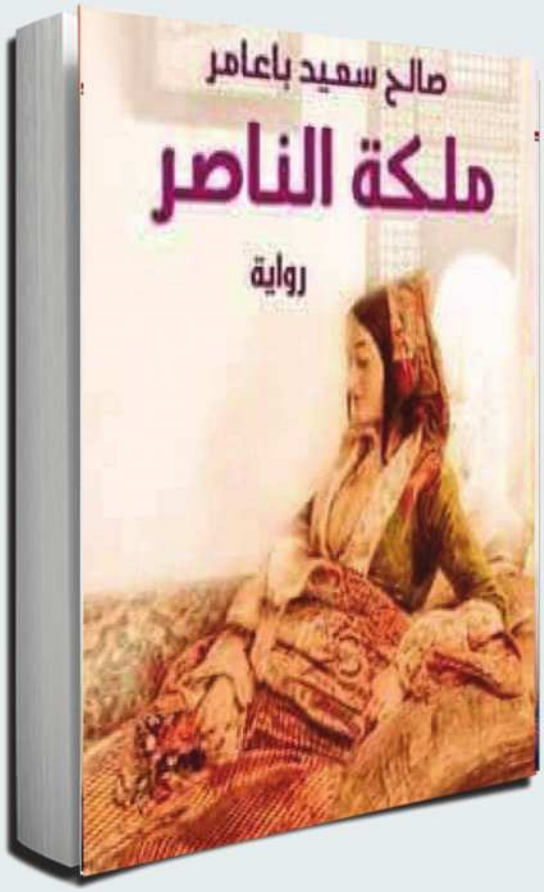
أما الريف ففيه ثقافة الأعراس، وذري البذرات في باطن الأرض، والحصاد، وكيف يحاول شاب أن يقترن بفتاة ليست من قبيلته؟ وكيف ينبري له ابن عم الفتاة؟ وكيف يراقص الرجل المرأة في (المدارة)؟ وكيف تقام الزوامل؟ وكيف تردد (التنصيورة)؟ ومتى؟ وكيف تطلق الرصاصات فوق الرؤوس دون إصابتها أحداً؟ وكيف يزف العريس والعروسة؟ وكيف يربى الطفل على الرمي بالبندقية؟ وكيف يدافع عن نفسه؟.

• هناك حضور طاغ للمرأة بوصفها ملهمة وعاشقة في جلّ أعمالك السردية، وتظهر فيها رؤية الفنان والأديب لهذه الكينونة، فهل هناك تماهٍ أو اختلاف بين رؤيتي الإنسان والفنان باعامر أو بينهما تضاد وصراع؟!.



"وجود شخصية المرأة في كتاباتي السردية ليس وجوداً ديكورياً تزينياً، بل هو ضرورة فنية تعبر عن حياتنا الإنسانية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ووجدانياً، فنجدها في رواية (ملكة الناصر) كاتبة ومناضلة شرسة وصحفية مثابرة وحبيبة تحب من أجل النجاح المهني والصحفي ومن أجل القضية، وحين تستشعر أن هناك ضعفاً سرعان ما تضحي بحبها وتناصر البعد النضالي، ونجدها في رواية (إنه البحر)جزءاً من نسيج مشروع قرينها الذي يهجس -وهو النوخذة - للأمواج والسفينة وجماليات الحياة"

29
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م





– وجود شخصية المرأة في كتاباتي السردية ليس وجوداً ديكورياً تزينياً، بل هو ضرورة فنية تعبر عن حياتنا الإنسانية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ووجدانياً، فنجدها في رواية (ملكة الناصر) كاتبة ومناضلة شرسة وصحفية مثابرة وحبيبة تحب من أجل النجاح المهني والصحفي ومن أجل القضية، وحين تستشعر أن هناك ضعفاً سرعان ما تضحي بحبها وتناصر البعد النضالي، ونجدها في رواية (إنه البحر) جزءاً من نسيج مشروع قرينها الذي يهجس – وهو النوخذة – للأمواج والسفينة وجماليات الحياة.

وإلى ما قبل بضع من السنين ظلت بعض نزوعات حنامينه تؤثر في صناعة الإناث كتابياً لاسيما شخصية المرأة العاشقة، وثيمة البحر، لكن مع مرور الأيام أخذت أتخلص من التأثر، وأستحضر شخصيتي السردية، وأظن أني نجحت في إيجاد شخصيتي الروائية انسجاماً مع كينونة المرأة في بلادي.

• أستاذ صالح احتفت العديد من أعمالك السردية – قصةً وراويةً – بالبحر وغصت فيما علق به من عادات وتقاليد وحكايا عشق وصراع رؤى وأفكار، فهل توزعت سيرة حياتك الذاتية أو بعض منها في ثنايا هذه الأعمال؟!

– البحر جميل ساحر المنظر إلى حد أنك قد تقدم على مغامرات لامتطائه بل احتضانه. البحر لوحة كونية، تحدق فيه وكأنك تهفو إلى الجنان. وكنت أصابحه وأماسيه منذ نعومة حياتي الأولى ونحن لصيقان معاً إلى الآن، لا يمكن الفكاك عن بعضنا، ولأنني لم أمتطه من أجل امتهانه على الكبر حفر ثقباً كبيراً من الحسرة في كل دواخلي فأجدني من البدء أقف متفرجاً عليه وعلى أقراني وهم يجولون فيه، ويرتطمون به، ويخبطون أمواجه بأيديهم وأرجلهم، ويشقون صفحته، ويغوصون في أعماقه، ويهيمنون عليه طولاً وعرضاً، وكأنهم يقومون بدور السلطان عليه إلا حين يثار فيستبيح كل القوى.

لقد ترعرعت من النظر إليه، أحلم به كما تحلم كل أم دون أن أحقق حلمي لكنني مدين له إلى ما لا نهاية. وكنت أعود إلى

أبي منكسر الخاطر حزيناً تائقاً إلى انبلاج يومٍ جديدٍ لألعب معه لعبة الحلم والتشهي، وكلما أدبر الحلم ولم يتحقق أنتهي لتبدأ الكتابة السردية، وبربك أضل أسيراً لتضمخه في كتاباتي السردية، وكانت مناهل القصة والرواية والحب وجماليات الكتابة تأتي منه، من البحر.



الأستاذ صالح باعامر في إحدى فعاليات اتحاد الأدباء والكتاب بالمكلا

• الإنسان صالح سعيد باعامر الزوج والأب والجد، أطال اللّه في عمرك، كيف تضعنا والمستمعين وهذا الثالوث الإنساني في رحلة حياة المبدع الأديب باعامر؟!.

– حياتي العائلية كحياة أي زوج وأب وجد حميمية أريحية، وإذا ابتلاني الله أقابل ذلك بامتنان، ورب ضارة نافعة وكنت قبل ذلك أغرق في الحلم والتفاؤل، وفي كل حالة تمر بي تمسني اللغة بصورة خاصة تعبر عن الحالة النفسية.

• إذا سنحت لك فرصة العمل مخرجاً تلفزيونياً أو سينمائياً، وخيرت بين أعمالك الأدبية لتخرج أحدها في عمل درامي للجمهور، فما هو العمل الذي ترشحه لهذه الخطوة والحظوة، ولماذا؟!

– المسألة نسبية فعندما تظهر رواية للتو أسعد وأكون راضياً عن نفسي بها، وبعد وقت من الزمن أنحيها جانباً وأشتغل غيرها، وفي الرواية الجديدة أكتب وضعاً مختلفاً مستفيداً مما لم أفعله في الأولى، وإذا حدث ذلك أرشح رواية (ملكة الناصر).

• هناك علاقة حميمية ربطت بينك والشاعر الرقيق المبدع صالح عبدالرحمن المفلحي، وجمعت بينكما روح الجوار بالحي الجميل حي السلام بالمكلا، وتكللت هذه العلاقة بالروابط الأسرية، متى بدأت هذه العلاقة وكيف سارت وتجلّت؟!

– شكَّل الشاعر الرقيق الملحن العذب والصديق صالح عبدالرحمن المفلحي نقلة نوعية في مجال التنوع الجميل في ثقافتي الغنائية شعراً ولحناً وموسيقى إذ إن مفردات قاموسه الشعري الغنائي مختلف عن المألوف وفقاً للقضية العاطفية الوجدانية التي تتوهج في الأفئدة وقد توطدت علاقتي به بعد أن ارتبطنا أسرياً، فالمفلحي أحسن جليس. إنه ينفث رقة وإنسانية، ويجيد النكتة ورواية الحديث والنوادر، وكانت أسرته مثالاً للمحبة والأريحية والأنس والعلاقة المثلى، رحمه الله.



الأستاذ صالح باعامر في مكتبته مع الزميل عبداللّه باحارثة

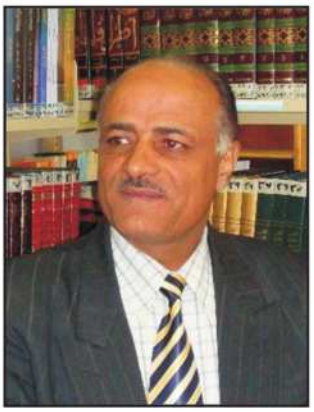
31
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

دولة ابن مُقَيْص في حضرموت

(في مصادر ووثائق تاريخية تُنشر لأول مرة)

(١ - ٢)





أ.د. علي صالح الخلاقي*

توطئة:

ربما لم يسمع كثيرون باسم (دولة ابن مقيص) التي ظهرت في حضرموت الداخل مطلع أربعينيات القرن الثالث عشر الهجري، وتحديداً سنة ١٢٤٢ هجرية، وليس سنة ١٢٤٣هـ، كما سنبيّن لاحقًا، ولم يكتب لها البقاء طويلاً؛ إذ شهدت نهايتها التدريجية خلال الثلاث السنوات اللاحقة، ولذلك ارتبطت في الذاكرة الحضرمية في كونها أقصر دولة تُذكر في تاريخ حضرموت، حتى أصبحت محل تهكُّم وسخرية؛ لقصر عمرها، الذي لم يتجاوز العامين، بل غدت مثلاً يضرب به في قصر المدة، فيقال: (كما دولة ابن مقيص)؛ دلالة على عدم الثبوت والاستقرار والاستمرار. ومثلما كان عُمرها قصيرًا، فإن تاريخها ما زال مُبهماً وغامضًا، والمعلومات التي وصلتنا عنها شحيحة ونادرة جدًا، تقتصر على شذرات ونتف من أخبارها، مما ورد هنا وهناك في بعض المؤلفات الحضرمية، التي تكرِّر المعلومات الشحيحة نفسها، مع بعض التضارب.

ما حفزني للكتابة عنها هو حصولي على ثلاث وثائق تاريخية مهمة، ذات صلة بدولة ابن مقيص، تعود إلى فترة نشوئها، وهي ليست وثائق رسمية، وإنما رسائل شخصية مُرسَلة من حضرموت إلى يافع، لكنها مصادر أصيلة، لا لبْسَ فيها، وتحتوي الجديد والمفيد، محفوظة في خزائن الوثائق بحوزة أسرة فقهاء بني بكر - يافع (آل عز الدين)، والفضل في ذلك يعود لخازن



هذا التراث النفيس الشيخ ناصر علي محمد الفقيه بن عزالدين البكري، الذي بادر مشكوراً لإخراج هذه الكنوز من أقفاصها، التي ظلت حبيسة فيها لأكثر من قرنين، وأتاح تصوير الكثير منها؛ لتكون في متناول الباحثين، ولاسيما تلك الوثائق التي وردت فيها أخبار الأحداث التاريخية في حضرموت وعلاقتها ببيافع، ومن ضمنها هذه الوثائق النفيسة، التي تعرضت لأحداث تلك الفترة ضمن الأخبار العامة، ومن ذلك شمولها على حلقات مهمة مفقودة من أخبار نشوء دولة ابن مقيص؛ إذ تكشف لنا جوانب مهمة من ذلك الغموض الذي اكتنف تاريخها القصير منذ لحظة تأسيسها عقب وصول ابن مقيص من مهجره في جاوا (أندونيسيا)، بما كسبه من ثروات مالية، عاد بها معه إلى حضرموت وحتى نهايتها.

والرسائل هي حسب تسلسلها الزمني:

(١) الرسالة الأولى: مرسلة من سيئون من عبد الحبيب بن صالح بن محمد سعيد الجحوشي وعلي بن عمر شهابي إلى يافع - بني بكر إلى كل من: الفقيه عبد الحبيب بن أحمد حيدر والفقهاء حيدر عبدالله وعبدالرحمن بن علي سعيد حيدر البكري، محرَّرة في النصف من شهر صفر سنة ١٢٤٣ هجرية.

(٢) الرسالة الثانية: مُرسلة من المكلا من عبد الحبيب بن صالح بن محمد سعيد الجحوشي الضُبي، محررة في ١٦ شعبان (لم يرد ذكر السنة)، ومرسلة إلى بني بكر إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر وعبدالرحمن وعلي وحيدر بن عبدالله الفقيه.

(٣) الرسالة الثالثة: مُرسلة من منصب عينات، أبي بكر بن أحمد بن سالم (١٢٤٢-١٢٦١ هجرية)، أرسلها إلى بني بكر - يافع إلى كل من: الشيخ الفقيه عبد الحبيب بن أحمد حيدر والشيخ عبدالله بن عوض دينيش وكافة المحبين بني بكر والمحب محمد صالح، وهي بدون تاريخ.

وتكمن القيمة التاريخية لهذه الرسائل المهمة في كونها معاصرة وقريبة من الأحداث، اثنتان من سيئون وواحدة من المكلا، وتعرضت بشكل متفاوت لبعض أخبار حضرموت في مجالات شتى، تفيد الباحث في الشأن الحضرمي عن تلك الفترة، وضمن ذلك أخبار دولة ابن مقيص، أو سلطنة ابن مقيص، حسب توصيف بعض تلك الرسائل، التي احتوت على حقائق ومعلومات جديدة ومفيدة عنها، من ذلك إعادة النظر في تاريخ نشأتها، ومواقف كثير من القوى منها، وأسباب فشلها. وهذه الوثائق مصادر أصيلة وأساسية، لا يرقى إليها الشك، وتميط اللثام عن بعض جوانب الغموض لهذه الدولة، وتبين المواقف المساندة والمعارضة لها. ومن بين تلك الرسائل ما يكتسب أهمية خاصة وهي رسالة منصب عينات، التي أوضحت لنا لأول مرة موقف عينات المعارض لهذه الدولة، والمتضرر الأكبر منها، خلافًا لمواقف بقية السادة الذين كانوا وراء قيامها، ودعموها بقوة لأسباب سنأتي على ذكرها لاحقًا.

فضلاً عن الاستناد إلى ما جاء في هذه الوثائق، فقد تتبعنا ما ورد في المصادر والمؤلفات الحضرمية من شذرات متناثرة عن هذه الدولة؛ لإثراء هذا البحث الذي يعد الأول من نوعه عن دولة ابن مقيص.

ظروف وأسباب نشأة دولة بن مقيص:

سادت حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري سلطات المدن المتعدِّدة، وغلبة الصراع بينها على الحكم والنفوذ والتسلط، فعمّت الفوضى والفتن، والجنوح إلى البطش والظلم والطغيان، ولم يستطع أحدٌ كبح جماحها وردها إلى صوابها.

وبالنظر إلى الوضع السياسي العام بحضرموت في ذلك القرن نجد أن أبرز مظاهره هو نهاية الدولة الكثيرية الأولى، وبروز سلطة الطوائف اليافعية وغيرها من القبائل الحضرمية، التي تقاسمت النفوذ في مدن حضرموت، بل إن تريم وحدها تقاسمتْها سلطة مثلَّثة، شملت آل غرامة، وكانوا مسيطرين على وسط مدينة تريم ومنافذها الجنوبية، وآل همام، أصحاب حصن الرّناد، وكانوا مسيطرين على حارتي السوق والخليف، وكان بينهم وبين آل غرامة من الإحن والعداوة ما لا يدخل تحت وصف، وآل عبدالقادر، أصحاب حافة النويدرة بتريم، وكان بينهم وبين كل من آل غرامة وآل همام بغضاء ومنافسة لا حدود لها، وفي سيئون آل الضُّبي، وفي تريس بنو النقيب، وفي شبام الموسطة، وبنو بكر في مريمة، وابن يماني التميمي في قَسَم، والعمودي في دوعن... إلخ. أما الساحل الحضرمي فكان تحت سيطرة الكسادي في المكلا ونواحيها، وابن بريك في الشحر ونواحيها "إلا أن الحُكّام بالساحل كانوا على وئام مع الأهالي، وكان حكمهم متميزاً بالاعتدال ورعاية الحقوق، وبالأمن والاطمئنان"[١].

وقد جرت محاولة لإحياء الدولة الكثيرية من قبل جعفر بن علي الكثيري؛ إذ استولى على شبام، سنة ١٢١٨ هجرية، لكنه أخفق في توسيع نفوذه إلى سيئون وتريم وكانتا تحت حكم الطوائف اليافعية، وتوفي سنة ١٢٢٣ هجرية دون أن يحقق طموحاته. وعلى أنقاض حكم أسرة جعفر بن علي الكثيري قام حُكم أسرة آل عيسى بن بدر في شبام سنة ١٢٣٩ هجرية[٢].

وفي عشرينيات ذلك القرن تكرَّرت في حضرموت موجات حملة ابن قملا الوهابية، فأحدثت صدمة في ثوابت المجتمع الحضرمي، وانقسم الحضارم بكل فئاتهم في مواقفهم تجاه هذه الحملة، بين طرف مؤيِّد مناصر لها ومتقبِّل لأفكارها ومشارك في نشرها، وطرف آخر معارض ومقاوم لها ورافض لأفكارها ومبادئها التي نادت بها؛ لأنها تعرَّضت لمعتقدات ترسخت في أذهان الناس، ويصعب تغييرها بالقوة، وهناك طرف ثالث كانت مواقفه حَذِرةً من الحملة وقَبِلَ بها على مضض كأمر واقع[٣].

وقد يكون من أسباب قيام هذه الدويلة هو تخوُّف العلويين من المد السلفيِّ، الذي يقوده الأمير ابن غرامة، الذي كان من أشد أنصار حملة ابن قملا، وعُرف بتشدُّده للدعوة الوهابية (نسبةً للشيخ محمد بن عبدالوهاب)، وفرضها في تريم[٤].

كما نشبت حرب ضروس بين السيد أحمد بن سالم بن أحمد بن الشيخ أبو بكر منصب عينات والمقدم عبدالله بن أحمد بن يماني، في ثلاثينيات القرن الثالث عشر الهجري، من جراء الحصون المسماة بالغرفة، خارج بلدة (قَسَمْ)، واستمرت هذه الحرب نحو سبع سنوات، تضرر الناس منها أيَّما ضرر، وجنَّد كل منهما جنوداً من المقاتلة، عادت عليهما وعلى غيرهما بالخسارة والدمار[٥].

وفي ظل تلك الفوضى التي مدَّت أطنابها، ونصبت خيامها في حضرموت الداخل بشكل خاص، ساد التمزق والتشتت والفتن والصراع، وكانت تلك الدويلات والكيانات والشُّلَل تصارع أقدار الحياة وتتنازع على البقاء، ولكل من أولئك الفرقاء يخضع قطاع من الرعايا الحضارم المستضعفين في الأرض، المحرومين من كل حق إنساني أساسي، إلا من حق الموت جوعًا وقهرًا، ويحيط بهؤلاء جميعًا قبائل سيبان وبالعُبَيْد والقَثَم والدَّيِّن ونَوَّح، وهؤلاء كانوا يقتتلون فيما بينهم على أتفه الأسباب. ولم يكن العلويون في المنطقة ذوي جاه ونفوذ روحيين فحسب، ولكنهم كانوا أيضًا من الناحية الذاتية الإيجابية أكبر قبيلة في حضرموت من حيث العدد والثقافة والمال، ومتانة العلاقات فيما بينهم، وشدة الغيرة عليها

والتأثير الفكري في مجتمعهم، وكان فيهم السياسيون والدعاة وأرباب الشجاعة والرأي والكرم والصلاح والإصلاح، وبلغ بهم وبالناس الآخرين سوء الحال في وادي حضرموت حَدًّا حَدَا بهم إلى أن يمسكوا بالقشة أمَلاً في النجاة من سيل الظلم الجارف، الذي كانت أمواجه تتقاذف بهم في كل اتجاه[٦].

ولمواجهة تداعيات تلك الأوضاع المضطربة، وما تعج به من فتن وحروب، وتفشي الظلم والجور والقتل وبالأخص في وادي حضرموت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري جرَّاء تصرفات السلطات اليافعية والكثيرية القائمة حينذاك في تريم وسيئون وشبام ونواحيها، ظهرت دعوات للإصلاح وإقامة العدل، تصدَّرها السادة العلويون الذين يحظَوْنَ بثقة الأطراف المتنازعة؛ لحياديتهم في تلك النزاعات والتجاذبات، وكانت دعواتهم مقبولة، وكلمتهم مسموعة؛ لما لهم من تأثير روحي، ومكانة اجتماعية في إطار النظام التراتبي الاجتماعي في حضرموت، ودورهم المشهود في النشاط الدعوي والتعليمي الواسع، ومكانتهم الدينية والثقافية في حضرموت.

من هو ابن مقيص؟

لابد لنا في البدء أن نتعرف على شخصية مؤسس هذه الدويلة التي لم يطُل بها المقام، وهو الشيخ المقدم عمر بن عبدالله بن مقيص الأحمدي اليافعي، أو التميمي، فهناك تضارب في نسبه بين يافع وتميم. ويرجع ابن عبيد الله في (إدام القوت) نسبه إلى يافع، ويذكر أن مسكنه كان (دحّامة آل قصير)، إلى الشمال من الصومعة[٧]، وبالمثل يرجع ابن هاشم وبامطرف وغيرهما ابن مقيص ليافع[٨]، غير أن ابن عبيد الله يذهب غير ذلك في (بضائع التابوت)؛ حيث يذكر أن ابن مقيص من آل أحمد التميميين، وليس من يافع، وحجته أن بعض المعمِّرين أخبره أن ابن مقيص هو الذي اشترى حصن ابن مطهر أولاً، ولمَّا تلاشت دولته قام آل حتيش وهم من آل قصير التميميين بالنيابة عنه أو عن ورثته، ويظهر أن شراء عبود بن سالم له كان منهم، ومنه يتأكد القول السابق في أخبار ابن مقيص بأن آل أحمد الذين كان ابن مقيص منهم هم من آل تميم لا من يافع، وإلا فلماذا كان أمره وإرثه إليهم من دون يافع مع كثرتهم ودولتهم![٩].

وفي قصيدة طويلة للسيد عبدالرحمن بن محمد بن شهاب في مدح ابن مقيص ما يشير إلى نسبه، فقد جاء فيها:

فاسمع كلامي بلطفٍ يا غريب الدار
ذا الأحمدي قد وصل قادم من الأسفار
غاير على أهل النبوة (شيخه المحضار)
عمر إذا ضاقت ادعه معدن البرهان
فقلت ما في كلامك يا أخي تكذيب
هذا محقق لدينا نحسبه تحسيب
الأحمدي في بلدنا يحكم الترتيب
دعوة (علي بن بوبكر) ضياها بان
هذا عمر خو علي لحمدي قد قام
عسى الله به يصلح دعائم الإسلام
تمسي ذياب الفلا ترعى مع لغنام
إذا أتى العدل فاضت رحمة المنان

وبقوله إن شيخه المحضار مما يتأكد به أن ابن مقيص من آل أحمد التميميين، لا اليافعيين، كما جاء عند ابن عبيد الله[١٠]. وهناك من يوافقه هذا القول[١١]، وحجته أن المقدم عمر عبدالله بن علي بن مقيص الأحمدي التميمي وليس اليافعي؛ لأن الأحمدي اليافعي من آل القعيطي من يافع ومساكنهم بحضرموت العنين والريضة بمنطقه القطن وليس لهم وجود في مناطق تريم لا قديماً ولا حديثًا.. ثم إن وزيره السيد عبدالله بن أبي بكر عيديد العلوي كان منفيًّا من مدينته تريم ولاجئًا في بلدة السويري، بعد مقتل أخيه سالم على يد يافع، مثله مثل كثير من العلويين الفارِّين من مدينه تريم، إبَّانَ حكم يافع لها، فليس من المعقول أن يساعدوا في بناء دولة يكون أميرها يافعيًا،

فهذا أمر يؤكد لنا نسب ابن مقيص إلى آل أحمد التميميين لا اليافعيين، زيادة على ما تضمَّنَتْه قصيدة السيد أحمد علي بن شهاب الدين من إشارة واضحة إلى نسب ابن مقيص في آل أحمد التميميين.

وأقول: إن نسبه التميمي أقرب إلى الصواب، استناداً إلى ما أفصحت عنه الوثائق التاريخية التي بحوزتنا، بدليل اصطفاف تميم معه في الحرب ضد يافع، فلا يعقل أن تحاربه يافع أو تخذله وتقف ضده إن كان من بني جلدتها، كما سنوضح لاحقًا، ثم إن الوثائق الثلاث لم تذكر اسمه الكامل ولا نسبه، واكتفت بذكر لقبه (ابن مقيص)، ولو كان من يافع لأوردت اسمه ونسبه. ومع ذلك يظل نسبه محصوراً بين يافع وتميم، وقد تظهر في المستقبل وثائق جديدة محفوظة في خزائن البعض تقطع بصحة نسبه، وتنهي الجدل الدائر حوله.

كان ابن مقيص ضمن أسراب المهاجرين من حضرموت إلى جاوا في الجزر الأندونيسية، وهناك كوّن ثروته طوال سنوات غربته التي لا معلومات عنها، وعاد بما جمعه من أموال إلى مسقط رأسه في حضرموت، وعند عودته ساءَهُ وأحزنه ما وقعت عليه عيناه من حال البلاد والعباد؛ إذ رأى الفوضى تعم المناطق، والقبائل متفرقة شذر مذر (متشعطرين)[١٢].

ومن الواضح أنه فور وصوله من مهجره بما أحضره معه من جاوا من أموال لم يكن طموحًا في السلطة والنفوذ أو ساعيًا إلى ذلك، كما أنه لم يكن طرفًا في الصراع الدائر حينها بين قوى النفوذ القبلية، لكنه كان، كما - يصفه ابن هاشم -: "رجلاً ذا نيةٍ صالحة وميلٍ للصلاح والخير، وذا شجاعة وعزم، ولديه عصبة لا بأس بها، ولهذا السبب رأى العلويون ومن نحا نحوهم من المجاهدين لتخليص الوطن من ويلاته أن الرجل يملك شيئًا من الجدارة بأن يتصدى لهذا الأمر الجلل بمساعدة أهل الإصلاح من الأمة، الذين ألجأهم ما يلجئ الغريق إلى التشبث بما هو أوهن من بيت العنكبوت"[١٣].



الوثيقة الأولى

التمهيد لقيام دولة بن مقيص:

بالنظر إلى اليأس الذي استقر في نفوس الدعاة إلى الإصلاح من سوء الأوضاع واضطراب الأمن وانتشار الفتن والحروب سعى بعض العلويين، من دعاة الإصلاح، وفي مقدمتهم أحمد بن عمر بن سميط، وعبدالله بن حسين بن طاهر، وحسن بن صالح البحر الجفري، لإنشاء دولة تعيد الحق إلى نصابه، وتبث الاطمئنان في النفوس، وتوطد دعائم الأمن والاستقرار في النفوس في ربوع الوادي، الذي نُكب بحكامه وقبائله، وكان أولئك العلويون، شأنهم شأن الغريق الذي يتشبث

بالقشة رغبةً منه بالنجاة، فوقع اختيار أولئك العاملين لنصرة الحق، على الشيخ المقدم عمر بن عبدالله بن مقيص الأحمدي اليافعي ليكون أميرًا لدولتهم المرجوَّة، بعدما رأوا أنه وجماعته من آل الأحمدي جديرون بمهام النهوض بمهام الدولة الجديدة المنتظرة، فعرضوا عليه الخطوط العريضة للفكرة، فأبدى استعداده للعمل أميرًا يؤيد الشرع الشريف، وأنه سوف يعمل بما يشير عليه أعيان العلويين وعلماؤهم شريطة أن يمدوه بالمال ويعضدوه بنفوذهم(١٤).

وبالفعل عضد العلويون ابن مقيص وأمدوه بما يلزم، وقدّموا له الآراء السديدة، وجمعوا له الأموال الكافية، وقُبَيْل إعلان قيام الدولة رأوا ضرورة وجود قاعدة حربية لهذه الدولة، تكون رمزًا لهيبتها ومنطلقًا لحركاتها العسكرية، وترسانة لمهام الغزو والفتح، فاشتروا له (حصن مُطَهَّر) بوابة تريم(١٥) من آل مطهر اليافعيين، ويقع هذا الحصن في سفح تل صغير في المكان المسمى (حيد قاسم)، جنوب مدينة تريم، ووضعوا فيه مدفعًا بارودياً توكيداً منهم لهيبة الدولة المنتظرة، وحينها فكر العلويون في وزير كفء للأمير المرتقب، ووقع الاختيار على عبدالله بن أبي بكر عيديد وزيراً ومشيراً على الأمير، يستنير برأيه، ويستضيء بإرشاداته، وتهللت أسارير العلويين باليوم الموعود، والمهدي المنتظر، الذي سوف يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً!(١٦).

مباركة العلويين في رسالة ابن سميط:

مما لا خلاف عليه أن العلويين هم من أقنع ابن مقيص بإقامة دولته، وكانت مباركتهم ومناصرتهم له تفوق التصوُّر، وجاء موقفهم ذلك ضمن مساعيهم الدائبة ومجهوداتهم المتوالية في إقامة وال عدل، يريح الناس مما هم فيه من الفتن، التي لا حد لها ولا نهاية.

ولعله من المناسب الاطلاع على نص رسالة السيد أحمد بن عمر بن سميط العلوي الموجهة إلى السادة العلويين بالجهة الشرقية، يبارك فيها قيام دولة ابن مقيص، ويدعوهم لمؤازرته، نوردها هنا كاملة للوقوف على تلك المساعي العلوية، التي كانت المحفِّز الأول لقيام هذه الدولة(١٧):

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الثقة، يخص سادتي الأجلاء الأعلام الحبيب عبدالله بن الحسين بن طاهر والحبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد، وكافة السادة من آل أبي علوي حفظهم الله وأدام النفع بهم لنا ولسائر المسلمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نعلمكم أنه وصل خط للفقير من السلطان عمر بن عبدالله بن علي بن مقيص الأحمدي، وعرض بالشأن الذي تصدَّى للقيام به، فالله يبارك له ولنا ولجميع المسلمين في ذلك، ويسخر له على ذلك أعوانًا وبطائن من أهل العلم والفضل والصلاح، إذا نسي ذكَّروه، وإن ذكر أعانوه، ويشرح صدره لقبول نصحهم وإرشادهم، في عافية للجميع، وإن رأيتم يا سادتي أن ترشدوه وتعولوا عليه في أن يقيم علمة خاصة لتعليم مهمات الدِّين التي يلزم الكل تعلمها ولو بالرحلة ولو إلى الصين ويحمل الكل من جهال طبقات الناس على دخولها من شريف وقبيلي وحراق (حراث) وساني وسائل، سواءً كانوا ذكوراً أو إناثًا، ويكون ذلك تلقينًا من غير حضور قلمٍ ولا دواةٍ لما فيهما من المضرة لبعض الناس ممن يقل خوفه من الله كما تفيدون ذلك، ويجعل لذلك ما يرغب أهل الفاقة والحاجة في دخولها للتعلم، كما لا يخفاكم أن ذلك من أجَلّ المهمات، ومن أقوى داعي لحصول النفحات، ورسخوها في الجهات المشار إلى ذلك بحديث: إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألاَ فتعرَّضُوا لها، وهذا إن شاء الله من التعرض ولا ترون علينا، فالحاضر يرى ما لا يرى الغائب.

ومن عجب إهداء تمر لخيبر... وتعليم زيدٍ بعض علم الفرائض

والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

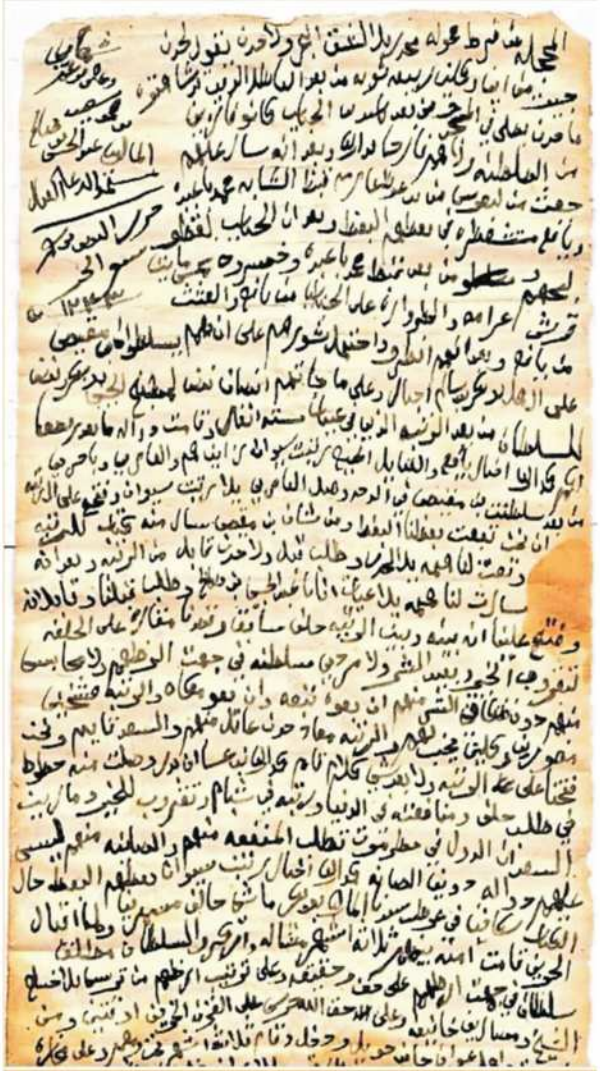
من المستمد أحمد بن عمر بن زيد بن سميط... عفا الله عنه

قيام الدولة وهيبتها لحظة إعلانها:

ينفرد ابن عبيد الله بالقول إنها قامت سنة ١٢٤٢ هجرية[١٨]، وهذا هو الأقرب إلى الصواب حسبما تؤكده الوثائق التاريخية الجديدة التي حصلنا عليها، والتي تبينّ أنها قد كانت قائمة قبل ذلك التاريخ المتعارف عليه لدى غالبية المؤرخين.

ومن بين تلك الوثائق الأكثر أهمية، الرسالة المؤرخة في ١٥ صفر سنة ١٢٤٣ هجرية[١٩]؛ لأنها تصف هيبة الدولة الوليدة السائدة حينها، بما يعني أنها كانت قائمة قبل التاريخ الشائع والمتعارف عليه في بعض المراجع المكتوبة والمنشورة، أي قبل ١٥ ربيع الآخر من ذلك العام ١٢٤٣ هـ، بفترة زمنية لا بأس بها، مكّنتْها من فرض هيبتها وتعزيز نفوذها، حتى حظيت بقبول واسع، إما عن رهبة أو عن رغبة، ولا سيما أنها جاءت كالمنقذ للمّ أشتات القبائل المتفرقة والمتنافرة والمتحاربة، فطغت هيبتُها وانتشرت في محيطها فورَ الإعلان عنها، وتسابق الجميع لإعلان الولاء إلى مقام (السلطان ابن مقيص) كما تصفه الوثيقة، وتذكرُ تَسَارُعَ وصول كل قوى النفوذ حينها من دويلات المدن المتنافرة، مثل آل تميم، وابن عوض غرامة، وابن عبدالقادر، وابن همام، وابن متاش، والزغلدي؛ خوفًا وخشيةً من عواقب تأخرهم في الوصول إلى الحاكم الجديد المدعوم من العلويين، وحتى لا يُسَاء فَهْم تأخرهم عن تأييدها فتكون الدولة الوليدة ضدَّهم (عليهم)، ولهذا تسابقوا للوصول إلى ابن مقيص بعد لبعوس، أي بعد ابن عوض غرامة، وقدَّموا له رهائن (محابيس)، وطرحوا (الرضا) كعربون للولاء والتبعية. وهذا ما كشفتْ عنه بوضوح الوثيقة التاريخية؛ إذ ورد فيها بالنص:

"...وبعد وصول بن مقيص من جاوة ولحق القبايل مشعطرين وقام في مقام الدولة، وحبسوا له آل تميم الجميع، وبعد لبعوس وقع بينهم سباق إلى عند السلطان بن مقيص واختافوا على أن كلّن يقول السلطنة عليَّ، واندر[٢٠] بن عوض



الوثيقة الثانية

غرامة وحبس وطرح الرضا، وبعد عَقَّبوا بن عبدالقادر وبن همام وبن متاش وحبسوا له وطرحوا له أربعه محابيس من بن غرامة وبن همام وبن عبدالقادر[٢١] وبن متاش[٢٢] والزغلدي[٢٣] وترجَّو الوطا له والباطل الذي بايدهم".

ومن أساليب فرض هيبة الدولة في المناطق التي خضعت وأعلنت ولاءها له، تذكر الوثيقة، أنه أبقى على ممثِّلين له (نَقَّالة عندهم لشاكي ومشتكي) وحدد مهمتهم بتلقي الشكاوى من الناس ونقلها له عن أية مظالم تلحقهم، وأقام الشريعة وهي من المطالب الرئيسة التي وضعها العلويون عليه عند إعلان دولته.

ومن نتائج هيبة الدولة أن ساد الأمان بعد خوف، والعدل بعد ظلم، وهُيِّئَت سبلُ الاستقرار في جهة الحدر، وهي المناطق الواقعة شرقي مديرية تريم، التي عم فيها الأمان بعد أن سادتها الفوضى "رَحِمَهُ من بعد الشتات"، وأصبح المرء يسير بأمان إلى المحجلة، وهي إحدى قرى مدينة القَطْن، من فرط محولة محدر إلى الشق البحري، دون أن يعترضه أحد أو يسأله من أين جئت، بعد أن عانوا كثيرًا من الرعب والخوف من (بعد الباطل الذي قد شافوه)؛ إذ لم يكن أحد يقدر أن يؤدي صلواته في المسجد.

وعن فرحة الناس بقدوم ابن مقيص من جاوا وإعلان سلطنته بعد أن ضاق بهم الحال، يشير السيد عبدالله بن عمر بن يحيى في مكاتبة له يقول: «والجهة لم يقيض الله لها سلطان، يدفع عنها كل شيطان، فهي حالكة خاربة، والهجرة منها واجبة، والناس فرحون بالرجل الخارج من الجهة الجاوية، إذا كان صالح النية، وله همة علية، ومستبد بنفسه، بكثرة العبيد والمدافع الكبار القوية، تاركًا الاستهانة بقبائل الجهة بالكلية، ولا يعطيهم إلا ضرب السيوف والبنادق الروسية، منفذ للأحكام الشرعية المحمدية»[٢٤].

بل إن البعض عدَّ ظهور ابن مقيص وسلطنته، وطاعة الناس له بالاختيار، وانقيادهم بلا تكليف ولا إجبار إغاثة من الله وفرج منه بعد الشدة، كما جاء في كتاب من الشيخ عمر بن عبدالكريم بن عبدالرسول العطار في شهر محرم ١٢٤٣ هجرية، بعثه للسيد محمد بن عيدروس بن عبد الله بن أحمد الحبشي، قال فيه[٢٥]: "وما ذكرتم من الفرج بعد الشدة، بإظهار الله بن مقيص وسلطنته، وطاعة الناس له بالاختيار وانقيادهم بلا تكليف ولا إجبار، فهذه إغاثة من الله".

موقف سادة عينات وبعض القبائل:

عرفنا سلفًا أن السادة العلويين بمكانتهم الروحية وبتأثيرهم ونفوذهم القوي كانوا وراء قيام دولة ابن مقيص والداعمين لها؛ أملاً في إقامة العدل والانقياد لسلطتهم الروحية، لكن الوثائق التاريخية التي بحوزتنا تكشف لنا أن بعض السادة لم يكونوا متحمِّسين لسلطنة ابن مقيص، بل غير فرحين لقيامها، ونقصد بذلك سادة عينات، الذين لم يباركوا قيام دولة ابن مقيص، بل كانوا فارِّين منها، ولم يقبلوا بسلطنتها عليهم إلاَّ على مضض وبالإكراه؛ لأنها قاسمتهم بالإجبار بأخذ نصف موارد مطبخهم، والمقصود بذلك النذور والهبات والموارد التي يحصلون عليها من أتباعهم، وخاصة من يافع، وهذا ما يتضح مما جاء في رسالة الجحوشي وابن شهابي إلى فقهاء بني بكر في يافع، المؤرخة منتصف شهر صفر سنة ١٢٤٣ هجرية، ويعنون بسادتنا الحبايب، سادة يافع مناصب عينات؛ إذ ورد بالنّص: "... **ومن بعد سادتنا الحبايب كانوا فارين من السلطنة ولا هم فارحين لذلك، وبعد أن سار عليهم جعث من لبعوس من بن عوض غرامة قبض الشابه محمد باعبده ويافع متشعطرة في بعضهم البعض وبعد ان الحبايب لقطوا لهم من بعد قبض محمد باعبده وخسروه خمسمئة قرش غرامة والـ(....) على الحبايب من يافع والعثث من يافع، وبعد أنهم انطروا واجتمل شورهم على أنهم يسلطنوا بن مقيص على أهل بوبكر بن سالم اجبار وعلى ما جاتهم أنصاف نصف لمطبخ الحبيب أبوبكر ونصف للسلطان من بعد الرتبة الذي في عينات ستة أنفار وقامت دولة ما نقدر صفها لكم**"[٢٦].

نعرف من نص هذه الرسالة تردد يافع وحامية سيئون (رُتبة سيئون) وبعض القبائل في القبول بسلطنة ابن مقيص مثل العامري وباجري، بدليل وصول العامري بالأمان (بالوجه) إلى رتبة سيئون، وطلبه من الرُتبة أنهم تُبعة بعضهم لبعض، حتى أنهم لم يلبّوا طلب ابن مقيص من الرُتبة بمقابلته (القَبَل،) ولم يقابله أحدٌ منهم، بل كانت وجهتهم إلى عينات كعادتهم، تعالوا نتعرف على بقية تفاصيل الرسالة الخاصة بهذا الموضوع؛ إذ جاء فيها بالنص:

"كذلك أخبار يافع والقبايل الجميع رتبة سيئون زيان هم والعامري وباجري من بعد سلطنة بن مقيص في الوجه وصل العامري إلى رتبة سيئون وفتح على الرتبة أن نحن تبعة بعضنا البعض ومن شان بن مقيص سار منه كتاب للرتبة وقعت لنا همة إلى الحدر وطلب قَبَلْ ولا حدن (حداً) قابل من الرتبة، وبعد أنه سارت لنا همة إلى عينات أنا يا عبد الحبيب بن صالح وطلب قَبَلْنَا وقابلته وفتح علينا أن بينه وبين الرتبة حلف سابق وقَصَدْنَا مقره على الحلقة لتقروب الخير وإبعاد الشر ولا مرادنا سلطنة في جهة أرضهم ولا محابس منهم دون تكافي الشر منهم إن بقوه تبعة وإن بقو معاه والرتبة مشخين منصورين وكلّن يخب لهم والرتبة معاد حداً عاقل منهم والسعد قايم، ونحن فتحنا على الرتبة ولا بعد شي كلام قام، كذلك بن عيسى بن بدر وصلت منه خطوط في طلب حلف ومنافعته في الدنيا والرتبة في شبام وتقروب للخير ومارين السعد إن الدول في حضرموت تطلب المنفعة منهم والصافيه منهم ليس عليهم دولة دوين الصيانه، كذلك أخبار رتبة سيئون بعضهم البعض حال الكتاب ساكنين في عرض سيدنا المالك أبوبكر ماشي خالف مستمرين".

---

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة عدن.

الهوامش:

١. المعلم عبدالحق، محمد عبدالقادر بامطرف، دار الهمداني للنشر والتوزيع عدن، ط٢، ١٩٨٣، ص ١٢٧، ١٢٨.

٢. في سبيل الحكم، محمد عبدالقادر بامطرف، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ط٢، ١٩٨٣م، ص ١٤.

٣. انظر: حملة بن قملا الوهابية على حضرموت، د. علي صالح الخلاقي، مطابع وحدين للأوفست- المكلا، ط١، ٢٠٢١م، ص ٤٩- ٧٤.

٤. انظر: يافع في حضرموت، المجلد الثامن من الموسوعة اليافعية، تأليف طارق بن سالم سعد الموسطي وآخرون، دار الوفاق، ط١، ٢٠١٥م، ٦٣/ ٨.

٥. تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، تريم للدراسات والنشر، ط٢٠٠٢،١م، ص ١٨٢.

٦. انظر: المعلم عبدالحق، ص١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٢٩.

٧. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تأليف السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، عني به تاريخياً: محمد أبوبكر عبدالله باذيب، عني به أدبياً: محمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج - بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٨٤٥.

٨. ينظر: تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٩١. المختصر في تاريخ حضرموت، محمد عبدالقادر بامطرف، دار حضرموت للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠١م، ص١٠٤.

٩. بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (مخطوط في ثلاثة أجزاء): ٣/ ٣.

١٠. بضائع التابوت: ٢/ ٢٧٨، ٢٧٩.

١١. تاريخ حضرموت، مراد صالح عوض بن مرساف التميمي الظنّي، مكتبة تميم الحديثة، ط١، ٢٠١٧م: ص٨٩- ٩٠.

١٢. انظر صورة الوثيقة رقم (١).

١٣. تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٩١.

١٤. المختصر في تاريخ حضرموت، ص ١٠٤، ١٠٥.

١٥. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة الحديثة، مصر، ص٢٠١.

١٦. انظر: المعلم عبدالحق، ص ١٣١.

١٧. تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٩٢، ١٩٣.

١٨. انظر: إدام القوت، ص ٨٤٦.

١٩. انظر صورة الوثيقة رقم(١).

٢٠. اندر: بعث أو أرسل.

٢١. بن غرامة، وبن عبد القادر، وبن همام كانوا يحكمون تريم التي توزعت بينهم، فآل غرامة كانت لهم رئاسة عامة، ثم لم يتبق لهم إلاّ الحوطة والسحيل والرضيمة، وآل همام ولهم الخليف وعيديد، وآل عبد القادر ولهم النويدرة [بضائع التابوت: ج٢، ص ١٧٢].

٢٢. من الحاميات اليافعية القديمة بحضرموت، كان تواجدهم في مدينة تريم، ولهم حصن مشهور فيها لا زالت آثاره باقية، يُعرف حالياً باسم حصن (نافي)، في الشِّعب المسمى باسمهم في جنوب غرب دمون [يافع في حضرموت: ٨/ ٤٠٦].

٢٣. كانت لهم حامية صغيرة في شرق تريم، وكان عوض بن محمد الزغلدي قائماً بها، وما زالت البقعة التي كان بها تسمى حصن عوض، وهي الآن منطقة كبيرة من مناطق تريم بذات الاسم، وآل الزغلدي لم يعد لهم وجود في تريم [يافع في حضرموت، ٨/ ٧٢].

٢٤. بضائع التابوت: ٢/ ٢٧٦.

٢٥. بضائع التابوت: ٢/ ٢٧٧.

٢٦. انظر صورة الوثيقة رقم (١).

40
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

النسبة إلى المواضع والبلدان

أثرٌ عالميٌ نفيس لعالِم حضرمي جليل



د. محمد صالح بلعفير النهدي

المقدمة:

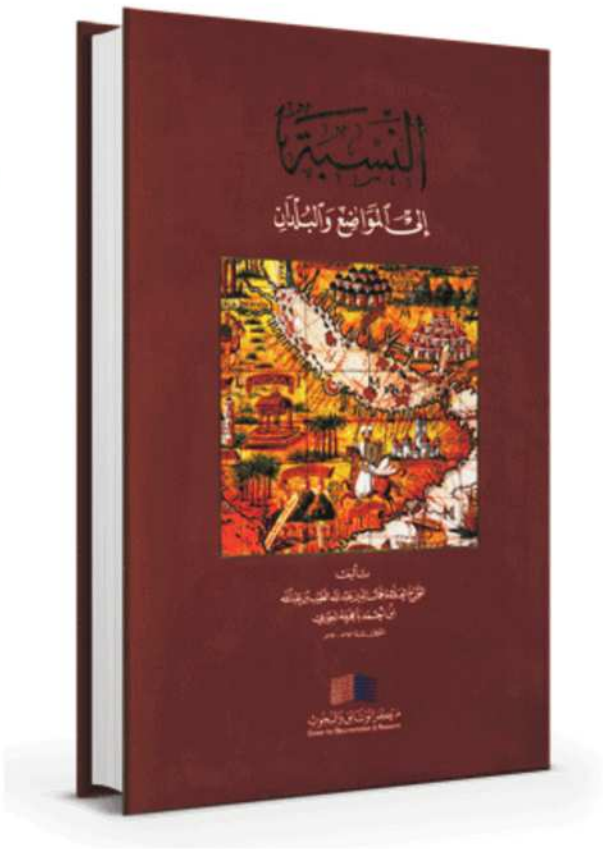
منذ سنوات عدَّة خلت، حظي التراث الحضرمي المخطوط باهتمام غير مسبوق بعد أن ظل ردحًا من الزمن حبيس خزائن الكتب الخاصة والمكتبات. وبغض النظر عمّا عدَّده المستشرق الإنجليزي (سرجنت) في دراسات عدة له من مخطوطات في التاريخ والتراجم والطبقات والأدب ...إلخ، لعل أبرزها: مادة تاريخية عن جنوب الجزيرة العربية، والمؤرخون وكتابة التاريخ الحضرمي التي ترجمها سعيد عبد الخير النوبان، ونشرها في كتاب صدر عن جامعة عدن ومطبعة جامعة الكويت -بدون تاريخ- بعنوان: حول مصادر التاريخ الحضرمي، فقد هالني كمُّ المصادر التي اعتمد عليها العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف في تصنيف كتابه معجم بلدان حضرموت، المسمى: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، والتي تزيد عن خمسة وعشرين كتابًا مخطوطًا حضرميًا خالصًا، تنوعت بين التاريخ والجغرافية والأنساب والتراجم والشمائل، فضلاً عن كتابه بضائع التابوت في تاريخ حضرموت، ومن بين تلك المصادر أثرٌ عالميٌ نفيس، هو: النسبة إلى المواضع والبلدان، للعلامة المؤرخ والجغرافي الحضرمي الجليل جمال الدين أبي محمد الطيّب بن عبدالله بامخرمة المتوفى سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م.

وكتاب النسبة الذي وجد طريقه إلى النشر محققًا قبل عقدين من الزمن بقدر ما يفهم من عنوانه أنه معجم جغرافي، فإنه يحتوي على مادة تاريخية وأدبية قيمة، فضلاً عن خوضه في أنساب الأعلام والقبائل والبطون والعشائر، مما جعله كتابًا موسوعيًا على درجة كبيرة من الأهمية قلما نجد نظيرًا له إلى زمن الفراغ من تصنيفه، والأكثر من ذلك أنه يدل على مدى غزارة علم المؤلف، وتنوع مواهبه، وتعدد تخصصاته، وتمكنه من تأليف المصنفات التاريخية والجغرافيّة الغنية بالشعر والأنساب، زيادة على المسائل الفقهية. كل ذلك رغم انشغاله الذي لا حدود له بالأنشطة العلمية والتعليمية، وبأعمال أرفع منزلة ومقامًا وأكثر عناءً ولاسيما تولّي القضاء والفتوى، وبتعبير آخر فبامخرمة بقدر ما كان فقيهًا ومؤرخًا، عرف عنه بالقدر نفسه بقاضي عدن في النصف الأول من القرن العاشر الهجري أيام دولة الطاهريين.

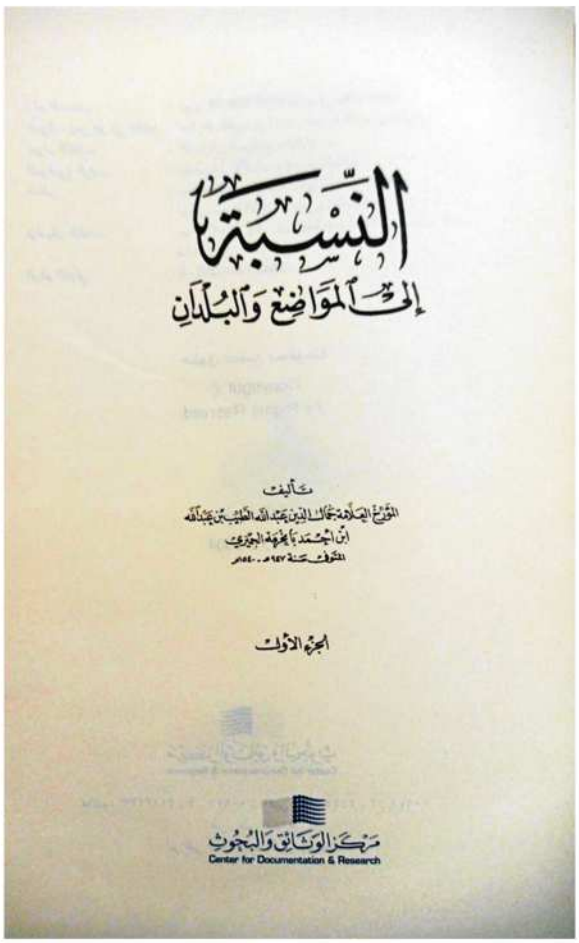
41
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

معضلة الاسم:

يعد آل بـامخرمة من الأسر الحضرمية الشـهيرة، التي استقـر بـعض أعلامها في مدينة عدن منذ زمن بـعيد، إلى جانب أسر أخرى، يأتي في الصدارة منها آل باشكيل. فمن هاتين الأسرتين العريقتين ظهر العلماء والقـضاة في القـرنين التاسـع والعاشر الهجريين/ الخامس والسـادس عشر الميلاديين، ومن هؤلاء الطيب بامخرمة، صاحب المؤلفات النفيسة: تاريخ ثغر عدن – تاريخ وتراجم – وهو مطبوع؛ وقلادة النحـر في وفيات أعيان الدهر، وهو كذلك مطبـوع، والنسبـة إلى المواضع والبـلدان ويعرف أيضًا بكتاب مشتبه النسبة إلى البـلدان وهو مطبـوع. ولبامخرمة كتابان آخران، هما: شرح صحيح مسلم، ذكر عبـد القادر بن شيخ العيدروس في النور السـافر عن أخبـار القـرن العاشر أن غالب استمداده فيه من شرح الإمام النووي، بل هو في الحقيقـة شرح النووي مع زيادات وتحقيقـات في بـعض المواضع، والكتاب الآخر هو: أسماء رجال مسلم.



وفي الوقت الذي حظي فيه المؤرخ المذكور بشـهرة واسـعة، فإن المصادر وكتب فهارس الأعلام الحديثة قـد اختلفت في إثبات اسمه الصحيح، وفي ضبط نسبه أو لقبـه العائلي، ولعل ذلك الاختلاف يرجع وبلا شـك إلى تصحـيفات النسـاخ أو اجتهاداتهم، الأمر الذي ترتب عليه وصول اسمه ولقبه بـأكثر من رسم. ومع ذلك يمكننا القول إن هُـوَّة الخلاف تكاد تضيق بل تنعدم تمامًا، بـين من ترجم له من المؤلفين الذين عاشـوا في عصره أو قريبًا منه معتمدين على ما كتبه هو بنفسه، أو على من عاصره أو عرف من بعض تلاميذه. فمن المؤرخين الذين ترجموا له وضبـطوا اسـمه ولقبـه العائلي: العيدروس الآنف الذكر في كتابه النور السافر، ومحمد بن عمر الطيب بافقيه الشحـري في كتابه حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسـادة المربـين والأولياء الصالحين (تاريخ الشحر وأخبـار القـرن العاشر)؛ ومحمد الشلي في كتابه السناء البـاهر بـتكميل النور السـافر في أخبار القـرن العاشر. فهؤلاء جميعًا صرَّحـوا بـأن اسـمه هو: الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة.



وأما من جهة المؤرخين المتأخرين، فقد ذهب فريق منهم باتجاه آخر، فأطلق عليه اسماً مركبًا، وذلك ناتج عمّا وجدوه على أغلفة نُسَخٍ من كتبه، وأساسها كتاب النسبة إلى المواضع والبلدان، فسموه: أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد أبي مخرمة، ومن هؤلاء: خيرالدين الزركلي في كتاب الأعلام، وأوسكار لوفجرين محقق كتاب تاريخ ثغر عدن، وأيمن فؤاد سيد في كتاب مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، وكذلك محقق كتاب النسبة لبامخرمة الذي صدر عن مركز الوثائق والبحوث بدولة الإمارات العربية المتحدة.

ومما سبق بيانه، نصل إلى حقيقة لا تقبل الشك وهي أن الاسم الصحيح للمؤرخ بامخرمة هو الطيب، ولعل ما يؤكد ذلك ما ذكره هو بنفسه في ترجمته لأبيه في كتاب قلادة النحر بقوله: **"أبو الطيب عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم المشهور بأبي مخرمة"**.

وعطفًا على لقبه العائلي، نجد أنه يختلف من كتاب إلى آخر. ففضلاً عن وصفه لوالده بأبي مخرمة في سياق لغوي ونحوي وهو ما نلاحظه أيضًا على غلاف تاريخ ثغر عدن، نجد كذلك على بعض النُسَخ المخطوطة من كتاب النسبة (أبو مخرمة) حينًا، كما نجد اللقب مجردًا من (با) و (أبو) حينًا آخر، بل وعلى نُسَخ أخرى (بامخرمة).

وإذا ما أردنا الوقوف على مسألة إضافة لفظة (با) إلى نسب أو لقب كثير من الأسر الحضرمية، فالحقيقة التي لا مناص من قولها إن (با) هي لفظة مخففة لـ(أبا) الفصحى، التي عرفت إلى ما قبل القرن العاشر. وهناك من المعطيات التاريخية ما يقدم حجة على صحة ذلك ما ذكره ابن المجاور المتوفى بعد سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م عن (أبا) في كتابه: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، في معرض حديثه عن التجار الحضارمة الوافدين إلى مدينة عدن في عصر أيوبية اليمن، ولاسيما في عهد سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، وهذا دليل كاف ودامغ



على أن (أبا) الفصحى كانت شائعة في القرن السابع الهجري، وأنها بعد ذلك التاريخ بمدة تطول أو تقصر قد خففت إلى (با) التي سادت ألقاب كثير من الأسر الحضرمية، والأمر نفسه في مؤرخنا (بامخرمة) وبعض الأسر العلوية (باعلوي).

وخلاصة القول: إن بامخرمة هو اللقب الذي عرفت به الأسرة المذكورة، وأن لفظة (با) كانت معروفة في عصر المؤلف (القرن العاشر) في عدن كما حضرموت، وهذا ما أكدته المصادر التي ترجمت له أو نقلت عنه. وتأسيسًا على ذلك يكون الاسم الصحيح والكامل للمؤرخ بامخرمة مع كنيته ولقبه الفخري هو: جمال الدين أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بامخرمة، وأن الطيب هو اسم المؤرخ وليس لقبًا له.

الميلاد والنشأة:

ولد العلامة الطيب بامخرمة بمدينة عدن ليلة الأحد ١٢ ربيع الآخر سنة ٨٧٠ هـ/ ١٤٦٥م، وبها نشأ في بيت علم في كنف أبيه وأخواله العلماء آل باشكيل؛ فأبوه هو القاضي والمفتي الذي ذاع صيته بين علماء عصره وفقهائه وقضاته في القرنين

التاسع والعاشر الهجريين، وجده - لأمه - هو القاضي محمد بن مسعود باشكيل، أحد علماء عدن في زمنه. ففي هذه البيئة العلمية الفريدة نشأ الطيب، وتتلمذ على يد عدد من شيوخ العلم وعلماء القرنين التاسع والعاشر، وهم بعد أبيه وجده: بدر الدين الحسين بن الصديق بن عبدالرحمن الأهدل، وجمال الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بافضل، وجمال الدين محمد بن حسين القمّاط الزَبيدي، وعبدالله بن أحمد باكثير، والقاضي أحمد بن عمر المزجّد.

أقوال العلماء في بامخرمة:

لاشك في أن عالمًا مثل الطيب بامخرمة عرف بغزارة العلم وتنوع المواهب وتعدد الاختصاصات أن يحظى بتقدير العلماء المعاصرين له واللاحقين وثنائهم، ويجعل البعض ممن ترجم له أن يصفه بصفات قلّما يوصف بها عالِم. فقد ذكر العيدروس في النور السافر أنه "تفنن في العلوم، وبرع، وتصدى للفتوى والاشتغال، وكان من أصح الناس ذهنًا، وأذكاهم قريحة، وأقربهم فهماً، ومن أحسن الفقهاء تدريسًا، حتى أن جماعة من الطلبة وغيرهم يذكرون أنهم لم يروا مثله في حسن التدريس وحل المشكلات في الفقه". زيادة على ذلك فقد وصفه الشلي في السناء الباهر بأنه كان "علاّمة علماء الإسلام، فهّامة فضلاء الفقهاء العظام، مالك ناصية العلوم وفارس ميدانها، وحائز قصب السبق في حلبة رهانها... وكان حسن السيرة والمحاضرة، لطيف المذاكرة والمحاورة، وكان كثير الاستحضار لفروع الأحكام، التي تخفى على كثير من العلماء الأعلام... وبالجملة هو من محاسن الدهر جمع الله تعالى فيه الصفات الحسنة، من حُسن الخُلق والسياسة، والتواضع والصبر والرفق، وتحمُّل أذى الناس، وحُسن التدريس والمواظبة على الطاعات".

وفي هذا الصدد ذكر العيدروس أن العلامة بامخرمة كان مشاركًا في كثير من العلوم، منها: الفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة وغيرها، فضلاً عن أنه كان يقرأ في أربعة عشر علماً في حد قول أحد تلامذته وهو العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر



صورة صفحة عنوان غلاف الجزء الثاني من مخطوطة النسبة بمركز الوثائق والبحوث

صورة الصفحة الأولى من الجزء الثاني من مخطوطة النسبة وتبدأ بحرف الزاي

الحكيم. ومما يدل على المكانة العلمية الرفيعة للعلامة بامخرمة أنه تولى قضاء عدن، على كبر سنه وضعف قواه، بسبب إلحاح الدولة، في حد قول الشلي، وظل متوليًا للقضاء إلى أن أصابه مرض منعه من الحركة لمدة سنتين، وكان سبب موته في شهر محرم سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م.

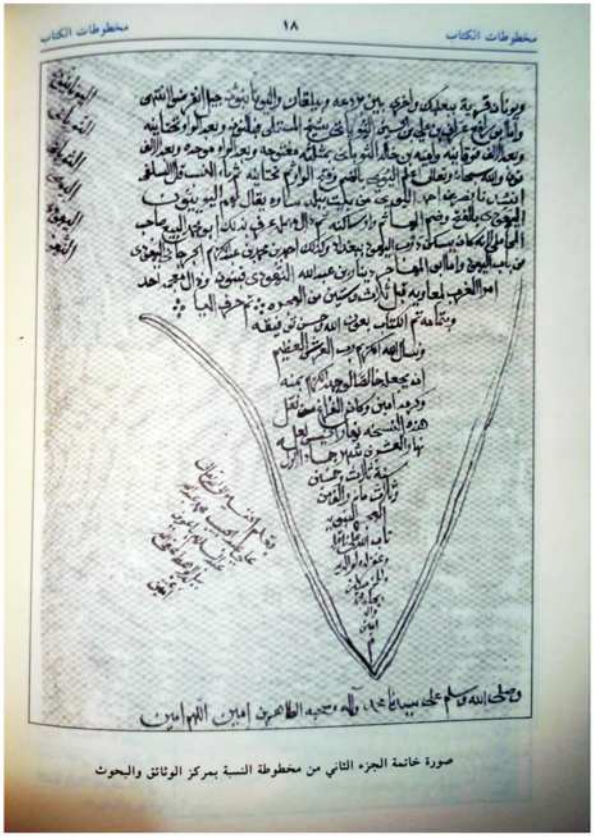
كتاب النسبة:

المنهج والموارد:

القارئ لكتاب النسبة إلى المواضع والبلدان أو الباحث يصل إلى حقيقة لا غبار عليها وهي أن هذا الكتاب يعد سِفراً عظيماً وأثراً نفيساً، بل يعد من أهم مؤلفات بامخرمة وأكثرها فائدة، لكثرة ما جمع فيه من أسماء الرجال من العلماء والمحدّثين والرواة، وذكر المشاهير وأنسابهم، ونسبهم إلى المواضع والبلدان، معززاً ذلك بالأقوال والأشعار. وبتعبير آخر، فالكتاب يعد معجماً جغرافيًا وتاريخيًا وأدبيًا ونَسَبيًا، وشملت مادته كل أصقاع العالَم الإسلامي، ولفترة زمنية طويلة تمتد إلى نحو عشرة قرون، وتقوم على نِسبة الأعلام إلى الناحية التي ينتسبون إليها، سواء كانت بلداً أو قرية أو حصنًا؛ إذ يذكر البلد أو المكان

لفظًا وموقعًا، ويغنيه كما قال المحقق بذكر ما يشتبه باللفظ المقصود من النسب إلى القبائل والطوائف وغيرها، فاجتمعت فيه النسب والأنساب. ولعل مما يزيد من أهميته دقة ضبطه بالنص على الحروف والحركات والأوزان، وتوثيق ذلك بمصادر اللغة.

وبصدد موضوع الكتاب ومنهجه وموارده، فبالمخرمة دبّج كتابه بمقدمة أفصح فيها عن سبب تأليفه له ومراحل جمعه فضلاً عن مصادره، بقوله: "وسبب جمعي له أني وقفت على كتاب في الأنساب إلى القبائل والآباء، وتطلعت نفسي إلى الأنساب إلى البلدان، ولم أقف على كتاب يخصه، ثم إني وقفت على مسوَّدة للقاضي مسعود بن سعد بن أحمد أبي شكيل الأنصاري الخزرجي، ذكر فيها جملة من البلدان مقتصراً على ذكر البلد وصفتها، وبعض من ينسب إليها من العلماء والرؤساء المشهورين، ولم يتمَّه، بل وصل فيه إلى آخر باب الراء، ثم ذكر بعد ذلك في حروف متفرقة، من كل حرف بلدة أو بلدتين، فهممت بإتمامه وتبييضه، ففقدت النسخة المذكورة مدة طويلة، ولم أظفر بها، فشرعت في جمع شيء من ذلك حاذيًا حذوه في الضبط والتبيين، فجمعت من ذلك جملة صالحة، أخذت غالبها من تاريخ القاضي ابن خلكان، ولم يكن عندي من تاريخ ابن خلكان نسخة تامة بل أجزاء متفرقة، وأخذت بعد ذلك من طبقات السُّبكي الكبرى، ومن تاريخ الفاسي، ومن تاريخ الجندي، وغير ذلك، ثم إني رأيت ذلك قليل الجدوى والنفع، فضممت إليه من ينسب إلى تلك البلدة من المحدّثين المشهورين وغيرهم، لاحتياج قارئ الحديث، وطالب الفقه إلى معرفة ذلك، وإن كان ثمة من يشبه نسبه نسب المنتسب إلى تلك البلدة، وهو منسوب إلى غيرها، إما بلدة أخرى أو أب أو قبيلة، بيّنته، وعمدتي في ذلك كتاب (ما اتفق لفظًا واختلف صقعًا) للشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي، وكتاب (تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه) للحافظ أبي الفضل ابن حجر، وأكثر اعتمادي على الثاني؛ لالتزامه الضبط


صورة خاتمة الجزء الثاني من مخطوطة النسبة بمركز الوثائق والبحوث

باللفظ، بخلاف الأول فإنه اكتفى بضبط القلم، وقد أخلّ به النساخون، مع إن النسخة التي وقفت عليها من الكتابين المذكورين كثيرة السقم والتحريف، إلا أني أبلغت جهدي في تحقيق ذلك من كتب اللغة، كالقاموس المحيط للمجد الشيرازي، وتكملة الصحاح للإمام الصغّاني، فما نقلته عن أبي نقطة، أو أبي العلاء الفرضي أو ابن ماكولا، وابن الخطيب، فمن الكتابين المذكورين، وما نقلته من غير الكتابين المذكورين عزوته إلى قائله، ثم ظفرت بمسوَّدة القاضي مسعود فنقلت أشياء لم أكن ذكرتها، وما نقلته عنه عزوته إليه، وحيث أطلقت الحافظ، كذكر الحافظ أو قال الحافظ فأردت به الحافظ أبا الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وحيث أطلقت الزوائد، فالمراد ما زاده الحافظ ابن حجر في التبصرة على كتاب الذهبي، وحيث قلت كذا في الكتابين، فالمراد كتاب الذهبي وكتاب ابن حجر المتقدم ذكرهما، وحيث قلت: قالا (بالتثنية)، أو قال الحافظان، فالمراد الذهبي وابن حجر".

45
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

وهنا نجد أنفسنا أمام مقدمة تعبرّ عن منهجية علمية حقيقية، ووعي تام بطرائق التأليف. ففيها أفصح المؤرخ بامخرمة عن أسباب جمعه لمادة كتابه وخطوات تأليفه له؛ إذ قُدّر له أن يقف على كتاب في الأنساب إلى القبائل والآباء لمؤلف لم يذكر اسمه – ربما مجهول– فحفّزه ذلك على التفكير في إعداد كتاب عن الأنساب إلى البلدان، وساعده في عزمه وقوفه على مسوَّدة جزء من كتاب لأحد أخواله، وهو القاضي مسعود بن سعد باشكيل، وبسبب من فقدانه لتلك المسوَّدة شرع في جمع مادة من هذا القبيل، وعلى المنهج نفسه من حيث ترتيبها على حروف المعجم، وطريقة ضبطها، وهي المسوَّدة التي عثر عليها فيما بعد، ونقل منها تفاصيل لم يكن ذكرها.

وسعيًا منه إلى جمع مادة الكتاب، وإتمام تصنيفه استعان بمجموعة من المصادر، التي توافرت لديه، وأبان عنها توخيًا للأمانة العلمية، وأهمها: كتاب وفيات الأعيان وإنباء ابناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ؛ وكتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك، لأبي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي الجندي المتوفى سنة ٧٣٢هـ؛ وكتاب الطبقات الكبرى، لتاج الدين أبي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ؛ وكتاب العقد الثمين في أخبار البلد الأمين، لتقي الدين أبي الطيب محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي الحسني الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ.

ولما كانت معطيات تلك المصادر – الموارد – غير كافية ولا تلبي إلا حاجة أهل التاريخ والأدب، فقد طعّمها بتفاصيل وإضافات مما يحتاج إليه قارئ الحديث وطالب الفقه، ثم وجد ضالته لضبط المشتبه من الأنساب والألقاب في كتاب: ما اتفق لفظًا واختلف صقعًا، للشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، الذي طبع حديثًا بعنوان: المشتبه في أسماء الرجال وأنسابهم، وكتاب: تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه، للشيخ الحافظ أبي الفضل ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، وهما الكتابان اللذان كان جلّ اعتماده عليهما ولا سيما



كتاب ابن حجر، الذي بسبب عبث النساخ به اجتهد في تحقيق معطياته عرّج على كتب اللغة، مثل كتاب: القاموس المحيط، للمجد الشيرازي، وكتاب: تكملة الصحاح، للصّغاني. ولم يغفل بامخرمة عن الإشارة وذلك من باب الأمانة العلمية إلى أنه يعزو ما نقله إلى أصحابه من أهل العلم والفضل، وهو أمر أراد منه أن يكون كتابه على قَدرٍ عالٍ من الصحة والضبط والتبيين، وكان ذلك بحق هو الهدف الذي رامه في ديباجة مقدمته وأفصح عنه صراحة من أنه لم يقم بجمع مادة الكتاب وتصنيفه لنفسه فقط، بل ولمن ينتفع به من بعده.

حصاد النسبة:

بالنظر إلى أن بامخرمة قد اتبع منهجًا يقوم على ترتيب موضوعات كتابه على حروف المعجم – من دون احتساب أل التعريف – وعلى نسبة الأنساب إلى الموضع أو البلد، فقد كان حظ اليمن فيه ما يزيد عن ١٧٠ من النُسب والأنساب، وهذا عدد ليس بالقليل ولاسيما أن هذا المعجم شامل لأصقاع العالم الإسلامي كلها، بل إن حظ اليمن كاتجاه جغرافي وليس كيانًا سياسيًا يعد – في تقديرنا أوفر حظًا، ويفوق أي بلد آخر. والصحيح أن المؤلف لم يأتِ على كل مواضع وبلدان اليمن



لنقص المعطيات نفسها، لكن يُقدّر له اجتهاده وجهده في ظروف عصره وأشغاله المتعددة أن يشمل معجمه هذا العدد الذي لا يستهان به من النُسب والأنساب، وتراجم الرجال والمشاهير منهم، ثم إن المعلومات والتفاصيل التي حرص المؤلف على تقديمها ليست باليسيرة، بما يوحي إلى أنَّ إعداد هذا المعجم قد أخذ من وقته أكثر مما أخذته مصنفاته الأخرى؛ وذلك لاتساع الرقعة الجغرافية، ولأنه شمل أقطار العالَم الإسلامي وأقاليمه كلها.

حضرموت في النسبة:

وأما حضرموت التي تعد أكبر أقاليم اليمن الجغرافي وليس السياسي - كما تمت الإشارة - فهي أكبر الأقاليم مساحة قديماً وحديثًا، ولم تكن أصغرها كما قال خطأً أبي الحسن أحمد بن يعقوب الهمداني في القرن الرابع الهجري في كتابه: صفة جزيرة العرب.

وحقيقة، فمن قراءة متعمقة متأنية ومراجعة دقيقة في الوقت نفسه استطعنا رصد ٣٨ من النسب والأنساب التي تخص حضرموت، وهي على النحو الآتي:

١ - **الأحقافي** (نسبة إلى الأحقاف وهي الرمال ومفردها حقف).

٢ - الأسراري (بالفتح وسكون المهملة، ثم رائين مهملتين بينهما ألف: نسبة إلى أسرار وهي قرية من أعمال ريدة المشقاص بنواحي الشحر).

٣ - **الأسقطري** (نسبة إلى أسقطر، بضم الهمزة وسكون مهملة وضم قاف وسكون الطاء المهملة وبعدها راء مهملة: هي بقرب حضرموت غربي الشحر).

٤ - البوري (بالفتح نسبة إلى بور، قرية من قرى حضرموت، منها آل كثير من بني ظنة آل حرام).

٥ - البويشي (بالضم وفتح الواو وسكون التحتانية ثم شين معجمة: نسبة إلى بويش، غياض بالقرب من الشحر من جهة المغرب ذات مياه آبار وأنهار وبها نخل وزرع وحولها موضعان على البحر أحدهما يسمى "المكنى" ويسميه العامة المكلا، والثانية روكب).

وأما حضرموت التي تعد أكبر أقاليم اليمن الجغرافي وليس السياسي - كما تمت الإشارة - فهي أكبر الأقاليم مساحة قديمًا وحديثًا، ولم تكن أصغرها كما قال خطأً أبي الحسن أحمد بن يعقوب الهمداني في القرن الرابع الهجري في كتابه: صفة جزيرة العرب

٦ - التبالي (نسبة إلى تبالة بفتحتين وبعد المثناة موحدة وبعد الألف لام وهاء... وتبالة أيضًا قرية قرب الشحر... وتبالة أيضًا باليمن ببلاد روس).

٧ - التريسي (نسبة إلى تريس، بالفتح وكسر الراء وسكون التحتانية ثم سين مهملة: قرية من قرى حضرموت شرقي محلة المشايخ آل باعباد المعروفة بالغرفة).

٨ - التريمي (نسبة إلى تريم، بالفتح وكسر الراء وسكون التحتانية ثم ميم، مدينة قديمة بأرض بحضرموت... وقد خرج منها علماء فقهاء فضلاء ومشايخ اجلاء).

٩ - التنعي (بالكسر وسكون النون وإهمال العين، نسبة إلى تنعة قرية قرب حضرموت، سميت بتنعة بن هانئ).

١٠ - الثوباني (نسبة إلى ثوبان، بالفتح وسكون الواو وفتح الموحدة ثم ألف ونون: موضع شرقي مدينة الشحر).

١١ - الحاسكي (نسبة إلى حاسك، بعد الألف سين مهملة ثم كاف: قرية من قرى ظفار الحبوظي).

١٢ - الحبّاني (نسبة إلى حبّان، بالفتح وتشديد الموحدة ثم ألف ونون).

١٣ - الحَجْري (بالفتح وسكون الجيم نسبة إلى حجر... وهذا الاسم يشترك بين موضعين أحدهما حجر علوان باليمن وفيه قرى وحصون... والثاني حجر بن دغار الكندي بفتح الدال المهملة والغين المعجمة المشددة ثم ألف ثم راء، وهي كثيرة المياه والنخيل وواد لها غيّال لا ينقطع، وهي وخيمة جدًا بضد الأولى، وعندها أسقطري الذي يضاف إليه الصبر السقطري).

١٤ - الحُرَيْضي (نسبة إلى حريضة، بالفتح وضم الراء المهملة ثم ياء تحتانية ساكنة ثم ضاد معجمة ثم هاء: قرى بالكسر كضد الجبر أسفل من وادي عمد مقابلة لعندل).

١٥ - الحصويلي (نسبة إلى حَصْويل، بالفتح وسكون الصاد المهملة وفتح الواو ثم مثناة تحتية ساكنة ثم لام: قرية مشهورة على ساحل البحر، وحولها آبار يزرع عليها، وهي من قرى المشقاص).

١٦ - الحضرمي (نسبة إلى حضرموت بالفتح وسكون الضاد المعجمة ثم راء ثم ميم مفتوحتين ثم واو ساكنة ثم تاء مثناة من فوق: جهة واسعة...).

١٧ - الحوري (نسبة إلى حورة بهاء آخره بدل الألف... هو اسم لقريتين باليمن، إحداهما قرية كبيرة لها قلعة حصينة من أرض حضرموت تسقى من وادي عين [العين] وسكان القلعة آل المليكي، وسكان أسفل القلعة آل باوزير المتصوفة...، والثانية قرية كبيرة شرق أحور سكانه قوم من حمير).

١٨ - الحيرجي (نسبة إلى حِيرْج بالكسر وسكون التحتانية ثم راء مهملة مكسورة ثم جيم: بلد مشهورة على ساحل البحر بحر ظفار، وهم أهل المشقاص، ومحمد الحشريت وشيوخهم الأشعثيون من كندة من ذرية الأشعث بن قيس بن معدي كرب الحضرمي. وفي حيرج بندر يقصده أهل الهند ومقدشوه، ويتوسمه أهل الشحر وحضرموت ويُحمل منه الكندر والصينة إلى عدن وبربرة وجدة...).

١٩ - الخريبي (نسبة إلى الخريبة، بالضم وفتح الراء المهملة وسكون التحتانية ثم موحدة مفتوحة ثم هاء: ... مدينة بوادي دوعان الأيمن...).

٢٠ - الخميلي (نسبة إلى الخميلة بالفتح وكسر الميم وسكون التحتانية ثم لام مفتوحة ثم هاء: قرية على وادي عمد بها فقراء صالحون يطعمون الطعام يعرفون بآل بايزيد).

٢١ - دجيل (بالضم وفتح الجيم وسكون التحتانية ثم لام... وهو دجيل الحرث وعليه مزارع وحوله قرى ومدينة تسمى الغيل، ومخرجه من جهة الشحر، بينه وبين الشحر مسافة العدوى، حفره التبلي، وهو تبل بن حيدان بن مهرة بن قضاعة وهو من حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، واسم قضاعة عمرو بن مالك).

٢٢ - الدوعاني (نسبة إلى دوعان، بضم أوله وسكون الواو ثم عين مهملة ثم ألف ونون، وهذا الاسم مركب فدو بكلام فارس عدد اثنين وعان المعد المرتفع من الأودية، وهذان العانان أحدهما يمنة والآخر يسرة، فالأيمن مدينة الخريبة والأيسر مدينة الروفة).

٢٣ - ذي أصبح (بفتح الهمزة وسكون الصاد ثم حاء مهملتين وبينهما موحدة مفتوحة: قرية بحضرموت لآل أبي عباس).

٢٤ - الرحابي (الرحاب بحاء مهملة وآخره موحدة: بلدة بدوعان).

٢٥ - الريدي (نسبة إلى ريدة بالفتح وسكون المثناة من تحت ثم دال مهملة مفتوحة ثم هاء: وهي اسم لأربعة مواضع: بليدة باليمن، ومنها البرود الريدية، ومكانان بحضرموت، والرابع قرية بالصعيد).

٢٦ - الشبامي (نسبة إلى شبام، بالكسر وفتح الموحدة ثم ألف ثم ميم: مدينة عظيمة بحضرموت).

٢٧ - الشبوي (نسبة إلى شبوة، بفتح الشين والواو بينهما موحدة ساكنة وآخره هاء: بلد ما بين مأرب وحضرموت، بين جردان وحضرموت، وبالقرب منها معدن ملح).

٢٨- الشحري (بالكسر وسكون الحاء المهملة ثم راء مهملة، نسبة إلى الشحر البلد المعروفة، سميت بذلك لأن سكانها كانوا جيلاً من المهرة يسمون الشحرات - بالفتح وسكون الحاء المهملة وفتح الراء المهملة ثم الف ومنهم من لم يكسرها - والكسر أكثرها، وتسمى الأشحار).

٢٩- الصدفي (... فنسبة إلى الصدف ككَتِف - بطن من كندة ينسبون إليه إلى حضرموت).

٣٠- الظاهري (نسبة إلى الظاهر: موضع شرقي الشحر على ساحل البحر الهندي... والظاهري: نسبة إلى الظاهر بحذف الهاء: صقع باليمن فوق دثينة يجلب منه الحنطة وغيره).

٣١- الظفاري (نسبة إلى ظفار بفتح الظاء والفاء ثم ألف ثم راء، قال ياقوت إن ظفار مبني على الكسر، قال وهي مدينة بأقصى اليمن على ساحل بحر الهند... وتعرف بظفار الحبوضي، ومنها خرج جمع من الفضلاء الصالحين. وظفار أيضًا اسم لحصنين في اليمن قرب صنعاء... أحدهما في بلاد مراد يماني صنعاء ويسمى ظفار الواديين، والثاني شامي صنعاء ويسمى ظفار الظاهر).

٣٢- العلائي (أي بالفتح والتخفيف جماعة منهم عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحضرمي العلائي وابنه محمد... وهم من ولد العلاء بن العلائي الحضرمي).

٣٣- العيني (بالفتح وسكون التحتانية ثم نون: نسبة إلى العين وهو اسم لخمسة عشر موضعًا... ومنها قرية تعرف بعين با معبد بين أحور والشحر).

٣٤- الغُرفي (نسبة إلى الغرفة بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الفاء ثم هاء: قرية بأعلى حضرموت ذات نخيل ومزارع، بها فقراء صالحون يعرفون بآل أبي عبّاد).

٣٥- الفوي (بضم الفاء وكسر الواو المشددة... وفوة أيضًا بالشحر).

٣٦- الإقشن (بالكسر وسكون الشين المعجمة ثم نون من غير هاء: قرية بساحل اليمن [قشن حاليًا]).

٣٧- القمري (... وأما عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحضرمي القمري: فبفتحتين... وبنو قمر محركة: حي، وغب القمر موضع بين ظفار والشحر).

٣٨- الهجراني (... وما ذكره [الهمداني] من أن القرية التي قرب حضرموت، يقال لها الهجران يقال لها اليوم: الهجرين بالياء رفعًا ونصبًا وجرًا، والنسبة إليها هجراني).

زبدة القول:

يعد كتاب النسبة إلى المواضع والبلدان للمؤرخ العلامة الطيب بن عبدالله بامخرمة المتوفى سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، وبكل المقاييس، أثرًا علميًا موسوعيًا نفيسًا، ليس فقط من عنوانه وفي منهجه وموارده، بل وفي محتواه ومعطياته، وعلى درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الجغرافية والتاريخية والنَسبية والأدبية، ويشكل مع مؤلفات أخرى لعلماء آخرين ثروة علمية وفكرية لا تقدَّر بثمن، مثل كتاب (معجم البلدان)، وكتاب (المشترك وضعًا المفترق صقعًا) لياقوت الحموي، وكتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) لمحمد بن عبد المنعم الحميري.

وفي كتاب النسبة وقفنا على نسب المئات من الأعلام من العلماء ومشاهير الرجال وأنسابهم وتراجمهم في مساحة واسعة شملت كل أصقاع العالَم الإسلامي، ولفترة زمنية طويلة تمتد لما يقرب من عشرة قرون هجرية، وكان نصيب اليمن فيه من أقصاها إلى أدناها ما يزيد عن المائة والسبعين نسبًا - وحضرموت وحدها ما يقرب من أربعين نسبًا - وهو رقم إن يبدو صغيرًا، غير أنه يعد كبيرًا بدلالته المكانية في هذه المساحة الجغرافية المترامية الأطراف التي لم يغفل بامخرمة أن يشير في بعض الأحايين إلى من سكن في أقطارها المتعددة من أصول يمنية. ولعل مما يزيد أهمية الكتاب المذكور ما أضافه المؤلف من تفاصيل ومعلومات متنوعة ومفيدة للموضع أو البلد من حيث الموقع وأصل التسمية، والقبائل القاطنة فيه: أصولها وتاريخها والمشهور من أعيانها، مع تحلية كل ذلك بالأخبار والقصص والأشعار، وتبعًا لذلك كان الكتاب جديدًا في عنوانه وفريدًا في بابه، مما أضفى عليه قيمة موسوعية قلما نجد بها نظيرًا له.

49
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

عادات وتقاليد هضبة دوعن في سطور

(٢ - ٢)





سالم محمد بجود باراس

الزواج في الهضبة:

من أجمل ما في الريف أن الزواج يتم بسهولة في صورةٍ من صور التيسير، وبدون تكاليف مجحفة للزوج، كان الذهب والفضة قبل التسعينيات رخيصًا، وبمقدور الزوج تلبية طلب أهل الزوجة لشروط بنتهم، كان يشترط (ستة بناجر ذهب دقة تركتر) والبناجر مفردها بنجري، وهو ما يلبس في معصم المرأة، ودقة تركتر لا أعرف تسميتها بذلك؛ والتركتر معروف وهو آلة حديدية يمشي على سلاسل بعكس الشيول الذي يمشي على عجل يسمى بحضرموت (تاير)، ويشترط أيضًا حزام فضة، وبعض الأشياء البسيطة والمعروفة في ذلك الوقت،



وملابس النساء من أثواب منوَّعة، وبراقع، ولبس (المَصْوَن) (بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الواو) وهو لبس خاص بالعروس يوضع على الرأس، وغير ذلك، ثم يبدأ الزوج بدعوة جميع القرى المجاورة، وتسمى هذه (عرس ظاهرة)، يتم تجهيز العريس باللبس المعروف قديماً وهو ما يأتي:

الصبيغة: وهو لبس مثل الفوطة، يأتزر به رجل القبيلة على خصره، وسميت صبيغة لأنها تطلى بمادة النيل أو النيلة.

الخراطة: وهي ما تصنع من جلد الأغنام بعد دبغها، تطرز أطرافها يدويًا بنقوش جميلة، يلبسها العريس فوق كتفه يوم عرسه، ويبدأ كل الحاضرين برمي النقود، ما يسمى (القهوة)، وهي كناية عن المساعدة والتكافل الاجتماعي، وتستخدم أيضًا الخراطة كزينة لرجل القبيلة، وكجراب لحفظ طعامه وزاده، وما أشبه ذلك. بالنسبة للعروس توضع لها قطعة قماش تفرش على الأرض، وتبدأ النسوة بوضع النقود فيها بما يسمى (الطرح)، هذه العادة اختفت في الوقت الراهن، وخاصة عند العريس وبقي بعضها عند العروس.

البندق (السلاح):

كان البندق يعد زينة رجل القبيلة، فلابد للعريس أن يرتديه يوم عرسه، والبنادق القديمة كانت كثيرة، أهمُّها (بو فتيلة، الهطفة، الشرفة، العيلمان، بوقمع، هرتي، الميزر، الفلنطة، بوعطفة، الفتيني، سَوزن، بو شعلة، وغيرها وآخرها الكلاكنشوف وهو الآلي)، وللبندق أهمية عند رجل القبيلة، فهو يصطاد به الغزلان والوعول، والشرَّم (بفتح الشين والراء) وهي الأرانب، والوبران، وكذلك أنواع الطيور، مثل: طائر القوري، الخفرد، الحجل، وغير ذلك من الحيوانات والطيور، لذلك قال الشاعر مادحًا بندقه (سلاحه):

بندقي ما هو كما بندقك واللون فيه

بندقي غالي وطوَّلت النَسَع في غشاه

ما هو: أي ليس كما بندقك. النَسَع: هي ذبال تتدلى من الغشاء مزينة ومنقوشة. والغشاء ما يحفظ السلاح ويعد كجراب له ويصنع من جلد الأغنام.





صناعة البارود :

صناعة البارود ليست بالأمر السهل، فهو يستخدم لبنادق البوفتيلة، حيث يُلقم البارود من ماصورة البو فتيلة، ما يسمى بحضرموت (المَعنقة)، ويتكون من ثلاثة أشياء، وهي: الفحم: ويستخدم أهل حضرموت شجرة (العُشر) لاستخراج الفحم منها، ثم الملح الصخري (نترات البوتاسيوم)، وأخيراً الكبريت الأصفر المعروف.

إنَّ هذه المقادير تحتاج ميزانًا ودقة في المكونات، فهي خطيرة، وتحتاج لخبير لعمل البارود وكيفية صناعته، ما نذكره هنا فقط هو إشارة للمكونات، ولابد من النسب المئوية لهذه المقادير، وهي: ٧٤,٨٪، ملح صخري ١٣,٣٪، فحم ١١,٩٪ من الكبريت.

وما قيل في القنص من الشعر قول الشاعر :

نص حق من قنص ومن جاب قشعة ويقنص

نص محكوم نص والضيف بُصرُه بنص

خصني ما اختص من ناس ما لي تخصص

خُص نفسي وكل واحد يخص ذي يخُصُه

القشعة: (بضم أو فتح القاف وفتح الشين والعين) هي قرون الصيد مع جلدته بالرأس، يتفاخر بها الحضارمة كناية عن الشجاعة والقدرة على الصيد، والقشعة يضرب بها المثل للشخص الشجاع والكريم فيقال فلان قشعة .

(نص(نصف الصيد، بصره (بضم الباء وسكون الصاد وضم الراء) أي بكيفه أو له الحرية، وهنا تعني للضيف النصف من القناصة، وهذا يدل على الكرم. ما لي: أي لا دخل لي، فالمثل الحضرمي يقول: (ما سيبي ما حولي)، أي لا أتدخل في أي شيء.

الجنبية والخنجر والشفرة: تعد هذه الأسلحة زينة رجل القبيلة، وهي سلاحه وحصنه المنيع على كل عدو يتربص به، فالجنبية أنواع وقد ذكرناها في كتابنا (زبدة الخلاصة في عادات وتقاليد حضرموت).

الغشاء: وهو جراب يستخدم لحفظ السلاح، ويصبغ بالنيل، تزيَّن أطرافه يدويًا بنقوش جميلة، ويصنع من جلد الغنم، فالحضرمي كان ذا مهارة في الصنع اليدوية، وعرف كيف يصنع من جلود الأغنام أشياء كثيرة، فالحاجة كما قيل أم الاختراع، فصنع القربة لحفظ الماء، والسقا لحفظ قوته وما يلزم في أثناء تنقله من منطقة لأخرى، وصنعت النساء من جلد الأغنام القماش، وهو مثل السقا تطرَّز أطرافه يدويًا، واستخدمته أثناء سروحها بالغنم وتنقلها، ففيه تحفظ قوتها وزينتها وما يلزمها، وصنعوا من جلد الغنم حذاء باجحيش المعروف،



وجراب للسكاكين، ومسبت لحفظ الرصاص وزينة يتمنطق به رجل القبيلة وغير ذلك.

الفص والعضاد والحُبُس والمَخِية: الفص يلبسه العريس ورجل القبيلة، وهو فص من الفضة، يُزيَّن بجلد ذي نقوش وعقد جميلة، ثم يُزيَّن بفص من الأحجار الكريمة، مثل: العقيق اليماني، ويلبس في العنق، والحبس (بضم الحاء والباء) هي سير من جلد، يلبس فوق عضد الرجل كزينة، وكذلك العضاد يلبس كزينة، ويعتقد أنه يشفي من بعض أمراض معينة، تسمى (النكب) (بفتح النون والكاف) وهو وجع بالكتف يستخدم له عضاد من الحديد، والمخية (بفتح الميم وكسر الخاء) هو سير من الجلد أيضًا يلبس تحت الركبة كزينة، ويستخدم أيضًا الحثمة تحت الركبة، وهي من شعر الغنم؛ إذ يعتقد بأنها تبني المادة اللزجة التي في الركب وتعيدها، وربما في هذا الكلام شيء من الصحة؛ فقد قيل لي إن باكستانيًا رأى هذه الطريقة فنصح بها وقال: إنها تبني وتعيد تلك المادة في الركبة والله أعلم، لذلك نجد القليل من أهل الريف ممَّن يشتكي من ركبهُ، فهم يمشون مسافات بعيدة، ويُعمَّر أحدهم فوق السبعين، ولا زال يقطع الأودية، ويعتلي الجبال دون شكوى، وهذه الحثمة تستخدم لحبس السم عندما يتعرض الرجل للدغة ثعبان، أو لسعة عقرب وما أشبه ذلك.

هذا مختصر عن لبس الرجل قديماً، حاليًا بدأت تغيرات تطرأ على رجل القبيلة ليواكب العصر الحديث، فلبس الشال والعمامة المطَّرزة والشيدر والشميز، والمعوز والسلاح الآلي، والحذاء العصري، وهكذا هي سنة الحياة، لهذا قيل في المثل الشعبي: (دهن السار يسير)، والسار هو قطعة الجلد، بمعنى لكل دولة رجالها، ولكل عصر فرسانه.

يبدأ الناس بالتوافد للعرس، ويتم إطلاق الأعيرة النارية من الطرفين كترحيب بالضيوف، وتسمع الزوامل تقترب حتى تصل إلى الطرف الآخر، وهم أقارب الزوج ومن معه، فيطلبون الكلان (العريس) للهوكة عليه، ثم تلتحم الأطراف في الزوامل، ويبدأ الشعراء في التنافس، مثل قول الشاعر علي محمد باصريح بو صدام:

يا مصبّح صبوح النوب فوق المجاني

صبحوا بالمروة والشروع الطويلة

قال با صراح شوف الجمع هذا كفاني

بارك الله في جمع الخوة والقبيلة

الشاعر يمتدح القبيلة وجميع من حضر، وهو يحث على التمسك بالعادات والتقاليد الحميدة، وأشار لها بكلمة (الشروع الطويلة).

يا مصبّح: وهو الصباح. وكذلك صبوح النوب، أي: عندما يذهب صباحًا للمجنى.

باصراح: باصريح، وهي من قبيلة سيبان العريقة.



فهناك أيضًا الغناء يسمى الدان، ومن هذا النوع قول الشاعر الأستاذ سالم عبدالقوي باراس:

غُن يا مغني وشل صوتك رفع به رفوع

غُن حرّك القلب وعروق الرئة والضلوع

صوتك عجبني وحَسُّه عا كياني يزوع

ريت الحراوة تجزّع عندكم من سبوع

غُن: هي من الغناء، أي: أسمعنا صوتك وأطربنا به.

وشل صوتك، أي: ارفع صوتك.

ومن أمثلة شعر الزوامل:

في أحد أعراس منطقة العليسة قال الشاعر أحمد بن يسلم في قصيدة طويلة:

ما نتُم محضوركم بيد القافلة والقافلة كلين بايمسك كراه

ما حنَا إلاّ وشَل ومواشَلة وألاَّ معي حمران با هَوَّش علاه

ما نتُم: ما أنتم، أُدغمت للضرورة الشعرية، وتُعَد من لهجات البادية. محضوركم: أمركم وغايتكم. كراه: أجرته. ما حنا: ما نحنُ. وشل ومواشلة: مساعدة. حمران: اسم لجمل له، وتعني أحيانًا الرجال الذين يعتمد عليهم. با هوّش: با حمِّل عليه، وتعني في مواقع أخرى التحريض ضد آخر. علاه: عليه.

هنا في البيت إشارة خفية للشاعر عبدالله باصرة - رحمه الله - فكان رده جميلاً فقال:

بعض الكلِم مثل الرصاص القاتلة والقَبَح للقبَّاح ذي تربَّى علاه

الكلم: جمع كلمة، أي: بعض الكلمات، مثل الرصاص في حدتها وقسوتها. والقَبَح: الهجاء أو الكلام القبيح. القبّاح: الذي يهجي غيره. علاه: عليه.

وهناك الحَفَّة؛ (بفتح الحاء وتشديد الفاء مع الفتح) وهي أن يتقابل اثنان بحفة معينة على نغم المدروف، وتحريك الأرجل، فهناك حَفّة مثلوثة ومربوعة، ولا يجيدها إلا من هو محترف ومتمرس عليها، والهَبيش: لست أدري سبب التسمية، وربما حسب ما قيل: اسم جِنِّي، فالجميع يصفق من الرجال في المدارة، بقول: هبيش وا هبيش، هبيش وا هبيش، وا حي يا بوك ... وقبل هذه الكلمات يكون الغناء، وآخر بيت من قول الشاعر يقومون للشرح، بحيث تقوم إحدى النساء تسمى (شلالة) (بفتح الشين وتشديد اللام مع الفتح)، أي: من تلحن الصوت لهذا الشعر، فمثلاً قول الشاعر: يا نيم قم ش المصبّح يلعبوا به لعب، وهكذا النساء والرجال تردِّد هذا مع التصفيق والهبيش إلى طلوع الفجر، وهكذا دواليك بقية أيام العرس.

والقزح والغياضي وغير ذلك من الموروث الشعبي، هذه هي عادات وتقاليد ذلك العصر، وما بقي منه اليوم إلا القليل واختفى معظمه.



أشعار النساء في الهضبة:

وللنساء في الشعر والأراجيز دور ملموس، نحاول نقتطف بعضًا من بساتين شعره، فعندما تطحن المرأة ترتجز بالشعر لكي يعطيها النشاط والحيوية، فالمراجيز أو المرجزة سواءً للرجال أو النساء هي عامل قوي لبث النشاط والحيوية وعدم الشعور بالكسل والملل في أثناء العمل، سواءً في الصراب (قطع السنابل من الزرع)، أو الحشيش (حش الرمام)، أو العمل في أي شيء، فمن أمثلة الأرجوزة والمرأة تطحن على المرهاة قولها:

با قوم با شل طحيني ذي في الكيس حَب

حد يطربوا له وحد يا ناس ما له طرب

باقوم: أي للعمل. حب: حبوب الذرة أو الطهف ونحوه. حد: (بفتح الحاء)، أي: شخص يطربون له. الطرب: (بفتح الطاء والراء) هو قمة الرضا والسعادة بالشيء المراد فعله.

وتقول شاعرة في موت سعد بن حبريش:

بن حبريش روَّح من الديس ما شي والعيانة علاه

لما وصل جولة الريان حنّت علاه

كان ابن حبريش شخصية حضرمية لها شأن، لذلك تبارى الشعراء في رثائه كهذه الشاعرة.

روَّح: (بفتح الراء وفتح الواو مع التشديد) هي كلمة دارجة، وتعني ذهب.

ما شي: تعني ذهب، وتُطلَق على كل من مشى برجله أو بسيارته ونحو ذلك، وتطلق في مواقع أخرى بمعنى: لا شيء معي، فمثلاً تقول: هل معك فلوس (نقود)؟ فيرد: ما شي معي.

العيانة: بمعنى العين عليه، كناية عن مراقبته وتبييت النية لقتله.

علاه: بمعنى عليه. كثير من كلمات البادية تقلب بعض الحروف، فمثلاً تقول: صباح الخار: والخار هنا الخير، قلبت الياء ألفًا، وكذلك كلمة ثار بمعنى ثور، فتقول: نطحني ثار بمعنى ثور، وتقول: بعار بمعنى بعير وغير ذلك.

حنَّت: كناية على صوت إطلاق الرصاص عليه بكثافة، وتستخدم لأي شيء فيه صوت، سواءً كان مفرحًا أو محزنًا، تقول: حن الرعد، أي: بدأت المخيلة؛ لأن الرعد رسول المطر وعلامته.

وكانت النسوة قديماً تشارك العروس فرحتها، وتنشد الشعر وتلامس هموم الناس؛ إذ تقول شاعرة:

ما شي عوائد عوائدنا خَطَت عا شبام

حتى القعاطي من أقصوره تقنَّع وزال

واليوم قد قَطبُوا سدته هي والقوام

ما شي: لا توجد. العوائد: هي العادات والتقاليد. خَطت: مرَّت أو تجاوزت. القعاطي: السلطان الحاكم وهو القعيطي. أقصوره: قصوره. قطبوا: خربوا. سدته: سدة المكلا، والقوام: هي ما تقوم عليه السدة.



ومن أراجيز الصراب :

الصراب (بفتح الصاد أو كسرها) هو حصاد البرُ والذرة والشعير ونحوه، والحشيش يكون للرمام، الأراجيز مفردها أرجوزة، يتغنى بها الرجال أو النساء أو معًا على حد سواء؛ لتلهب فيهم النشاط وعدم التعب، فمن أراجيز الرجال مثلاً:

من معه مُدين حَب ما يَعوَّل بالتعب

من معه: أي الذي نصيبه مدين، وهو ملء الكفين من الحبوب.

ما يعوّل: لا يعطي للتعب أهمية.

وقولهم أيضًا:

قال با عوم عَولَة مَيَّحَت ريت لي فيش يالعَولة ثمين

عَولة: اسم لطائر، هو الحمام البري. ميّحت: عبرت ومرَّت أمامي.

ريت: (بفتح الراء والياء) أمنية يا ريت. فيش: فيكِ، أي: العولة.

ثمين: اسم لقسم في هذا الطائر .

الثمين والرُبع والناصفة ونص الثمين هي تقسيمات حضرمية معروفة لأي لحم يتم تقسيمه .

من أراجيز الصراب قولهم:

يا سَبُولَة تمنِّي فوق رأسي ونا صرِب

يا سبولة تمنِّي فوق حرَّاث يعجب

يا سبولة: يا سنبلة. تمني: اطلبي أمنية. ونا صرب: أي وأنا أقطع السبول، بمعنى السنابل. حرّاث: صاحب المحراث .

ومنها أيضًا:

قال بو خالد صباح الخار لك يا غصن راوي

من ثمر مُد لي شمروخ بصطي والقيالي

صباح الخار: صباح الخير. مُد لي: ناولني. شَمرُوخ: عذق من الثمر. بصطي: فطوري .

وقولهم في أرجوزة أخرى:

سرّحت البكرة وقدنا في تراويح العشية

طرَّب المركب بلادك يا الغريب

سرحت البكرة: هو بداية التبكير للعمل.

طرّب المركب: نادى منادي المركب .

أحياناً يَبدع الزوج بيتًا من شعر، وهو يشتغل مع زوجته، فترد عليه بما يناسب قوله ويبدأ العمل بنشاط وحيوية، فالزوج أنشد لزوجته صفية بقوله :

صفية روّحت والمرُوّح في قداها

فترد زوجته صفية :

يظلِّي حيث ظلَّت ويمسي من مساها

وللحب قصص وحكايات في ذلك الزمان؛ إذ يقول شاعر حين الصراب عندما ذكروا له حبيبته:

لحَّد يذكَّر متيَّم في نهار الصراب

زام الهوية عبر مدفون تحت التراب

هذه الأراجيز كان لها قديماً نكهة خاصة، فهي تضفي عليهم السعادة وانشراح الصدر وراحة النفس، فيكون للعمل طرب، أي انشراح، ويذهب عنهم التعب والملل والصمت المخيف في أثناء العمل.

عادة حسن والجويد:

عادة حَسَن والجَويَّد كثيراً ما نسمع عنها، ويُخَيَّل لنا من أول وهلة أنه مَثَلٌ شعبي أو مقولة عابرة، ولكن كفانا مؤونة البحث والسؤال الشيخ أحمد سويد باصريح، فعلى الرغم من أنه لا توجد وثائق ومخطوطات بحوزة أيٍّ من آل سيبان فإنها قد تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، ولكي لا تُنسَى أحببنا توثيقها من عقلاء آل سيبان ووجهائهم، وسنكتب ما حفظوه وهي قاموس ودستور قبلي تعارف عليه الناس منذ مئات السنين، فمن مئات السنين اجتمع المقدم حسن باصريح والمقدم الجَويّد باقديم؛ وهما من قبيلة المراشدة والخامعة؛ بوضع دستور وقانون قبلي يضم العادات والتقاليد والأعراف والأحكام لهذه القبيلة؛ حتى تحمي كيانها وتماسكها الداخلي، ولكي تقوى شوكتها عند القبائل الأخرى، وتثبت وجودها على الساحة، وبعد أشهر من الاجتماعات والمشاورات المتواصلة، اكتمل الدستور، أو ما يُعرَف (بعادة حسن والجَويّد)؛ إذ أقرته فيما بعد الكثير من قبائل سيبان، وعملت به في شؤون حياتها.

أهم ما ورد في هذا الدستور التاريخي:

جريمة القتل: فمن وجد مقتولاً، ولا يُعرَف قاتله، يحلف أربعون حلاّفًا من أقرب منطقة وجد فيها القتيل، وأما المرأة ففيها عشرون حلاّفًا (يمين القسم).

العَقَدة: وهي الهم بالقتل أو التهديد، فعليه غرامة مالية تُقدّر بمائة وعشرين قرشًا.

العَدوة: من الاعتداء ومجاوزة الحق، فكل من اعتدى على الممتلكات الخاصة، تلزمه غرامة تقدر بستين قرشًا.

الهامية والدامية: وهذا ما يختص بحقوق الزوجة، فالهامية التي تتعرض للأذى الجسدي، فينتج عنه أورام وكدمات، ففيها غرامة على الزوج تقدَّر بقرش.

والدامية: ما يحصل بسبب الأذى الجسدي من جروح ودماء، فيلزم الزوج غرامة مالية تقدر بقرشين.

وإذا اعتدى الزوج على زوجته عند نشوب خلاف بينهما في وسط الطريق، وهي سارحة إلى أهلها، ففيها غرامة تقدَّر بستين قرشًا، وتحت هذا البند فقرات تختص بحقوق المرأة والزوج أقرها الدستور القبلي.

النهب والسرقة: ففي الماشية على الرأس الواحد يمين، إذا اتهم أو شك فيه، وفي الثلاثة الرؤوس وما فوقها خمسة حلاّف. وأما الإبل ففيه عشرة حلاّف. وكل ما استجد فعلى مقدم القبيلة الاجتهاد وإصدار حكم فيه.

نكران الأخ لأخيه: وذلك في الحقوق أو طلب الحماية وكان مغلوبًا على أمره، وهنا يقصد بالأخ؛ هو الأخ من القبيلة، فكل من أخَلَّ بهذه الأخوة والنجدة، فعليه غرامة تقدر بألف قرشٍ، عقوبةً وردعًا لِمَنْ تسوّل له نفسه شق عصا القبيلة.

وظل هذا الدستور معمولاً به لدى غالب قبائل سيبان سنوات وأزمنة مديدة، حتى بدأ الخلاف يدب فيها ويفُت في عضدها، كما أن دوام الحال محُال، كما هي حالة كل المجتمعات في كل عصر وزمان، بدأت النزاعات والخلافات بين قبائل سيبان والتشرذم في صفوفها، ولم يستقم لها الأمر حتى جاء عهد المقدم أحمد بن سالم باقديم، والمقدم سعيد بن سالم بانهيم، فجمعا كلمة القبيلة، ووضعت عهود ومواثيق لرأب صدع القبيلة ولمِّ الصف، وانفرد بالزعامة والقيادة المقدم الشاعر سعيد بانهيم لحكمته وحنكته وشجاعته، التي لا يشق لها غبار، فجمع القبيلة وألّف بينها، ورفع صيتها وهيبتها بين القبائل قاطبة، وارتفع صيته عند الحضر والبدو والقبائل المجاورة لحضرموت، حتى وصل صيته وشهرته لكل قبائل اليمن.

مقدم القبيلة:

هو الشخص الذي ينظم شؤون القبيلة ويتحاكم إليه أفرادها في شؤون حياتهم، يطلق عليه المقدّم أو شيخ القبيلة أو (بو الطائلة)، وله مستشار في بعض الأمور يسمى شوير، ومعظم المقادمة قديماً كانوا لا يقرأون ولا يكتبون، ولكن كانوا ذوي حافظة وذاكرة قوية وحنكة وفطنة وفراسة، كان يأتي الخصم فيسرد دعواه والآخر جوابه والمقدم صامت ثم ما يلبث فيقول: لقد قلت كيت وكيت ورد هذا وقال كذا وكذا، فيسرد كل أقوالهم كلمة كلمة، ثم يحكم في الأمر ويخرج الطرفان وهما راضيان بالحكم بدون مجاملة ولا يحيد ولا يميل لطرف.



المقدم سعيد باحسين السومحي

57
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

من أشهر المقادمة في قبيلة سيبان: وهم المقدم سعيد بن سالم بانهيم، والمقدم سعيد باحسين السومحي مقدم السموح، ومن مقادمة الخامعة المقدم أحمد بن سالم باقديم، والجويَّد بن سالم باقديم، والمقدم سالمين بحمد باقديم، ومقدم آل باصريح سالم سويد باصريح، وكان حسب ما أخبرني المقدم سعيد باجاه باصريح أن مقدم الخامعة والمراشدة كان يدعى (باقُعَر) في زمن الحاكم عمر أحمد باصرة، ثم المقدم سعيد بانهيم جاء على المراشدة، وجمع بطون قبيلته وهكذا، وسوف نأخذ نبذة مختصرة لهذه الهامات التي ندر مثلها في العصر الحديث، فقد جمعت الصدق والنزاهة والإخلاص والحنكة، نذكر أهم الشخصيات والهامات القبلية كعينة ونموذج اشتهر بين الناس والقبائل، فهؤلاء على سبيل المثال لا الحصر نقتطف شيئًا من تاريخهم الناصع البياض.

المقدم والشاعر سعيد بن سالم بانهيم :

شخصية معروفة ولد وترعرع في إحدى قرى أرياف المكلا تسمى (رأس محل) عام ١٨٩٣م وتوفي عام ١٩٧٤م، المقدم بانهيم بلغ صيته الآفاق، فهو من فطاحلة وحكماء سيبان، جمع في عصره بطون قبيلته المتناثرة، ورص صفوفهم، وحل الخلافات والنعرات القبلية بينهم، فأصبح له شأن عظيم وشخصية يشار له بالبنان، فقويت قبيلته وذاع صيتها بين كل القبائل.

وقد ألَّفنا كتابًا عن بانهيم ويضم سيرة حياته، من أراد المزيد فيرجع له، وكذا كتاب (صوت من الهضبة)، وصل صيت هذا المقدم والشاعر بانهيم حتى عند قبائل يافع حيث قال فيه الشاعر علي بن أحمد البكري:

سعيد بانهيم وينه وهو معدود شاعر

عمد وادي حويرة عا صاعد وحادر

بغينا الصدق يظهر وبا نحُك الدفاتر

وبا نشوف الذهب ذي عليه الصُفَر ساتر



المقدم سعيد بن سالم بانهيم

المقدم سالم سويد باصريح:



من أشهر مقادمة آل باصريح وأفضلها، اشتهر بالحكمة والفطنة وحدة الذكاء، حتى أن المقدم سعيد بانهيم في عصره جعله من أهم مستشاريه لحكمته وذاكرته العجيبة في حفظ الأحكام وربطها وفك شفرتها وحلحلتها سريعًا، ولد في قرية الدهماء سنة ١٩٠٠م، حل الكثير من القضايا بين قبيلته والقبائل الأخرى، مثل قبيلة نوَّح والخامعة والسومحي وغيرهم، وقد عاصر في وقته مقادمة كثرًا، منهم المقدم مانع باذياب مقدم العوابثة، والمقدم علي سعيد بن كردوس مقدم العوابثة أيضًا، وعاصر والتقى بشيوخ وسلاطين عصره، أمثال السلطان عمر بن عوض القعيطي، وغيرهم من شخصيات ورجال أعمال، توفي في مسقط رأسه بالدهماء سنة ١٩٩١م.

الحياة في الريف:

رغم شحة الإمكانات وقلة الموارد والخدمات فإن أهل الريف لهم حياة هادئة وسكون بال، بل إن أكثرهم من الجيل الأول لو خُيِّر بين الريف والمدينة لاختار الريف؛ لأنه في طفولته وشبابه عانق ترابه وامتزجت روحه به، سوف نجول ونصول في جولة مكوكية خاطفة للحياة في الريف لنحاول الإلمام ببعض التفاصيل لندونها للجيل القادم.

السكن: غالب بيوت أهل الريف بمرتفعات هضبة حضرموت الجنوبية بدوعن من مادة (القرف) (بفتح القاف والراء) وهي مادة جيرية، تستخرج من التلال، تسمى عندهم (القارة)، وهي مادة تميل للاصفرار هشة نوعًا ما، وإذا وضعت بالماء تصبح كالعجينة، فهذه المادة تستخدم بكثرة في الريف لبناء بيوتهم وتقاوم التعرِّيات والأمطار لسنوات وسنوات تفوق المائتين عام.

ومن الجبال يستخرج مادة جيرية تسمى (الصرُوف)، وهي تشبه الكنتر في اتساعها وطولها، وعود سقف بيوتهم من أشجار أرضهم، مثل عود (الضرور، وعود شجرة السدر، والصرح، وغيرها)، وكانت تقطع هذه العيدان في فصل الشتاء؛ لكي لا تدخلها الأرضة وتفسد.

والطين من أرضهم يخلط مع عيدان صغيرة جدًا تسمى (الذياد والتبن، وهي مخلفات الطهف والذرة وغيره).

يعتمدون في طعامهم على الذرة والبر والمسيلي والطهف، وكلها من منتوج أرضهم في ذلك الزمن، فتقوم الزوجة بالطحن على المرهاة لتعمل لزوجها الذرة وهي تتذكر مقولة الأجداد في فضل الذرة لتقوية الأجساد (الذرة ثم الذرة ورهن صلاحك في الذرة)، ثم تفته له بلبن الغنم وسمنها ويشاركه أولاده والزوجة، ويعد المعصرة (دهن السمسم) مع التمر الحجري وجبة أساسية للصغير والكبير؛ لتعطيه الفيتامينات اللازمة لجسمه، فيذهب الزوج إلى صاحب المعصرة فيسكب له بالبطة الدهن (البطة) هي آلة مثل الأبريق أسطوانية الشكل.

أما الغذاء فيكون كعادة الريف يعتمد على (اللخم) والرز كوجبة أساسية ومن فترة إلى أخرى يذبح له رأس غنم وهكذا دواليك.

أكثر ما يشتغلون بالريف ويعتمدون عليه هي الزراعة، فيكثر عندهم أشجار السدر (العلب)، والصرُ، والقرظ، والسُمر، والضبين، وغيرها، وقد كتبت كتابًا بالصور عن أعشاب الهضبة ونباتاتها ويعد الكتاب الأول من نوعه؛ حيث ذكرت فيه الأشجار والنباتات بمرتفعات هضبة حضرموت الجنوبية مع علاجها إنْ وُجِد، أسميته (الأعشاب والنباتات بمرتفعات هضبة حضرموت).

كما اشتغل الناس بمهنة تربية النحل (النوب)، وتربية الأغنام، والبعض يشتغل بأعمال شاقة، كحفر النقاب: (مفرد النقاب بفتح النون والقاف نَقَبة)، وهي اشتقت من نقب



الأرض وحفرها بمعدات بدائية تسمى عندهم (القدوم، والمنفاج، والسبرة، والمربشة) هي عدة الحفر للنقبة، وتستخدم لحفظ الماء وقت مواسم الأمطار وهو عمل شاق جداً حيث ينزل تحت الأرض قرابة ثلاثة أمتار ثم يتسع بشكل دائري تحت الأرض ثلاثة أمتار في كل جهة، أي اثني عشر متراً كخزان أرضي لحفظ الماء، ثم يوضع لها على سطح الأرض سواق، وبهذا ينتهي العمل، كما اعتمد الناس على (الكرفان) وهي حفر كبيرة وضخمة، تقوم بشقها آلات ومعدات، كالبوكلين والشيول، وتستخدم لحفظ أكبر كمية من المياه.

الحياة الاقتصادية:

لا يكاد يومٌ من أيام الناس يمر وإلا والمواطن يتألم من جور الغلاء الفاحش وصعود غير مسبوق في الأسعار مقارنة بدخل الفرد الذي لا يسد حتى ضرورات المعيشة، حينها يتذكر ذلك الزمن الجميل زمن الشلن في التسعينيات وما قبلها، فلسان حاله يتذكر مقولة (عوض لعنة) وهي شخصية معروفة بالمكلا حينما قال: (وين سفينة نوح، وين ناقة صالح، وين شجرة مريم)، ويقصد بها عملة الشلن لدولة الجنوب سابقًا، فقد كانت فيه صورة لسفينة ونخلة وناقة مخفية، كانت الأسعار بعد الوحدة اليمنية مقبولة نوعًا ما، من التسعينيات وحتى عام ٢٠١٤م تقريبًا كان دخل الفرد يتواكب مع أسعار المواد الغذائية حينها، ولكن السنوات ما بعد هذا العام بدأ الجحيم يستعر بناره ويزحف بدخانه، حتى وصل لأسعار جنونية تفوق الخيال، ووصل الناس لتحت درجة الصفر من الفقر والجوع، سنحاول نضع جدولاً لأسعار المواد الغذائية كمقارنة وذكرى عابرة لما كان عليه الوضع عام ١٩٩٠م والوقت الراهن ٢٠٢٢م.

في وقتنا الراهن بدأت الحياة تتعقد أكثر، فنزح الكثير إلى المدن بسبب عدم وجود خدمات عامة، وأعمال يرزقون منها، ويظل الريف مهوى لكل من تربى وترعرع فيه، فقلوبهم - مهما هاجروا إلى دول الخليج أو المدن - تظل تخفق كأفئدة الطير لعشها وسكنها.

المراجع والمصادر:

- المقدم الشاعر سعيدبن سالم بانهيم وشعراء آخرون، ط١، لعام ٢٠١٦م.
- كتاب صوت من الهضبة، ط١، لعام ٢٠٢٠م.
- الأعشاب والنباتات بمرتفعات هضبة حضرموت، ط١، دار الوفاق، لعام ٢٠٢٢م.
- رحلة كفاح ونجاح.. من أعلام حضرموت سالم أحمد باصريح، ط١، لعام ٢٠٢٠م.
- زبدة الخلاصة في عادات وتقاليد حضرموت، ط١، دار الوفاق، لعام ٢٠١٩م.

الدوريات:

- مجلة المكلا، العدد ٢٨، لعام ٢٠١٦م.
- مجلة شعاع الأمل، العدد ١٥٠، لعام ٢٠١٤م.
- مجلة شعاع الأمل، العدد ١٤٦، لعام ٢٠١٤م.
- المجلة الحضرمية، العدد الأول، لعام ٢٠١٩م.

أسعار المواد الغذائية لعام 1990م متوسط الراتب للفرد ألفين شلن	المواد الغذائية لعام 2022م متوسط الراتب للفرد ستين ألف ريال يمني
الحوت الثمد بو 15 كيلو 600 شلن	الكيلو الثمد 4 ألف ريال يمني
اللخم الفراسلة والفراسلة 20 رطل 160 شلن	الفراسلة اللخم 50 ألف ريال يمني، الفراسلة 20 رطل، الكيلو رطلين سعرهُ 5 ألف ريال يمني
البرميل القاز والديزل بو 200 لتر 400 شلن	الدبة الديزل 18 ألف ريال يمني
السكر بو 50 كيلو 300 شلن	السكر بو 50 كيلو 50 ألف ريال يمني
الرأس الغنم 400 شلن	الرأس الغنم المتوسط 80 ألف ريال يمني
الجمل الكبير 4000 شلن	الجمل الكبير 2 مليون ريال يمني.
رز كورة 50 كيلو 160 شلن	رز بو طائرة كورة 50 كيلو 40 ألف ريال يمني
البر 105 شلن	البر 35 ألف ريال يمني
الدقيق بو جمل استرالي 90 شلن	الدقيق بو 50 كيلو 40 ألف ريال يمني
اللبن الدانو العلبة 25 شلن الكرتون وفيه 6 حبات سعره 150 شلن	العلبة الدانو اللبن 18 ألف ريال يمني
الريما (زيت الطبخ) بو 18 لتر 120 شلن	الريما(زيت طبخ) بو 18 لتر 30 ألف ريال يمني

60
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

الحضارمة في الفلبين



صدقت ياشكيب أرسلان، هم فعلًا السيل الجارف، لكن ذلك السيل لم يترك دماراً ولا خراباً، لم يقتل طفلًا ولا امرأة ولا رجلًا، وإنما هو سيل يرتقي بالناس إلى الأعالي، هم كما قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر - رضي اللّه عنه - لرستم قائد الفرس في معركة القادسية: (إن اللّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّه، ومن ضيق الدنيا إلى سعته، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه...) فكانوا هم خير الدعاة، ولنتعلم منهم، ونتعرف من خلال هذا المقال على الصلات الحضرمية بالفلبين.



أبوبكر حسين مقيبل

عُرفت الفلبين قبل غزو الإسبان لها سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٧م باسم جزر (مانبولاس)، وبعد ما غزاها الإسبان أطلقوا عليها (الفلبين)، نسبة إلى فيليب الثاني ملك إسبانيا[١]. ويقول المسعودي في كتابه مروج الذهب: "فقد عرف العرب والمسلمون منذ القدم جزر الفلبين، وأطلقوا عليها اسم جزر المهراج"[٢].

تقع في جنوب شرق آسيا، غرب المحيط الهادي، في شكل أرخبيل، مكوَّن من ٧١٠٧ جزر، تتفاوت في مساحتها تفاوتًا كبيراً، وغالبها غير مأهول بالسكان، وتعد الفلبين جزءاً من أرخبيل الملايو، الذي يضم ثلاث دول، هي: إندونيسيا، وماليزيا، وسنغافورة، وهي الدول العامرة بالخيرات والثروات الطبيعية، ممَّا جلب عليها أطماع الدول الأوروبية. تحدُّها تايوان من الشمال عبر مضيق لوزون، وفيتنام من الغرب عبر بحر الصين الجنوبي، وبحر سولو في الجنوب الغربي يفصلها عن جزيرة بورنيو، وبحر سلبس إلى الجنوب يفصلها عن غيرها من الجزر في إندونيسيا. يحدها من الشرق بحر الفلبين. عاصمة الفلبين هي مانيلا[٣]، ويبلغ عدد سكانها - بناءً على أحدث تقديرات الأمم المتحدة - حوالي: (١٠٧,٠٥٩,٢٤٨) نسمة، يشكل المسلمون فيها حوالي ١٠٪ من السكان[٤].

وتنقسم جزر الفلبين ثلاثة أقسام رئيسة:

61
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



١- جزيرة لوزون: وتقع في القسم الشمالي، وهي أكبر الجزر، وتبلغ مساحتها ١٥٠ ألف كيلو متر مربع.

٢- جزيرة ميندناو: وتلي لوزون في المساحة، وتقع في القسم الجنوبي، الذي يضم أيضًا مجموعة أخرى من الجزر، يطلق عليها أرخبيل صولو، أو سولو[٥]، وتبلغ مساحتها ١٤٠ ألف كيلو متر مربع.

٣- جزيرة فيسايا: وتقع في القسم الأوسط من الفلبين، وتضم مجموعة كبيرة من الجزر، وتمتد في الغرب جزيرة بالاوان مع مجموعة جزر صغيرة لتحيط ببحر صولو[٦].

تعددت الروايات عن بداية انتشار الإسلام في الفلبين، واختلط التاريخ بالحكايات، وبعضها الآخر بالأسطورة، وعلى هذا الغرار وردت روايات في (ترسيلا أو سيلا سيلا)[٧]، أي: سلسلة الملوك المسلمين لسلطنة (سولو) بالفلبين. فهناك رواية تقول: إن الإسلام قد انتشر في ربوع هذه البلاد في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على يد عربي، اسمه (شريف أولياء كريم المخدوم). وكان قد جاء من (ملاقا) سنة ٧٨٢هجرية/ ١٣٨٠م، كما تذكر رواية أخرى أن شريفًا هذا هو والد مولانا الملك إبراهيم، أحد الأولياء التسعة، الذين تم على أيديهم دخول جزيرة جاوا كلها في الإسلام. ثم جاء بعده عربي اسمه أمين الله المخدوم الملقب بالسيد النقاب. ويعتقد أنه جاء إلى هذه المنطقة ضمن بعثة تضم عددًا من المسلمين الصينيين. واستمرت حركة انتشار الإسلام بعد ذلك في (سولو)، خصوصًا في مناطقها الريفية عندما أتى عربي اسمه سيد أبوبكر إلى المنطقة، وتجُمِع (التراسيل)، أي: كتب سلسلة الملوك كلها على أنه نُصِّبَ أول ملك لسلطنة (سولو)، وكان يُلَقَّبُ بالشريف القاسم. وهناك شخصيتان عرف عنهما الفضل الكبير في نشر الإسلام في تلك المناطق، أولهما يسمى (موهادوم)، والآخر (علوي بالفقيه)، ويقال إنهما شقيقا سيد أبي بكر. ويسجل الرحالة الغربي (هانت) الموجود في المنطقة في ذلك الوقت أن شريفًا آخر اسمه (سيد بالفقيه) وصل من مكة، فاستطاع أن يجعل السكان كلهم يدخلون في الإسلام[٨].

وتقول المصادر الأهلية إن الإسلام وصل إلى الفلبين على أيدي سبعة إخوة من العرب، الذين قَدِمُوا أصلاً من شبه جزيرة العرب. وأن أشهرهم أبوبكر، الذي قدم عام ٨٥٣هـ/ ١٤٥٠م تقريبًا، ويلقَّب (قدوكا مها ساري مولانا سلطان شريف الهاشمي) كما هو مكتوب على ضريحه، وتعاقبت سلالته بعده على السلطنة، وأحد السبعة السيد علي بالفقيه، ناشر الإسلام في جزيرة تاوي تاوي وغيرها. وفي "بود داتو في جزيرة جولو ضريح لأحدهم يحمل تاريخ ٧١٠هـ، ويحتمل أنه كان أول الدعاة الذين وصلوا إلى سولو"[٩].

وجاء في صحيفة (العلم) الثقافي، التي تصدر في الرباط بالمغرب، ما يلي: **"لقد دخل الإسلام إلى جزر الفلبين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي على أيدي جماعة من الأشراف العلويين الذين وصلوا إلى تلك البلاد".**

ثم قالت: **"وقد حملوا راية الدعوة الإسلامية هناك، وساعدوا على تنمية البلاد وتطوير مؤسساتها الاجتماعية والثقافية والسياسية"**[١٠].



يقول الدكتور نجيب صليبي[١١]: "أزهر الإسلام وتفتقت أكمامه، وبسقت أغصانه، وألقى بكلكله وجرانه، وأسمع مناديه، وأقيمت المساجد لعبادة الله، ونودي على منائرها بلا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، على شاطئ (ميندناو) الشمالي في البسيط الخصيب المعمور في جانب الموضع المعروف بـ(فولانقي)، كان ذلك قبل أن يطلع ليقسفي[١٢] على ساحة (سيبو)، ثم نودي وأعلن بعد ذلك بالشريف محمد بن علي زين العابدين والياً على (ماكينداناو) عن إجماع من السكان ورضى به وإقرار ثابت منهم وطيبة نفس، حكومة إسلامية[١٣]. ويقول أيضًا: فهؤلاء الذين نشروا الإسلام في جزائر فلبين من ذرية علوي بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العُريضي. جاؤوا من حضرموت من طريق الهند، وجدهم الجامع لهم هو علوي عم الفقيه المقدم[١٤].

كما ذكر الدكتور نجيب الصليبي وقال: إن رجلاً واحدًا نجح بنشر دين الإسلام وعرَّفه إلى الناس وقوَّاه في قلوبهم وأعلنه بين ظهرانيهم، وشهر عندهم فاشتهر، وأظهره لديهم فظهر، رجل واحد فقط، هذا الرجل أقام حكومة (ماكينداناو)، فرتّب أمورها، وأسس قواعدها بين الداخلين في الإسلام. أما اسمه الكامل فهو الشريف كابونغسوان يعرف به هناك، وهو من غير أدنى شك أشجع من وطئت قدمه أرض هذه الجزيرة، وإن كان كتَّاب تاريخ هذه الجزيرة المتعددون يذكرون في قالب حكايات لهم أنه قد تقدمه رجلان فتحا الطريق ومهَّدا السبيل، وهم يسمونهم الأشراف الأولياء (شريف أولياء)[١٥].

والقول الأصح قبل هذا كما ذكر الشيخ العلامة المتقن شمس الدين أبو عبدالله محمد الأنصاري الدمشقي في كتابه المسمى (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) فقال دخل قوم من العلويين في ست جزر الشرقية تسمى (سيلى)، فاستوطنوا بها، وتناسلوا فيها، وملكوا عليها وماتوا بها، وقال رحمه الله: قال: أهل العلم بذلك، ومن أجزاء سيلى بعض جزر الفلبيين[١٦].

بحسب الاستنتاجات والأخبار أن وصول الإسلام إلى جزائر الشرق الأقصى في العموم كان في وقت مبكر، غير أن التحقيق فيما يتعلق بجزائر مورو[١٧] لم يصل بعد إلى قرار حاسم، ولكن قد تبين أن الدعاة كانت لهم آثار واضحة، وفي محاضرة ألقاها الشاب الفلبيني المجاهد في قاعة مبنى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م قال: "إن الإسلام وصل بموكب نوره إلى فلبين في القرن التاسع الميلادي على أيدي التجار العرب والفقهاء والصوفية، غير أن تأسيس أول حكومة في جزر الفلبين يعود تاريخه إلى عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م على يد الشريف أبي بكر سبط سلطان جهور"[١٨].

لكن يبقى الأهم وهو كيف وصل أولئك الرجال إليها؟ وهل جماعات أو فرادى، وكيف كان استقبال الناس لهذا الدين؟ وماذا منحهم هذا الدين؟. لنتعرف على كل ذلك في العدد القادم إن شاء الله.

الهوامش:

١) قمر، محمود أحمد: الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة مصر ١، ٢، ط/ ٢٠٠٣م، ص٦٣.

٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية صيدا، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، ١/ ٧٩.

٣) الاسم الأصلي لعاصمة (الفلبين) هو (أمان الله) ثم حذفت الألف من البداية، وحرفت الكلمة فصارت (مانيلا)، انظر (العبودي، محمد بن ناصر: نظرة إلى الفلبين بين زيارتين رسمية، وخاصة، مطبعة النرجس االتجارية، الرياض، ط/ ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص٢٩.

4) -https://mawdoo3.com/6

٥) وفيها تأسست أول دولة اسلامية في الفليبين وهي سلطنة سولو الإسلامية على يد الداعية العربي الشريف أبوبكر الملقب بالهاشمي. (شهاب، محمد أسد، جولة في ربوع جزر مورو، الناشر: هيئة البحوث الاسلامية جاكرتا اندونيسيا، ط/ ١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٩٣).

٦) شاكر، محمود شاكر: المسلمون في الفلبين ودولة مورو، المكتب الإسلامي بيروت - لبنان، ط / ٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٨، محمود قمر: الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا، مرجع سابق، ص٦٣.

٧) وهي عبارة عن شجرة نسب أو سلسلة نسب كتبت عن أوائل سلالات المورو المسلمين في الفلبين أي ما تفرع من ذرية تنتسب إلى العظماء، حفظها في عناية جميع السلاطين أو الأمراء على حدة. انظر علوي بن طاهر الحداد: المدخل لتاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص٢٧١. كما ذكر المؤرخ الفلبيني (قيصر أديب ماهول): أنها سلسلة النسب التي اعتنى بها مسلمو الفلبين أكبر عناية واعتبروها من أهم وثائقهم التاريخية المسجلة. عدس، محمد يوسف: الفلبين، دار المعارف، القاهرة، ط/ ١، ١٩٦٩م، ٢/ ٤.

٨) الجعفري، بشار: أولياء الشرق البعيد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط/ ١، ٢٠٠٣م، ص٢٩٤.

٩) الحداد، علوي بن طاهر بن عبدالله: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، تحقيق، محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة جدة - المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص ٢١٠. وينظر صليبي، نجيب، تاريخ سولو، ص ٤٩، ٥٠.

١٠) العدد ١٠٢٩٩، تاريخ ١٩ شوال ١٣٩٨هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٧٨م) ص٣، من حديث الدكتور علي القاسمي الخبير في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، وهو خبير في مكتب تنسيق العربية في الرباط.

١١) أصل أسرته من حوران ثم استقرت بلبنان تعرف بصليبي، توفي سنة ١٣٥٥هـ، عمل طبيباً في القوات الأمريكية اعتباراً من سنة ١٩٠٠م، وهو من أصل لبناني، كان يجيد اللغة العربية، عيناً في (مندناو)، وتعلم لغتين من اللغات المحلية الأكثر انتشاراً هما: (الماجندناو والتاوسوج). استخدم صليبي قدراته اللغوية في ترجمة (الترسيلات) والقوانين المحلية إلى اللغة الإنجليزية، فأتاح بذلك لعلماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين دراستها لأول مرة. وسرعان ما اعترف به الأمريكيون خبيراً بشئون مسلمي الفلبين. وفي سنة ١٩٠٣م عُيّن وكيلاً لشؤون (الموروس)، وفي سنة ١٩٠٥م، أصدر أول دراسة علمية عن مسلمي الفلبين لتنشر باللغة الإنجليزية، وبذلك تأهل لوظيفة أول مدير للمدارس في محافظة (الموروس). انظر عدس، محمد يوسف: الفلبين، مرجع سابق، ٢/ ٢٠.

١٢) قائد أسباني هاجم تلك الجزائر. (انظر الحداد، علوي بن طاهر: المدخل إلى تاريخ، مرجع سابق، ص٢٥٥).

١٣) الحداد، علوي بن طاهر: المدخل إلى تاريخ، مرجع سابق، ص٢٥٥.

١٤) الحداد، علوي بن طاهر الحداد: عقود الألماس، تريم للدراسات والنشر، ص١٢٩.

١٥) الحداد، علوي بن طاهر: المدخل إلى تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٦١.

١٦) أبو طالب، شمس الدين أبي عبدالله محمد الأنصاري الصوفي الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، قام أولاً بطبعه المرحوم فرين أحد أعضاء الأكاديمية الإمبراطورية بمدينة بطربورغ ثمّ أعتنى بعد وفاته بتصحيحه وطبعه العبد المفتقر إلى رحمه الله أغشطس بن يحيى المدعوّ مهرن مدرس الألسنة الشرقية في المدرسة العظمى الملكية بمدينة قوبنهاغ المحروسة، مطبعة الأكاديمية الإمبراطوريّة ١٢٨١هـ-١٨٦٥م، ص١٣١.

١٧) أصل كلمة (مورو) هو الذي لم يهجر الأندلس من المسلمين بعد سقوط غرناطة يسمَّى (موريسكو)، وهي لفظة أطلقت أوّلاً على معتنقي الإسلام من الإسبانيين، وهكذا جاء الاسم بالإسبانية (مورو) وفي الإنجليزية (مور) أطلقت اصطلاحًا على كل مسلمي إسبانيا وإفريقيا الشمالية الغربية، وقد أطلقه الإسبانيون على مسلمي الفلبين عندما اكتشف ماجلاَّن هذه الجزائر سنة ١٥٢١م. (انظر فيليب حتَّى: العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين - بيروت- لبنان، ط/ ٤، ١٩٦٨م، ص٢٠٨).

١٨) الحداد، علوي طاهر: المدخل إلى تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

قائمة المصادر والمراجع:

١- أبو طالب، شمس الدين أبي عبدالله محمد الأنصاري الصوفي الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، قام أولاً بطبعه المرحوم فرين أحد أعضاء الأكاديمية الإمبراطورية بمدينة بطربورغ ثمّ اعتنى بعد وفاته بتصحيحه وطبعه العبد المفتقر إلى رحمه الله أغشطس بن يحيى المدعوّ مهرن مدرس الألسنة الشرقية في المدرسة العظمى الملكية بمدينة قوبنهاغ المحروسة، مطبعة الأكاديمية الامبراطوريّة ١٢٨١هـ-١٨٦٥م.

٢- الجعفري، بشار: أولياء الشرق البعيد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط/ ١، ٢٠٠٣م.

٣- الحداد، علوي بن طاهر الحداد: عقود الألماس، تريم للدراسات والنشر.

٤- الحداد، علوي بن طاهر بن عبدالله: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، تحقيق، محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة- جدة- المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٥- شاكر، محمود شاكر: المسلمون في الفلبين ودولة مورو، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان، ط / ٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٦- شهاب، محمد أسد، جولة في ربوع جزر مورو، هيئة البحوث الاسلامية جاكرتا إندونيسيا، ط/ ١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧- صليبي، نجيب، تاريخ سولو.

٨- العبودي، محمد بن ناصر: نظرة إلى الفلبين بين زيارتين رسمية، وخاصة، مطبعة النرجس االتجارية، الرياض، ط/ ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

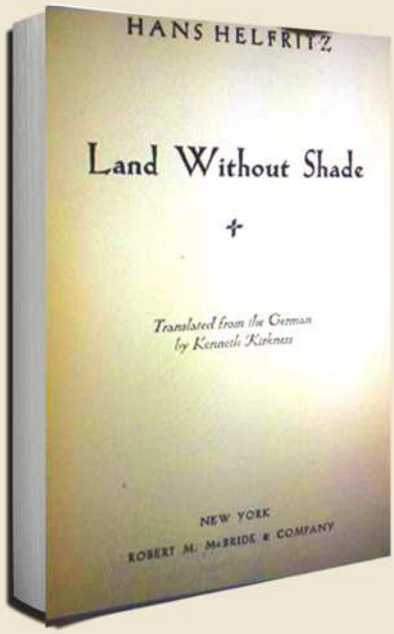
٩- عدس، محمد يوسف: الفلبين، دار المعارف، القاهرة، ط/ ١، ١٩٦٩م.

١٠- فيليب حتَّى: العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين- بيروت- لبنان، ط/ ٤، ١٩٦٨م.

١١- قمر، محمود أحمد: الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة- مصر ١، ٢، ط/ ٢٠٠٣م.

١٢- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية صيدا، بيروت- لبنان، ط/ ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

64
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



أرضٌ بِلا ظِلال

هانس هيلفريتس (Hans Hilfritz)

ترجمها من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية
كينث كيركننز (Kenneth kirkness)

نيويورك
روبرت م. ماكبرايد

أرض بلا ظل
حقوق النشر هانز هيلفرتز ١٩٣٦م
طبع في الولايات المتحدة الأمريكية
النسخة الأولى

النسخة الألمانية لهذا الكتاب
نشرت في مدينة ليبزج (liepzig) في كتابين
الأول بعنوان (شيكاغو الصحراء)
والثاني بعنوان (أرض بلا ظلال)



ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن

الفصل الثامن

شيكاغو الصحراء

إن كان ثمة شيء يمكن أن يحفّز الـمُستكشف على تجشم المخاطر والمتاعب في رحـــلته إلى الجنوب العربي، فذلك هو الأمل في اكتشاف شيء ما عن التاريخ القديم لهذه المنطقة المجهولة، أو يجد مصادفة أثراً من ذلك الماضي البعيد.

بالقرب من شبام وعلى جبل يسمى جبل القطن وجدت نقشًا يعود للعصور السبئية، موجَّها إلى إله القمر (سين)، ورسومًا حيوانية غريبة رُسمت نقشًا أو وشماً في الصخر حيث يتم تثقيب وجه الصخرة لتكوين حفر صغيرة متقاربة بعضها من بعض ثم تُملأ بمادة حمراء.

65
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



كان هذا الجبل في وقت ما في الماضي مكان تجمع عام، يقع على طريق القوافل العظيم، الذي يمر عبر صحراء حضرموت إلى اليمن، أي: من شبام إلى صنعاء، رابطًا بين الممالك القديمة: سبأ، ومعين، وقتبان، وحضرموت.

وشمال الجزيرة العربية يختلف عن جنوب الجزيرة؛ إذ سكنت الجنوب أمم متحضرة من ألف سنة قبل الميلاد؛ فلقد كانت مملكة سبأ موطنًا لأقدم حضارة، وفي القرن السادس قبل الميلاد احتل الأثيوبيون او الأحباش كما يسمون اليوم هذا البلد. أخبرنا البدو بوجود نقوش وتماثيل ومبانٍ كثيرة في منطقة (الجوف)، ولكن لسوء الحظ لم أستطع أن أسلك طريق القوافل القديم، الذي يؤدي إلى أرض الملك ابن سعود مرورًا بالجوف رغم أن البدو لا زالوا يسلكون ذلك الطريق بانتظام إلى يومنا هذا، لقد فشلتُ في أن أجد ولو بدويًا واحدًا يستطيع أن يكون دليلاً لي في تلك الطريق الخطرة، فكون البدوي مسؤولاً عن سلامة رجل أجنبي هناك يجعل حياته هو نفسه في خطر كبير. لقد قيل لي إن جبال "القبلة" الواقعة على ذلك الطريق بها قبيلة عربية متوحشة تسمى قبيلة الصيعر، لذا فقد كان من المستحيل عليَّ الوصول إلى سبأ، وهذا الأمر خلق لدي خيبة أمل، ولكن زيارتي لمدينة شبام أقدم مدينة في حضرموت وأقواها خففت كثيرًا من وطأة خيبة الأمل تلك. لم تخلق في نفسي أي مدينة في حضرموت انطباعًا عن ناطحات سحاب مثل ما فعلت شبام.

شبام التي تقع في وادي حضرموت، في المكان الذي يلتقي فيه وادي حضرموت الرئيس بوادي العين ووادي سر، هي فعلاً شيكاغو الصحراء.

تقع المدينة في وسط ربوة، تحيط بها أودية كبيرة، لا يوجد سور للمدينة، ولكن البيوت (بيوت طويلة ضيقة لها فتحات للرماية، وأسطح بيضاء) بُنِيَ بعضُها قريبًا من بعضٍ، في تراصف يقوم بدور السور. إنَّ الشخص الآتي من سيئون عبر الوادي سيرى من بعد أميال عدَّة تلك المدينة العظيمة ذات البنيات العالية المكوَّنة من اثني عشر طابقًا أو أكثر.

يقطن المدينة ستة آلاف شخص، ولها بوابة وحيدة تشبه مدخل قلعة البارون اللص التاريخية، غيرَ أنهَّا ليس بها خندق مائي، ولا جسر متحرك. تجعل الجدران الطينية الصلبة وأبراج المراقبة العالية المنصوبة بعيدًا في الوادي وعلى قمم الجوانب الصخرية للوادي من شبام قلعة منيعة جيدة التحصين. لكن وعلى الرغم من موقعها المناسب للأغراض الدفاعية، فإنَّ شبام عرضة لغارات قبائل البدو وهجمات العصابات؛ فعلى مقربة من شبام في وادي العين ووادي دوعن تنتشر وبكثرة الحروب القبلية والكمائن، فخلف كل تل رملي وكل قلعة صخرية قد تجد بدوًا متربصين عازمين على السلب، وقد عانينا نحن كثيرًا في سبيل التغلب على مشاكل كهذه.

في إحدى الليالي وصلنا إلى بلدة صغيرة تسمى (بلدة البقري) في وادي العين[٣] بعد المغيب، وعند اقترابنا من تلك البلدة الصغيرة سمعنا أصوات طلقات رصاص، تطلق من بنادق على فترات متقاربة، وهذا ما منع البدو من المغامرة بالاقتراب ولو خطوة واحدة تجاهنا، فأمضينا تلك الليلة في برج مراقبة صغير، به عدد من الجنود القعيطيين. فيما بعد علمنا أن بلدة البقري التابعة للقعيطي تحاصرها قبيلة بدوية منذ أكثر من سنتين،

وقد دافع السكان والجنود بشجاعة عن بلدتهم طيلة هاتين السنتين. وبوابة البلدة تُفتح في الصباح، فيدخل البدو البلدة بسلام، ويمضون بعض الوقت مع السكان، ويشترون ما يحتاجون، وعند حلول الليل تبدأ الحرب من جديد، وتتعرض جدران البلدة الصلبة للرصاص، ولكن لا يستطيع المهاجمون اقتحامها. إنَّ ما ينبغي التنبه له هو إغلاق النوافذ بإحكام، ففي إحدى الليالي نسينا أن نغلقَ نوافذَنا بإحكامٍ فتعرَّضْنا لإطلاق نار، لتستقر بعض الرصاصات في جدار الغرفة، ومع طلوع النهار يتوقف إطلاق النار مرة أخرى؛ ليتسكع البدو في البلدة صباحًا، ويتبادلوا الحديث بابتهاج مع السكان، الذين أقلقوا سكينتهم في الليل، وكأن شيئًا لم يكن.

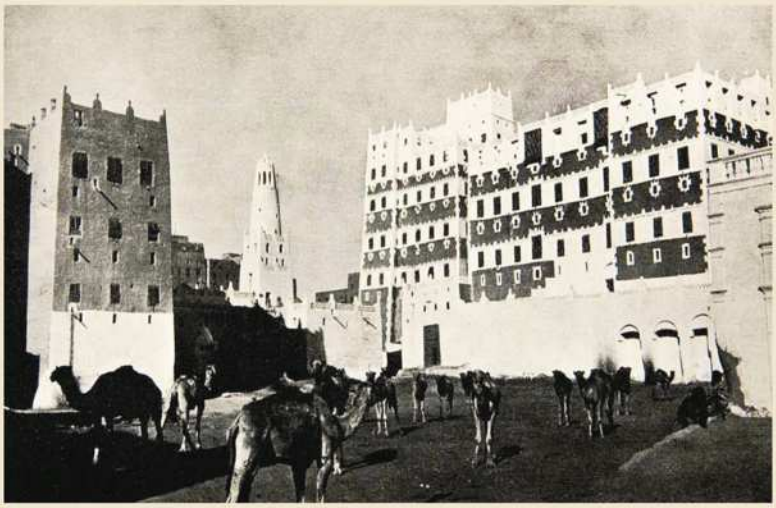
يحكم شبام سلطان قعيطي، هو ابن عم سلطان المكلا، وأثناء وجودنا كان قد استقبلنا في مقر إقامته الصيفي.

سلطان شبام طويل القامة ونحيف، ملامحه جميلة وجذابة. جلس ذلك السلطان مع ابنه الصغير على الأرض أمام سفرة من المعجنات والحلويات العربية اللذيذة، فأكل منها بشراهة رغم أنه يعاني من الديسنتاريا منذ فترة طويلة. ذاع صيت صديقي بسرعة في كل حضرموت كطبيب مقتدر، وقد قمْنا بمساعدة الكثير من الناس، ولكن تدفَّقت علينا حشود من المرضى الحقيقيين والمدَّعين. أراد سلطان شبام أن يستشيرنا في مرضه الذي لم يستطع الأطباء العرب علاجه، ولحسن الحظ كان لدينا ما يمكن عدّه أفضل علاج لمرضه وهو الإيميتين emetin، الذي يُستخرَج من جذور نبات عرق الذهب، فقمنا بإعطائه حقنة من ذلك الدواء المُرِّ فتحسَّنتْ حالته سريعًا، بل شفي تمامًا، فقد أثَّر استعمال هذا الدواء، الذي تم اكتشاف خصائصه العلاجية في السنوات القليلة الماضية، وهو فعّال جدًا، فقد أفاد الناس كثيرًا في المناطق الاستوائية، ولكنْ ليست الصعوبة في علاج الناس من هذه الأمراض، وإنما الصعوبة تكمن في كيفية إقناعهم بعدم تناول الشراب والأطعمة الملوَّثة والضارَّة بالصحة، وسلطان شبام وليس استثناءً قد التزم



بالحِمْيَة ليوم واحد فقط، وفي اليوم الثاني شوهد وهو يأكل لحم الضأن المليء بالشحوم مع صلصة الفلفل الحلو، وكان من الصعب إقناعه بعدم شرب الماء غير المغلي، ولم يلتزم إلا بعد تحذيره مرارًا بأن شرب الماء غير المغلي يسمح لأعداد مهولة من الديدان بدخول معدته مُسبِّبةً له أمراضًا مخيفة.

بعد ذلك أصبح سكننا مكانًا يقصده الكثير من المرضى الباحثين عن علاج، وصارت سمعتُنا في الآفاق بعد علاجنا للسلطان. يوجد أطبَّاء عرب يسمون (حكماء)، يلجأون إلى الحجامة في محاولة لعلاج كل أنواع الأمراض، بما فيها أمراض العين. يخضع المرضى لهذا النوع من العلاج، فتراهم جالسين على جوانب الطرقات، ولديهم أوعية أو قصاع، والحكيم يباشر عمله. تُوضَع صفيحة من الصفر أو النحاس فوق الجراح المفتوحة وتربط برباط. وأحيانًا يُستخدَم هذا العلاج في أوربا حيث اكُتشف أن لهذا المعدن خصائص تساعد على الشفاء، لكن يقف هؤلاء الحكماء عاجزين عن علاج الحُمِّيَّات، كالملاريا (وإن كانت غير شائعة)، وأمراض العيون، والتقرُّحات، والجراح المتقيِّحة بأحجام كبيرة ومخيفة. وفي حالات كثيرة تتقيَّح أطراف المرضى، ولكنهم يتحمَّلون الألم بصبرٍ لا حدود



له. حشودٌ لا تتوقف من الناس تلاحقُنا أينما ذهبْنا، وكُلُّهم يردِّدون العبارة نفسَها (قليل دواء)، إنهَّم بكل تأكيد يفضِّلون دواءَنا الرحيم إلى حدٍّ ما على الكَيِّ، الذي يعشقُه الحكماء ويقومون باستخدامه في علاج كل الأمراض، الداخلية منها والخارجية، وتكاد تجد شخصًا قد نجا منه.

أرانا كثيرٌ من المرضى قوارير أدوية، بها كتابة عربية أو هندوستانية، تمَّ إحضارها عبر عدن من أوربا، ويدَّعي بعض المخادعين أنهَّا علاج لكل داء من الحُمَّى إلى كسور العظام وتصلُّب بثور أصابع القدم.

لا يعتقد المرضى أن أسباب المرض هي أسباب طبيعية. إنهم يُصرُّون وبعناد شديد على أنَّ السبب وراء أمراضهم وآلامهم دُودَةٌ، يرسلها الجن إليهم، فيأتي مع المرضى بعض المخادعين مُدَّعين أنهَّم مرضى؛ كي يحصلوا على الدواء، ويقوموا بخزنه إلى حين يمرضوا فعليًّا. وقد تظاهر أحدهم بأنه يعاني مشكلة في السمع، ولكنه لم يسمح لنا أبدًا بعلاجه لنكتشف فيما بعد أنَّ سمعَه أقوى من سمع الكثير منا. إنَّ الأمر الأصعب في كل هذا هو إقناع الناس بأن كل الأمراض لا يمكن علاجها، فقد سبب لنا الكثير من المرضى الذين يعانون من مشاكل في العين، عناءً لا يوصف. لا يمكننا أن نقول لهم ببساطة لا يوجد علاج، وإن قلنا ذلك لن يصدقونا؛ فقد أتى إلينا بدويٌّ مُسنٌّ، لا يكاد يرى، وعندما أخبرناه أننا لا نستطيع علاجه، مشى خلفنا لساعات في الصحراء، ثم فجأة أخذ يهدِّد بإطلاق النار علينا إنْ لمْ نساعده، فارتبك حُرَّاسُنا وتباعدوا عن بعض، فانتظروا ليروا كيف سيتعامل الفرنجة مع هذا البدوي العجوز.

للبدو في حضرموت طريقتهم الخاصة في علاج الصداع، فهم يضعون رمادًا بين الشفاه والأسنان. هذه الطريقة أيضًا تقوم بتعقيم الفم. لم أكتشف هذا العلاج إلا في حضرموت فقط؛ فلم أجده في اليمن أو أي مكان آخر في الجزيرة العربية.

تعتبر مدن حضرموت نظيفة نسبيًا، والفضل يعود للاستخدام الحكيم لنظام القنوات، ولذلك نادرًا ما تنتشر في أوساط الناس الأوبئة، مثل الطاعون، والكوليرا، كما أن حضرموت خالية من الأمراض الشائعة في أوربا؛ لسبب بسيط، وهو انعدام التواصل مع الأوربيين. إن تدهور صحة السكان المحليِّين في كثير من المستعمرات يعود في حالات كثيرة إلى انتقال الأمراض والرذائل الأوربية إليهم، فيعانون منها أكثر مما يعاني منها الأوربيون أنفسهم.



كم من الوقت ستبقى فيه حضرموت قادرة على إغلاق الطريق إلى ما يسمى "بالحصار"، إنَّه أمرٌ لا يمكن التنبؤ به. إلى يومنا هذا والناس في حضرموت في مأمن من تلك الحضارة، ولا يسعنا إلا أنْ نأمل في أن يُسمح لواحدة من البلدان الأصيلة القليلة أن تبقى كما هي.



الفصل التاسع

في وادي دوعن

أعطانا السلطان جنديين (مبروكًا وناصرًا)، وهما من قبيلة المرفدي، وأعطانا أيضًا حمارَيْنِ وبعيرًا لحمل أمتعتنا خلال رحلتنا إلى مدينة حريضة، وكان لدى الجنديين شيء من السذاجة لدرجة أنَّ خادمنا (سيِّدًا) استطاع التحكم بهما، وورَّطهما في أعمال مشبوهة كثيرة، جلبتْ لهما اللَّوْمَ، فنشب بينهم خلاف مخيف، استمر ليوم كامل. وبما أنَّ الجنديَيْنِ كانا على خلق وسلوكهما كان حسنًا، فلمْ يتخطَّ خلافُهما الكلام، وكان كلامًا يستحق الاستماع إليه.

إنَّ إبداعَ خادمنا سيِّدٍ وتفنُّنه في خلق المتاعب لنا كان لا حدود له، لقد بِتْنَا ليلةً في (هينن)[٤]، وهي بلدة صغيرة في وادي العين، وفي الصباح اكتشفْنا أنَّ الحمارَيْنِ والبعير قد اختفوا، لقد سمح خادمُنا المحترم (سيد)، وعلى مسؤوليته الشخصية، حادي الجمل الذي أرسله معنا سلطان شبام أن يذهب إلى بيته آخذًا معه الحمارين والبعير. كان حادي الجمل مسرورًا بالطبع؛ فقد وفَّر على نفسه عناء السفر معنا إلى حريضة مقابل دولارَيْنِ دفعهما لخامدنا. ماذا بوسعنا أن نعمل الآن فليس أمامنا سوى البقاء حيث نحن، ومضتْ أيامٌ عدَّةٌ قبل أن نستأجر حمارًا بائسًا وجملاً من بدوي سيِّءٍ، تلك كانت قافلتنا التي دخلنا بها إلى حريضة، التي تقطنُها أسرة السيد العطاس.

إنَّ نفوذ السادة آل العطاس، وهم أيضًا يمتلكون استثمارات ضخمة في جاوا وسنغافورة، يشمل المدن والقرى في وادي عمد، ووادي الكسر، وهذه المناطق بها كثافة سكانية من بدو قبائل الجعدة، ونهد، والصيعر، وسيبان، ونوَّح، والبارشيد، إضافة إلى قبائل صغيرة أخرى، وبعض فخائذ القبائل.

تقع حريضة في ملتقى وادي عمد ووادي الكسر، بمحاذاة جبل شاهق يسمى جبل جندم، والمدينة بها آثار كثيرة تعود إلى الحقبة السبئية، استطعْتُ تصوير عدد من النقوش، اكتُشِفَ بعضُها تحت مسجد متهدِّم، والبعض الآخر في مدخل إسطبلٍ للحمير. أحضر لي أحدُ البدو أواني من المرمر وبعض العملات المعدنية الرومانية القديمة، وهو ما يؤكِّد وجود اتصالات بين روما القديمة وهذه الأماكن، وهذه العملة المعدنية تحمل اسم الإمبراطور أنطونيوس بيوس Antonius Pius، وسُكَّتْ بتاريخ ٢٠٠م، وعليها ختم مصري.

في هذا المكان يضيق الوادي، ولكنْ تزداد الكثافة السكانية، فتجد مدينةً تليها مدينة، وقريةً تليها قرية أخرى، والكثير منها لم يصلْها أوربي قبلنا، والتربة هنا خصبة جدًا، ومزروعة على نطاق واسع، حيث تُزرَع أنواع كثيرة من الذرة. مشينا لساعات عبر أرض مزروعة جميلة. كانت احتياجات الناس هنا متواضعة، وتتكفَّل أرضُهم بتوفيرها لهم. يربي البدو قُطعانًا كبيرة من الضأن والماعز، ولا يهتمُّون كثيرًا بخصوص إطعامها؛ فهناك الكثير من الحشائش والنباتات، التي تنمو بين الجبال والصخور، وتوفِّر الغذاء الوفير لهذه الحيوانات، كما تمدُّ أشجار النخيل النَّاسَ بالتُمور، وهي السلعة التي يتاجرون بها مع سكان المناطق الساحلية، فيأخذون بها الأسماك المجفَّفة والعَيْدَ والأرز المستورد من الهند، كما يتاجرون أيضًا بجلود الحيوانات مع تُجَّار الفَرْوِ الكبَار في عدن.

تقع الهجرين في وادي دوعن الذي يعد امتداداً موازيًا لوادي العين، وقد أتيناها عبر بلدة (فضح) ومشهد علي، والهجرين هي أُولَى المناطق الداخلية، التي وقعتْ في يد القعيطي،

وتكمن أهميَّتُها في موقعها الواقع على طريق التجارة بين الساحل والداخل، يسكن الهجرين ألفان إلى ثلاثة آلاف شخص، وبها عدد من البيوت الجميلة. تقع المدينة على رأس جبل، في مكان تلتقي فيه عددٌ من الأودية الصغيرة أو الروافد بوادي دوعن. أُصيب صديقي بضربة شمس، وتحتَّم علينا البقاء في الهجرين لبعض الوقت، في قلعة قديمة، بُني جدارها الخارجي على حافَّة الجبل، شديد الانحدار، مشكِّلاً معه خطًّا مستقيماً، وقد شاركَنا عددٌ من البدو والجنود غُرَفَها الصغيرة المظلمة.

وجد خادمُنا (سيد) عملاً عند أحد العرب في حريضة، ولكنه سيرافقنا إلى منطقة (عورة) آخر منطقة سنزورها في دوعن، بعدها سيعود إلى حريضة. لم نعترض على هذا الأمر؛ فالرجل سبَّبَ لنا الكثير من المشاكل والمتاعب، والسبب الرئيس وراء قراره هذا هو علمه المسبق بالعقاب الشديد الذي ينتظره حال عودته إلى المكلا.

في الهجرين أيضًا أظهر (سيد) مرة أخرى سوء أخلاق وسلوك؛ حيث انفجر فجأة غاضبًا يصرخ ويرمي بالأشياء من حوله لسبب تافه لا يستدعي هذا الهيجان كُلَّه، ثم تذكَّر أنَّ في جيبه رسائل تعرِّف بنا، مُوجَّهة لأشخاص مهمِّين في المناطق التي ننوي زيارتها، كُنَّا قد سلَّمْناها له من قبل، فوفْقًا للعُرْف السائد أنْ يذهب هو قبلنا إلى كل منطقة ليُعلن عن قدومنا، ويسلِّم تلك الرسائل. أخرج تلك الرسائل من جيبه وأخذ يلوِّح بها في الجو مهدِّدًا بحرقها، حينها قام عددٌ البدو والجنود بأخذها من ذلك الوغد بالقُوَّة، فأنهتْ هذه الحادثةُ علاقتَنا به تمامًا، وقرَّرْنا بعدَها تدبيرَ أُمورنا بأنفسنا دون الحاجة لمساعدته.

مررْنا في رحلتنا إلى دوعن ببلدات وقُرًى متعدِّدة، سالكين أوديةً ضيِّقةً بين الجبال، بها غاباتُ نخيلٍ لا تنتهي، وأرضٌ رائعة بها غطاءٌ نباتي كثيف. الشيءُ الوحيد غير الموجود في هذه الأرض الجبلية الاستوائية العجيبة هو المملكة الحيوانية، التي عادةً ما تكون موجودة وبكثرة في أرضٍ كهذه. لم نشاهدْ من الطرائد الكبيرة سوى الغزلان والظباء، وكانت أعدادها قليلة؛ لأن غالبَها تعيش في السهول الواسعة في أعالي الهضبة. توجد بعض الثعالب وغرير الجبال. يقوم البدو بجمع أسنان الغرير الطويلة ويثبتونها في أعقاب بنادقهم، أما الفهود والقرود فتوجد في اليمن الأعلى. توجد في حضرموت أعداد كبيرة من السحالي والأفاعي، لكنَّ معظمها غيرُ ضارٍّ.

بعد (صيف) وصلنا إلى (بضه) حيث استقبلنا السكان المحليُّون بحفاوة، معبرِّين عن رضاهم، فنحن أوَّلُ مَنْ زارهم من الأوربيين، غير آبهين بمصاعب الرحلة الطويلة ومخاطرها، بعد ذلك توغَّلنا أكثر في هذا الوادي ذي الجمال الساحر الأخَّاذ، وادي دوعن، وزُرْنا (الجبيل)، و(مطروش)، و(هدون)، و(القويرة)، و(الخريبة) وهي عاصمة الوادي، و(عورة) مقر السلطان. تنتصب القرى والبلدات في أماكن عالية، ملاصقة لجوانب الجبال الشاهقة، وكأنها أعشاش طائر السنونو. فهمْنا الآن كيف أسر جمالُ هذا البلد ادولف فون ريدي، الذي زار هذا البلد قبل حوالي مئة سنة، كأوَّل أوربي يزور هذه المنطقة، ولكن لسوء الحظ قُدِّر لرحلته أنْ تتوقف فجاءة في الخريبة، بعد أن انقضَّ عليه مجموعة من البدو وانتزعوه عنوة من على ظهر جمله، وتعاملوا معه بخشونة، وربطوا بعد ذلك يديه خلف ظهره، ثمَّ أحضروه إلى السلطان الحاكم بوصفه جاسوسًا أوربيًا، وطلبوا من السلطان أن يأمر بإعدامه، غيرَ أنَّ اثنين من أصدقائه العرب حَالاَ دُونَ ذلك ونجحا في إطلاق سراحه بعد أنْ صُودر متاعه ومذكراته.

حتى في هذه الأيام يُعرِّض الأوربي نفسه لمخاطر جمَّة إذا أظهر نفسه في شوارع الخريبة، فعندما مشيْنا في هذه البلدة أحاط بنا حشدٌ كبيرٌ من الناس، وأخذوا يدفعون بنا باتجاه الأزقَّة الضيِّقة، مردِّدين صيحات الغضب. لقد كان الوقت الذي أمضيْتُه في الخريبة أسوأ وقتٍ في كل رحلتي؛ فالحشود العدوانية هناك أمر في غاية الخطورة.

الهوامش:

(٣) ديار البقري ليست في وادي العين كما أشار المؤلف وإنما في أرض نهد.

(٤) هينن لا تقع في وادي العين كما أشار المؤلف وإنما تقع في الكسر شمال وادي العين وغرب القطن.

70
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



محاضرات إنجرامز عن حضرموت

جزء من المحاضرة الأولى:
حضرموت: الحاضر والمستقبل
دبليو. أتش. إنجرامز

ترجمة:
نجيب سعيد باوزير
نورة نجيب باوزير

لقاء مسائي في الجمعية، 13 يونيو 1938م



نجيب سعيد باوزير

أعترف أنه لم يكن سهلاً بالنسبة لي أن أخطط الشكل الذي يجب أن تبدو عليه هذه المقالة. كنت أفضّل لو كان باستطاعتي أن أقدم لكم وصفًا مباشرًا لرحلة واحدة أولى، ولو كانت الأمور قد جرت كما توقعنا عندما عدنا أنا وزوجتي إلى حضرموت في ١٦ من نوفمبر سنة ١٩٣٦م، كنت أتمنى لو أخبرتكم عن رحلة على الطريق الضاربة في القدم ركوبًا على الجمال من حضرموت شرقًا عبر بلاد المهرة إلى ساحل البحر الذي يقع خلف رأس فرتك. غادرنا عدن إلى المكلا وكان مقررًا لنا من الجهات المسؤولة ستة أسابيع وكنا نأمل أن نقوم بتلك الرحلة بعد الانتهاء من المهام العاجلة التي تمخضت عن الرحلة السابقة في عام ١٩٣٤م. ولكن لم تسر الأمور كما كنا نخطط. ورغم أن الستة الأسابيع امتدت إلى شهور ورغم أننا أصبحنا الآن مقيمين دائمين في حضرموت فإننا لم نجد الوقت أو الفرصة لرحلتنا بعد. ولذلك تجدونني غير قادر على أن أعطيكم تلك الانطباعات الأولى الطازجة عن بلد جديد حال زيارته والتي هي مثيرةٌ جدًا لاهتمام أولئك الذين عليهم القيام بسفرهم بوصفهم مستمعين أو قراء.

ومع ذلك ربما يسترعي الاهتمام أن أحاول من خلال تلك المعرفة التي تنشأ من الألفة اليومية رسم صورة أوسع لحضرموت من خلال وصف هذه البلاد التي ما تزال غير معروفة من نواحٍ عدة. وسأحاول أيضا أن أقدم وصفًا لرحلاتنا القصيرة التي نقوم بها من وقت لآخر إلى بعض مناطقها التي لم يزرها أحد حتى الآن.

71
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

عندما أعود بذاكرتي عبر الأشهر الثمانية عشر الماضية أتعجب للاختلافات الكبيرة بين حضرموت سابقًا والآن، وهي اختلافات ربما تكون ملحوظةً أكثر من أي تغييرات أخرى شهدتها البلاد طوال تاريخها. صحيح أنه قبل ثمانية عشر شهرًا كانت حضرموت قد أصبحت من المناطق المعروفة أكثر من غيرها في الجزيرة العربية. لقد كتب وقيل الكثير عنها وخلال مدة قصيرة شهدت عددًا كبيرًا نسبيًا من الزوار الأوروبيين، لأنني أفترض أن العدد الإجمالي للأوروبيين الذين رأوها منذ عام ١٨٤٣م، عندما ذهب ون ريده إلى هناك، كان بين عشرين وثلاثين وجميعهم، باستثناء ستة جاؤوا عن غير قصد، زاروها ابتداءً من عام ١٩٣٣م. ولكن في هذه الأشهر الثمانية عشر الأخيرة، ولاسيما خلال الشتاء الماضي، وصل عدد الزوار، الرسميين وغيرهم، إلى أكثر من مئة. بل إلى عدة مئات إذا أخذنا في الحسبان زوار الأساطيل والسياح الذين لا يتجاوزون الساحل، لأن المكلا حظيت مؤخرًا بشيء جديد عليها وهو رؤية حافلات محملة بالسياح من المسافرين بالبواخر تسير في شارعها الوحيد.

لا شك أن غزو الزوار الأوروبيين المكثف والمتكرر بشكل غير مسبوق هو في حد ذاته مفارقة كبيرة مع الماضي القريب، لكنني أظن أن الفرق الأكثر لفتًا لأنظار الزوار الذين عادوا إلى البلاد في العام الماضي هو حالة الأمان والهدوء النسبي التي تسود اليوم. منذ ما يزيد قليلا عن العام كنت ترى كل بدوي وقبيلي في هذه البلاد حاملا بندقيته معه حتى عندما يمر في الشارع. وكانت النزاعات الدموية منتشرةً على نطاقٍ واسع وحتى المسافرون المسالمون من الطبقات غير المسلحة كانوا في بعض الأحيان معرضين ليس فقط لخسارة ممتلكاتهم بل أرواحهم أيضا. وكان يتعين على المسافرين بالسيارات أن يصطحبوا معهم مرافقا عند العبور من قرية إلى أخرى. وفي بعض الأماكن كانت تنتشر شبكات كثيرة من الخنادق للانتقال عبرها من القرى إلى الحقول، وأنا أعرف أن هناك أشخاصًا مضت عليهم عشرون سنةً دون أن يتخطّوا عتبات بيوتهم.



دبليو. أتش. إنجرامز

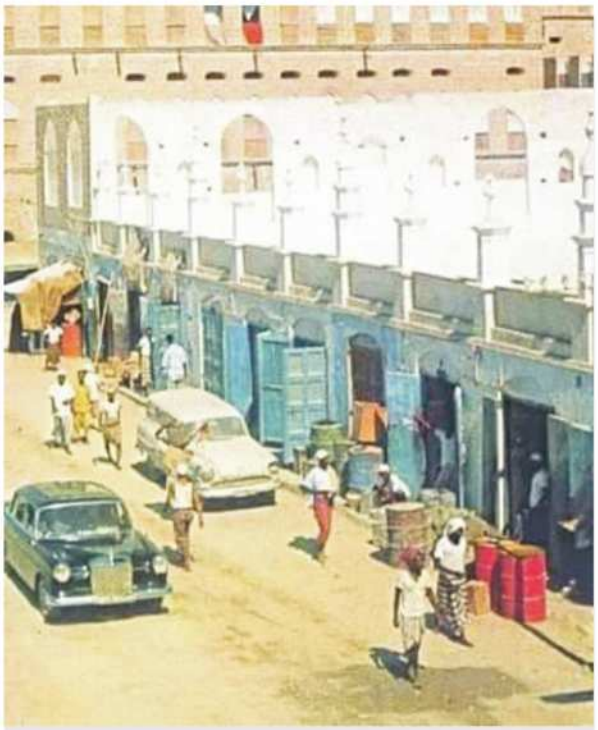
أما الآن فقد ولّى كل ذلك وأصبح من النادر نسبيا أن ترى قبيليًا يحمل بندقية، بل إن الكثيرين منهم لم يعودوا يحملون حتى (الجنابي) أو الخناجر المعقوفة التي تعد جزءًا من زيهم، تقريبًا بمثل ما أن عصا المشي جزء من زينا. كيف كان لكل هذا أن يحدث أمرٌ يتعلق بتاريخ حضرموت أكثر مما يتعلق بجغرافيتها، لكنني أود فقط أن أقول إن ذلك يعود إلى حد كبير إلى تصميم الناس الذين لديهم رغبة حقيقية في السلام وفي السعي نحو الأهداف البعيدة عن الصراع.

أدت هذه الحالة الجديدة من الأمان إلى إيجاد ارتباط أكثر بين القبائل وبين المناطق المختلفة من البلاد وسهلت الانتشار الواسع لوسائل الاتصال والانتقال. قبل ثمانية عشر شهرًا كانت هناك حوالي ست سيارات في الساحل وحوالي ستين سيارة في الداخل، نقلت أجزاؤها بوساطة الجمال. ولكن بعد إنجاز طريق الكاف أصبحت تريم مربوطة بالشحر وتنطلق الآن شاحنات نقل الركاب يوميًا تقريبًا بين الساحل والداخل. وعندما غادرت البلاد قبل شهرين كانت فيها مئتا سيارة على الأقل وكانت كل سفينة تأتي معها ببعض السيارات القليلة. لقد تم إضافة العديد من طرق السيارات، وتذهب السيارات الآن إلى جميع مناطق حضرموت تقريبًا، غربًا إلى العبر وشرقًا

إلى السوم وكذلك على امتداد تفرعات الأودية. وتقوم حكومة المكلا أيضًا بإنشاء طريق سيارات آخر بمواصفات أفضل إلى حضرموت الداخل يتم العمل فيه من المكلا شمالاً ومن دوعن جنوبًا. وعندما غادرت كان قد تم إنجاز مسافة تبعد أكثر من ٢٠ ميلا عن المكلا ومسافة تبعد ١٠ أميال عن دوعن. لم يتبق على الانتهاء من إنشاء هذا الطريق سوى ستين ميلاً، الجزء الأكبر منها يقع على الجيلان المستوية ولا يُتوقع صعوبات غير عادية في عملية الإنشاء. وإذا انطلقت من المكلا يمكنك الآن أن تسوق سيارتك في حضرموت لمسافة ٣٠٠ ميل على الأقل دون أن تنحرف عن مسارك يمينًا وشمالاً، وهناك ما يربو على ٥٠٠ ميل إجمالاً من الطرق.

وقد تم أيضًا إدخال تطوير كبير على قدرات النقل الجوي. قبل ثمانية عشر شهرًا كانت هناك ثمانية مدارج هبوط في السلطنات الخمس في الجزء الشرقي من المحمية، ثلاثةٌ منها فقط، في المكلا، وشبام، وقشن، كان يتكرر استعمالها على نحو ما. لقد أُنشئت مدارج هبوط جديدة في تريم، وسيئون، وحريضة والعبر وعزان وبلحاف ورسب وحصوين وحيلة، وذلك بجهود الناس أنفسهم فقط، ومعظم مدارج الهبوط السبعة عشر في البلاد تستخدم الآن كثيرا من قبل سلاح الجو الملكي. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من مدارج الهبوط هذه أنشئت بمبادرة السكان المحليين وأن جميع المدارج الجديدة تم إنشاؤها طوعيًا من قبلهم دون أن تتحمل الحكومة أية نفقات. وقد طالب الصيعر والبدو العوامر في الشمال وغيرهم ببناء مدارج هبوط عندهم حتى يمكن تفقد أحوالهم.

كان الاتصال مع حضرموت حتى الآن يتم من خلال الزيارات القصيرة غير المنتظمة للسفن في المكلا والشحر، لكن هناك الآن رحلات جوية تجارية أسبوعية تشرف عليها الخطوط الجوية العربية من عدن إلى المكلا وسيئون. ولم تتوافر من قبل خدمة بريدية أما الآن فيوجد مكتب بريد في المكلا وخمس وكالات بريدية في المراكز الرئيسية في الشحر وتريم وسيئون وشبام ودوعن.



مدينة المكلا قديماً

كما لم تكن توجد اتصالات لاسلكية، لكن الآن هناك خدمة تجارية مع المكلا والمواقع الحكومية في سيئون والعبر وتتجه النية لإقامة موقع آخر.

بقدر ما أن هذه التطورات في وسائل الاتصال جيدة فإنها لا تلبي حتى الآن جميع احتياجات البلاد، لأن مساحتها تبلغ أكثر من ٦٠,٠٠٠ ميل مربع ويبلغ عدد سكانها حوالي ٣٠٠,٠٠٠ نسمة فقط، منهم ربما ٥٠,٠٠٠ يسكنون في المنطقة الساحلية و ١٠٠,٠٠٠ في الداخل في أراضي الوادي الخصبة نسبيًا، في حين أن الباقين بدو أو منتشرون في مستوطنات بعيدة حيث التربة تسمح بتوفير ما يسد الرمق من الإنتاج. هذه المنطقة الواسعة، التي هي تقريبًا أكبر من إنجلترا وويلز مجتمعتين، قد شوهدت الآن كلها من الجو رغم كل شيء، لكن بالطبع لم تتم زيارة جميع المناطق على الأرض وهناك مناطق واسعة تسودها الوحشة والجدب ما زالت تحتاج إلى من يتفقدها.

إن المناطق التي يعوّل عليها أكثر من غيرها في عملية التنمية والتي على تنميتها تتوقف فرصة البلاد بأكملها في التطور والازدهار هي مناطق الساحل ومنظومة وادي حضرموت نفسها.

73
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



وكما هو الحال في جميع البلدان الاستوائية، فإن الزراعة يجب أن تكون هي أساس الثروة الطبيعية المتواضعة للبلاد، والمنطقة التي تختزن أكبر إمكانية لذلك هي وادي حضرموت والأودية التابعة له، ولاسيما ذلك الجزء من الوادي بين هينن وقعوضة في الغرب والسوم في الشرق مع أودية دوعن وليسر وعمد وبن علي والعين وتاربة وعدم التي ترتبط معه من الجنوب. وعمومًا، فقد بذلت محاولات يسيرة للزراعة في الأودية ابتداءً من الشمال.

إن المستقبل المتوقع للساحل، وأهم مدنه المكلا والشحر، يتركز على التجارة والملاحة. والذين لا يعتمدون على التجارة من السكان ينزلون إلى البحر إما في المراكب الشراعية أو كصيادين، وإن كان هناك قدر معين من الزراعة. وأهم المناطق التي تتم الزراعة فيها هي ميفع وغيل باوزير. ومن ناحية التنمية، فإن حضرموت محظوظة بامتلاكها مجتمعًا متوازنًا أظهر مبادرته في كسب الأموال في الخارج. وهناك اعتقاد سائد لدى الرأي المحلي الواعي أن الكثير من الحضارم المئة ألف الذين يعيشون في الخارج سيعودون بما أنه قد ساد الآن الأمن ووجد أمل العثور على لقمة العيش في بلد يعتبرونه دائماً موطنهم، وهذا الارتباط بالموطن الأصلي قد لا تجده عند كثير من الشعوب التي تعودت على الهجرة. وفي المجتمع المتوازن توجد طبقات تتأقلم مع كل مرحلة من مراحل تطور المنظومة الثقافية والاقتصادية للمجتمع، والبدايات الملحوظة الآن للتنمية ليس من شأنها أن تزعزع المنظومة القائمة بل إنها فقط تمنحها مجالاً أوسع. في المناطق التي يسكنها القبيليون فقط من الطبيعي أن تكون التنمية صعبة وبطيئة، لأن هناك العديد من المهن التي لن يشغلها القبيليون طواعية، وبما أنهم شديدو التمسك بتقاليدهم فسيحتاجون إلى وقت طويل ليتركوا مهنتهم القديمة (أو بقاءهم بلا مهنة) ويكيفوا أنفسهم مع الفرص الجديدة.

لكن في حضرموت الداخل إذا كانت منطقة الإنتاج الرئيسية هي منظومة الوادي الرئيسي فإن في تلك المنطقة سُكّانًا مهتمين أصلاً بالزراعة ويعشقونها. إن شبام في الأساس مركز تجاري، وهي السوق الرئيسية لمنطقة الداخل، ولكن خارج شبام وفي جميع مدن الوادي الأخرى يسود الجو الريفي وأهلها في الغالب ملاك أرض أو عمال يعملون في الأرض. بالإضافة إلى ذلك فإن القبائل قد استقرت وتجدر الإشارة إلى أن معظمهم قد استقروا في مواقع البدو. وإذا كانت القبائل التي تعيش في الوادي الكبير قد أصبحت مستقرة، فإن لهم أقارب من البدو في المناطق القاحلة. وإذا أمكن جعل الدولة ليس فقط أكثر اكتفاءً ذاتيًا من ناحية حاجاتها الغذائية، بل أيضًا جعلها منتجة لشيء من الموارد التي يمكن تصديرها، فسينتفع من ذلك لا المزارعون فقط ولكن أيضًا البدو القاطنون بين الساحل والوادي، فهم حاليًا يعودون بجمالهم إلى الساحل غير محمّلة، لأن حضرموت الداخل تستهلك فقط. لقد أرسلنا مؤخرًا عينات من بذور القطن وزيت الخروع، التي تنمو غالبًا طبيعيًا في حضرموت دون ري، إلى المعهد الإمبراطوري لفحصها وكانت النتائج مبشرة جدًا. هذا لا يعني بالطبع أن زراعتها يمكن أن تتخذ مصدرًا للربح دون المزيد من الفحص المكثف وبعض التجارب، لكنها مساران ممكنان للتنمية، والآن بعد أن تم تعيين مسؤول زراعي أصبح من الممكن العثور على محاصيل جديدة لزراعتها بصورة ممنهجة. لا شك أن الماء هو الحاجة الرئيسية، ولكن هذه مسألة نأمل أن نبحثها أيضًا، وهناك كل الدلائل على احتمال وجود وفرة من المياه في المناطق الأكثر صلاحيةً للتنمية الزراعية.

المكلا هي العاصمة السياسية والتجارية للبلاد كلها. يسكن فيها السلطان القعيطي، وهي مقر حكومة المكلا، ومقري الشخصي بصفتي مستشارا مقيما لعظمته وبصفتي الضابط المسؤول أمام حاكم محمية عدن لشؤون العلاقات السياسية مع السلطنات الخمس الواقعة في الجزء الشرقي الأقصى من المحمية. المكلا هي المكان الوحيد الذي شاهده معظم زوار البلاد الذين يبلغ عددهم عدة مئات. وهي أهم ميناء على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية بين عدن ومسقط، ولكن يبدو أنها، على نحو ما، ما زالت ضمن فئة الأماكن التي لا يعطيها الرحالة كثير اعتبار، ربما لأنه حتى الوقت الذي اتخذنا أنا وزوجتي مسكنًا لنا هناك لم يوجد قط من الأوروبيين من يقيم بها إقامة دائمة. خلال الأشهر القليلة الماضية ارتفع عدد الأوروبيين المقيمين إلى ستة، ومع أن المكان يبدو لنا إلى حد بعيد كما عهدناه دائماً، فإن الزوار يقولون إن تغييراً يطرأ عليه بين وقت وآخر. قبل مدة وجيزة كان قبطان سفينة قد نزل إلى البر وتساءل في السوق متعجبا كيف تحسنت خدمات الميناء، وكيف أصبحت المدينة تبدو أنظف مما كانت عليه من قبل. أعتقد أن أكثر شيء يعلق بذاكرة من يطأون بر المكلا من سماتها هو أسراب الذباب الهائلة وروائح الأسماك المجففة وغيرها من المواد التي تعافها النفس أكثر. لن أذهب إلى حد القول إنه قد اختفى الآن الذباب والروائح، ولكنّ مفتش صحة محليًا تم تدريبه مؤخراً مع توفير فريق من الكناسين ووضع حاويات للقمامة كل ذلك نتج عنه تأثير جيد إلى حد ما.

طقس المكلا عموما لطيف إلى حد ما وصحي على نحو مرضٍ بفضل أعمال النظافة التي بدأت تأخذ طريقها في المدينة. وهناك إجراءات تتخذ الآن للحد من إزعاج البعوض، ففي العام الماضي عشنا حالة خطيرة من وباء الملاريا نتيجةً للأمطار الغزيرة التي لم تشهد مثلها البلاد منذ اثنين وعشرين عاما كما يقول كبار السن من السكان. لقد كان صادما حجم الضرر الذي تسبب به هطول المطر بغزارة لمدة ساعات قليلة فقط، إذ جرف الماء المنحدر من الجبل المطل على المدينة معه الصخور والقاذورات وتسبب تدفق المياه في حدوث أخاديد عديدة في شارع السوق الرئيسي.

والمكلا، كجميع الموانئ البحرية، مدينة عالمية الطابع، فأنت تجد في أسواقها عناصر من عرب المدن الساحلية في الجنوب العربي والبحر الأحمر والخليج الفارسي بالإضافة إلى الصوماليين وغيرهم من الأفارقة. والعنصر الشاذ من الزوار غير المعتاد مشاهدتهم هم الحجاج المنغوليون أصحاب اللحى الطويلة الذين يبسطون أمامي جوازات سفر صينية غير مفهومة اللغة ويبدو عليهم أنهم يرغبون في تسهيل مواصلة سفرهم ولكنهم لا يستعملون للتعبير عن ذلك اللغة العربية ولا أي لغة أخرى مفهومة في المنطقة. وهناك عدد كبير من الهنود الزائرين والمقيمين أيضًا، بمن فيهم أصحاب الدكاكين من الهنود البانيان، وفي الطبقة العليا من مجتمع المكلا تمتزج العناصر المختلفة، الهندية والعربية، في انسجام تام. ونحن كلنا نحضر مجالس بعضنا البعض، وقد أنشأ موظفو الحكومة في المكلا ناديًا جيداً للغاية.


المكلا

وفي العام الماضي أو نحو ذلك، كانت احتفالات التتويج هي الأعظم بطبيعة الحال من بين جميع المناسبات الاحتفالية المختلفة. كانت الشوارع وأسطح المنازل مزدانة بالأعلام، ومن أجمل المشاهد التي يمكن أن يتذكرها المرء مشهد الأضواء في ليلة المناسبة. لقد تم تزيين واجهات القصر السلطاني ومقر المستشار والمكاتب

الحكومية والمساجد الرئيسية بأضواء ملونة، وأظن أن المكلا في تلك الليلة قد أحرقت من البخور تقريبًا بقدر الكمية التي انتقد بلينيوس نيرون على إحراقها في مأتم بوبايا. أما البيوت العادية التي لم تزين بالأضواء الملونة فتكاد تكون كلها استبدلت بها كميات كبيرة من البخور على طول حواجز سطوحها، وكانت الأضواء الملونة والبخور المشتعل تنعكس على مياه المرفأ في منظر رائع، في حين ملأت سحب الدخان المنبعث من البخور الشوارع بضباب ذي رائحة زكية وبددت تمامًا رائحة السمك. إن المكلا الآن تنعكس بالطبع كل ليلة على صفحة الماء، لأن الإنارة الكهربائية تم إدخالها منذ وقت قريب، ويشاهد الآن من بعيد الوميض المخضر لأنوار الشارع الجديدة. وبناءً على طلب السلطان تتخذ الآن إجراءات لإعادة تنظيم قواته وتدريبها وكذلك لزيادة قوات السلطان الكثيري وتدريبها، وبفضل القائد هوبكنز، الذي مكث في المكلا لمدة حوالي ستة أشهر فإن القوات الآن بلغت فعلا مستوى أفضل بكثير مما كانت عليه قبل ذلك.

بعد الساعة الرابعة عصرا حتى غروب الشمس يخرج الرجال في المكلا من بيوتهم، فمنهم من يجلسون في المقاهي على الواجهة البحرية، ومنهم من يتمشون حتى يخرجوا من البوابة الغربية ثم يتحلقون في مجموعات على مبرك الجمال وعلى الطريق المؤدي إلى الداخل. وهذا هو الطريق المعتاد الذي مشى عليه ووصفه معظم الأجيال الأقدم من الرحالة، لكنني أظن أن لن يعبره في المستقبل إلا قلة من الأوروبيين على الأرجح راكبين على الجمال أو الحمير كما فعلنا نحن في زيارتنا الأولى قبل ثلاث سنوات، لأنني أتوقع ألا يتأخر كثيرًا إنجاز طريق السيارات الجديد. إن العشرين ميلاً أو نحوها التي تم الانتهاء منها تعتبر حقا إنجازًا عظيماً، فهو طريق جبلي بني بمهارة بالحجارة على جوانب التلال بحيث يرتفع بقدر كاف عن مجاري السيول. لقد تم تتبع الخط ورسمه من قبل القائد أل. جي. بيتش آر. إي الذي قام أيضًا خلال زيارة قصيرة بتحديد خطي الطول والعرض لمدينتي شبام وتريم، ولكن لم يكن هناك إشراف من خبير، وقد أثبت البناؤون، وجميعهم من المكلا، مهارتهم غير العادية في القيام بالعمل.

يذهب معظم المسافرين في الوقت الحاضر إلى الداخل بالسيارة إما بطريق السيف إلى الشحر وإما، في حالة عدم انفتاح السيف، بالطريق الداخلي الذي يمر بغيل باوزير، وهي مدينة مسورة وبيوتها جيدة البناء وتعد مقر النشاط الاقتصادي المتمثل في زراعة التنباك الحمومي. إن أمهر حفاري الآبار وقنوات وأنفاق الري ينتمون إلى هذا المكان، ونظام الماء الذي يروي مزارع التنباك نظام متقن للغاية.

والشحر مدينة عتيقة. وأسوارها الحالية ليست قديمة ولكن كانت هناك مدينة في هذا الموقع لمدة لا تقل عن ثمانمئة أو تسعمئة عام، والمدينة الساحلية الرئيسية التي في الجوار كانت هنا منذ مدة أطول بكثير. والمكلا بالطبع أحدث بكثير. وتعد الشحر مركزًا مهماً لصيد السمك ويتم جلب كميات هائلة من الأسماك يوميًا لتجفف في الشمس لاستهلاك المناطق الداخلية ولكن يؤكل بعضها طازجًا في نفس المنطقة. أما الحياكة والصباغة وصناعة الحصر فهي صناعات ثانوية ولكنها مهمة للمنطقة.



شواطئ مدينة الشحر

وعلى بعد حوالي سبعة أميال من الشحر تقع تبالة التي بنيت على تل فوق الينابيع الكبريتية. وقد حاز هذا المكان على شهرة محلية بسبب مغاطسه الكبريتية التي يقصدها الكثير من مرضى الروماتيزم للاستشفاء. ويوجد في الحامي، التي تقع على نفس الساحل ولكن أبعد قليلا، عددٌ أكبر من الينابيع الساخنة، لكن موقع تبالة الرائع يوحي بإمكانية وجود فندق ومنتجع معدني يسهل الوصول إليه بالسيارة من الشحر، وقد درسنا ربما بطريقة سابقة لأوانها تحديد مواقع (البمب روم) و(الكونسرت هول) في المنتجعات الصحية المفترضة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الأفكار الإصلاحية لعظمة السلطان وللسادة في الداخل، فإن توفير عدد قليل من الفنادق قد لا يعد تطوراً بعيد الاحتمال في وقت قريب وستكون البلاد منتجعاً شتوياً مثالياً. وتعد الشحر السوق الرئيسية للجزء الشرقي من حضرموت بكامله، بما في ذلك كل المنطقة التابعة للدولة الكثيرية، وواردتها عن طريق البحر ضخمة جداً، على الرغم من أنها أسوأ حالاً من المكلا بالنسبة للمرافق المطلوبة للموانئ، فما هي إلا مرفأ مفتوح وليس بها أرصفة بحرية؛ ولكن بالإضافة إلى البواخر العدنية المحلية تمر بها حتى البواخر التي تبحر عبر المحيط مثلما تمر بالمكلا.

تسيطر قبيلة الحموم الكبيرة على الجزء الأكبر من تجارة النقل، وهذه القبيلة ليست لها قرى حقيقية خاصة بها ولا تمتلك إلا القليل جداً من البيوت السكنية، ولكنها تمتلك عدداً كبيراً جداً من الجمال. ويمتلك زعيم القبيلة أيضاً عددا كبيرا من أشجار النخيل في مناطق مختلفة من بلاد الحموم. لقد قمت مؤخراً بعدد كبير من الطلعات الجوية فوق بلاد الحموم التي تمتد على مساحة تبلغ حوالي ٣٠٠٠ ميل مربع، وهي معروفة الآن جيداً لسلاح الجو الملكي.

عندما سلكنا لأول مرة الطريق المتجهة إلى تريم في نوفمبر من عام ١٩٣٦م كان طريق السيارات طبعاً لم يكتمل بعد وكانت على بعد حوالي ٢٠ ميلاً إلى الشمال من الشحر هوّة لا بد أن تجُتاز على الحمير عبرَ المعدي، وهي بلاد آل بحسن التانبوليين الذين قاوموا بشدة محاولات السيد بوبكر وعائلة الكاف لإكمال الطريق. وآل بحسن التانبوليون هؤلاء هم حلفاء الحموم، وقد لقبوا بالتانبوليين لأنهم الوحيدون في المحمية كلها الذين يزرعون ورقة التانبول وجوزة الفوفل، بالرغم من أن ابن بطوطة يشير إلى وجوده في ظفار التي تقع بعيداً إلى الشرق، وأتوقع أنه لا يزال موجوداً هناك. ليس في ملامح البحسنيين الكثير مما يوحي بأن لهم علاقة بالحموم، فإن رجال الحموم عموما يتسمون بالوسامة، بينما الجلافة وصف مخفف لما عليه البحسنيون بشكل عام. لقد قال لي الحموم أنفسهم بأنهم ليسوا من جنس البشر، وقال لي صديق عربي عندما كنا ننظر إلى البعض منهم ممن هم أكثر بدائية: "**لا ينقصهم سوى الذيول فقط ولن تفرق بينهم وبين القرود.**" ولكنك تزداد تعلقا بهم بمضي الوقت كما هو الحال مع القرود في اعتقادي، وأنا الآن مولع بهم بشدة. عندما صعّدنا إلى هناك في المرة الأولى أخذوا منا دولارين ثمنًا لكل قربة ماء ودولاراً مقابل أربع حبات من جوز الهند اضطررنا لشرائها لأنه لم يكن بحوزتنا أي طعام، وبقينا ليومين دون حيلة ننتظر وصول السيارات من حضرموت. وفي تلك الزيارة الأولى كاد أحدهم يطلق النار علي لأنني حاولت التقاط صورة له، أما الآن فهو على أتم الاستعداد لأن يأخذ (وضعة) التصوير. في أثناء الليلتين اللتين قضيناهما ننتظر السيارات كان البحسنيون متوترين بعض الشيء لأنهم كانوا قد قتلوا شخصًا منذ مدة قصيرة وهو ما جعلهم يتوقعون هجومًا، لذلك توجب علينا أن نبني تحصينات سريعة من الحجارة. ونظرا لمشاركتنا في هذا العمل اقترحنا عليهم أن يدفعوا لنا أجرا مثلما طالبونا هم بثمن كل شيء أخذناه، ولكن لم تعجبهم الفكرة وأمضوا الليلة في الحراسة يدندنون على نحو رتيب لكي يظلوا يقظين. وممن التقينا بهم من البحسنيين سيدة طيبة تلبس كما يلبس الرجال بما في ذلك الخنجر والتوابع الأخرى وتحب أن تدعى الشيخ سالم، وهي المرأة الوحيدة من نسائهم

77
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



التي لا تستر وجهها أمام الرجال. إن عادة ارتداء النقاب تختلف كثيراً بين قبائل حضرموت، وهناك عدد كبير من القبائل التي تكشف نساؤها وجوههن.

حين تم إحلال السلام أصبح ممكنا استكمال طريق الكاف وقد افتتحه السير برنارد رايلي في شهر يوليو الماضي. وهو الآن طريق خاضع لرسوم مرور ويشرف عليه مجلس إدارة وتوفر نصف إيراداته للأعمال الكبيرة والتحسينات ويصرف النصف الآخر في الصيانة. إن نفقات الصيانة نفسها آخذة الآن في الزيادة الباهظة وذلك عائد إلى الأضرار الكبيرة التي يسببها مرور الحافلات يومياً. والهدف من فرض رسوم على استعمال الطريق ليس فقط أن تكون مصدر إيراد بل جزء منها يمثل حدا أدنى من الأجرة لحماية حركة قوافل البدو، ذلك أنه لا يسمح أن تنقل البضائع بوساطة السيارات إلا إذا كانت قابلة للتلف، أو ثقيلة على الجمال، أو عاجلة، وفي جميع هذه الحالات تكون أجرة النقل أعلى من أجرة النقل بوساطة الجمال.

تستغرق الرحلة بالسيارة من الشحر إلى تريم حوالي تسع ساعات ونصف إلى عشر ساعات من السياقة المتواصلة، وبالطبع فإن المسافر يتوقف عادةً لتناول وجبة وهذا ما يجعل مدة الطريق تقارب الاثنتي عشرة ساعة. بعد مغادرة المعدي يمتد الطريق خلال هضبة (جول) حُق لها أن تسمى (جول الفقرة)، والفقرة تعني الظهر، وهي امتداد ضيق مرتفع من الأرض يمكن أن يقتنص الناظر من فوقه مناظر خلابة للبحر الذي يبعد ٢٠ إلى ٣٠ ميلا تتخللها الأودية العميقة. بعد ذلك يميل المشهد لأن يصبح رتيباً، خاصةً إذا كنت قد سلكت ذلك الطريق مرات عديدةً، لأنه يطوف بلا نهاية حول تلال مسطحة القمم ورؤوس أودية، وبعد أن تجتاز عقبة المعدي فإن المئة والثلاثين ميلاً تقريبا المتبقية عبارة عن سلسلة من المستويات التي كلما صعدت إلى أحدها انحدرت إلى آخر عبر تلال منخفضة جداً.

بعد المعدي بساعتين تصل إلى ريدة المعارّة، منطقة قبيلة المعارة، وهي مجموعة من القرى المتناثرة في منطقة تتخللها أودية غير عميقة صالحة إلى حد ما للزراعة. وتوجد في المنطقة بعض الآبار، لكنّ أهلها يعتمدون غالبا على حفر واسعة مفتوحة تُنشأ للاحتفاظ بمياه الأمطار وتسمى الواحدة منها (كريف). والمعارة قوم لطيفو المعشر تربطهم أيضا قرابة بعيدة بالحموم. إنهم لا يتسببون في أية مشكلة على أنه يوجد منهم أفراد قليلون مولعون بتقديم الدعاوى القضائية، ودائماً ما يسعون إلى الجلوس معي في المكلا أو في حضرموت الداخل حول قضايا سبق أن حققت فيها من خلال محاكم مستقلة عديدة تنتهي دائما إلى نفس النتيجة. هذه النزاعات معظمها مشاحنات على الأراضي التي هي محور معظم حالات التقاضي في حضرموت.

الريدة هي المكان الذي يتم التوقف عنده عادةً لتناول وجبة الغداء لأنها تقع في منتصف الطريق تقريبًا. ويخيل لي أن أجمل مكان للجلوس هناك هو تحت شجرة قريبة من أحد (الكرفان)، فهناك توقفنا في رحلتنا الأولى إلى الداخل وكان علينا أن نطرد من المكان مجموعة كبيرة من القرود. كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها قرودا في مكان يبعد بهذه المسافة إلى الشرق، على الرغم من أننا رأيناها مرات عديدة إلى الشمال من عدن. وفي واقع الأمر، فإنه من النادر أن يصادف المرء حيوانات ثديية في حضرموت باستثناء الغزلان والثعالب، وإن كان قد عُرض عليّ مؤخراً ضبع صغير في تريم، وتوجد هناك الذئاب والوعول والمها. ويفضل البعض الآخر عندما يتوقفون في الريدة أن يتناولوا الغداء في بيت لا يبعد كثيرا حيث إذا طلبت مسبقًا

يمكنك الحصول على أرز مسلوق جيدا ولحم مسلوق. لقد أطلق أصدقاؤنا من علية القوم في حضرموت على هذا المكان اسم (شِبرد)، وربما كان هذا على الأرجح بسبب الأسعار المرتفعة التي تطلب دائما من الزبائن. في المرة الأولى التي مررنا بالقرية طلب شخص من زوجتي دواءً وأعطته ملح أبسوم. ثم خرجت بعدها الجموع ومدت أيادي متوسلة ملئت كلها، وبهذا فقد وزع رطل أو رطلان، ولكن لم يكن هناك شعور استياء حيال ذلك وكانت العلاقات مع القبيلة ودية دائما. ولهم شجرة عظيمة تعرف عندهم بأنها الحرم المقدس، وتحت هذه الشجرة تعقد كل الاجتماعات القبلية المهمة. وفي هذا المكان جلست مع الأكبر سنا منهم في زيارة لاحقة عندما وقعوا على هدنة السنوات الثلاث التي شملت عموم حضرموت.

بعد الريدة بقليل تأتي منطقة كثيرية تابعة لآل جابر، ويمر الطريق بالقرب من رسب، حيث يوجد مدرج هبوط. وكانت قد لصقت بسكان رسب سمعة سيئة جداً تتعلق بنهب القوافل واعتراض السيارات بهدف السلب. بل إنهم كانوا يطلقون النار على السيارات قبل أن تطأ أقدامنا البلاد. وقد عوقبوا على اعتداء من هذا النوع قاموا به وهم الآن بصدق من أخلص أصدقائنا. وقد نزلنا زوجتي وأنا عندهم استجابةً لدعوتهم لنا وقد بالغوا في إكرامنا بطريقتهم البسيطة. وقد أخبروني أنهم كانوا يعتقدون دائماً أنهم في حماية سلطان تركيا؛ ومطلبهم الوحيد الآن هو مساعدتهم في الحصول على الماء، وآمل بكل إخلاص ألا يمر وقت طويل حتى تكون هناك وسيلة لمساعدتهم، لأنهم يعتمدون كليًا على ماء المطر، وعندما تجف أحواضهم يضطرون لترك ديارهم ويهيمون على وجوههم ومعهم مواشيهم إلى مكان آخر يأويهم.

كانت آخر إشارة على وجود حياة ثابتة على هذا الطريق تقع بعد رسب بقليل في منطقة حِرو، حيث يوجد قلة من الشيوخ لديهم بعض حفر الماء المرغوبة التي يبقى ماؤها مدة أطول من معظم الحفر الشبيهة بها على الطريق ويكون عادةً حولها الكثير من الماشية. وكان مشهداً رائعًا، بعد هطول الأمطار الغزيرة في العام الماضي بالقرب من حرو، رؤية الوادي المنخفض تسوده الخضرة باتساع عرضه وهو يمشي متعرجًا في كل اتجاه وقد زرع بالكامل على ما يبدو. ولا يكف الناس هنا عن الحديث عن بركات السلام الذي مكنهم من الزراعة بمقدار أكبر مما كانوا يزرعون من قبل، إذ تعزى الأمطار الغزيرة من قبل الجميع إلى رحمة الله المتجلية جزاءً للسلام.

يستغرق الطريق من حرو إلى تريم أربع ساعات وهو طريق مهجور تمامًا، إذ تسلك القوافل طريقا في الوادي وهو طريق وادي عدم حيث يوجد الماء، لأنه لا يُعثر على قطرة ماء على الطريق التي تسلكها السيارات، وبالطبع عادةً تحدث الأعطال في هذا الجزء من الطريق.

وصلت إلى تريم في الساعة الثامنة والربع صباحًا. تعد العقبة النازلة إلى تريم واحدة من أبرز الإنشاءات الهندسية في العالم. ويقول العارفون إنه لا يوجد مهندس أوروبي سيقدم على تشييد عقبة مماثلة لها. إنها تتكون بشكل أساسي من منعطفات حادة يتعين على السائق لكي يتخطاها أن يرجع إلى الخلف، وهناك أجزاء من العقبة بها انحدارات بنسبة ١ إلى ٣ أو ٤ . وإذا أطلقت عيارا من بندقية في قمة العقبة فستعلم تريم أنك قادم وعندها تخرج المدينة كلها لملاقاتك. ويفضل كثير من الناس أن ينزلوا العقبة مشيًا، وعلى أية حال يتوقف السائقون في القمة ليربطوا الفرامل، ولقد نزلت مشيًا مرة واحدة فقط، وكان ذلك في صباح رأس السنة. جلست لمدة قصيرة في قمة العقبة، وكان حقًا من أجمل المناظر مشاهدة نور الصباح يبزغ فوق مآذن تريم وبيوتها البيضاء.

"تريم ولا شيء يعدل بتريم"، هذه مقولة محلية، وفي الحقيقة لا أعرف أماكن شعرنا بسعادة الحياة فيها أكثر من تريم وسيؤون. لن أنسى أبدًا انطباعاتنا الأولى عن تريم، ولا أظن أن أي أحد ينسى، ولكن سحر هذه الأماكن يزيد بالتعرف عليها أكثر ومجتمعها مضياف ومثقف. هناك القليل من



المعرفة بالأدب في المكلا مثلا أو الشحر. قد يضيق المرء بالعيش في المكلا أحيانًا، في حين أن الشحر تعد اجتماعية ومرحِّبة دائماً. سيؤون وتريم لا تكتفيان بهذه الصفات، بل هما تتحدثان في الشأن العام والتاريخ والفلسفة. فالمنطقة كلها ملأى بالشعراء وهي لا تروي فقط عن الشعراء القدامى، بل تسجل دائما التاريخ المعاصر في (قصائد) ولهذا السبب يظل الكثير من هذا التاريخ حيا. في رقصة الشبواني يجتمع الشعراء وينظمون بالتناوب بيتين من الشعر ارتجالا يرددهما المنشدون الرئيسيون المرة تلو الأخرى ثم يتبعهم في التغني بهما جمهور المشاركين في اللعبة.

إن تريم وضاحيتها المترفة (عيديد)، التي يوجد بها عدة فلل جميلة تشعرك بأنك في الريفييرا، هي بالطبع خاضعة لسلطة الكثيري ولكنهما بالإضافة إلى قرية الغرف الصغيرة تقع كلها في منطقة آل تميم. وقد علمت مؤخرا الحقيقة المثيرة للاهتمام عن تريم من أنها تضم دولة داخل أسوارها. وهذه عبارة عن منطقة مغلقة تحتوي على بضعة بيوت يسكنها السادة آل الحداد ويحكمها منصبهم بموجب عرف قديم. ويخضع رعايا هذا المنصب لسلطته القضائية المطلقة، حتى وإن ارتكبوا جرائم في مدينة تريم فلا تتم محاكمتهم من قبل السلطان وإنما يسلمون للمنصب. والنخبة المثقفة في تريم تطلق على هذا المنصب لقب (البابا)، وتطلق على دولته اسم (الفاتيكان). وفي تريم وسيؤون كلتيهما معاهد دينية قديمة (أربطة) يفد إليها الطلبة من مسافات بعيدة في غرب المحمية ومن اليمن. أتذكر أنه حين مررت للمرة الأولى برباط تريم منذ مدة طويلة كان هناك شعور عنيف ضد التأثير المفسد، وأسرعوا بإغلاق الأبواب ومصاريع النوافذ بقوة. تصبح الحياة أكثر جمالاً عندما يكف الأطفال والمتطفلون البالغون عن ملاحقتك وهم يهتفون: (نصراني). وعندما عدت إلى المكلا من الداخل في مارس عام ١٩٣٧ حدث أن صرخ ولد صغير عندما رآني: (نصراني)، ولكن صديقه أعلمه على الفور بأن ما دعاني به غير صائب، إذ قال له: "**هذا ليس (نصراني)، وإنما هو إنجرامس.**"

إن آل تميم الذين ينتشرون لعدة أميال على الطريق إلى سيؤون ونزولاً مع مسار وادي المسيلة إلى ما بعد قسم، عاصمة آل تميم، هم قبيلة تابعة للقعيطي ولذلك فتريم والغرف يمثلان جزيرتين وسط بلادهم. وليس هناك بدو رحل في آل تميم، فجميعهم يعيشون في الوادي ومنهم من يهاجرون إلى شرق أفريقيا وجزر الهند الشرقية في الغالب. لكنهم مع ذلك قبيلة مفككة على نحو يثير الاستغراب إذ تتحارب فروعهم فيما بينها باستمرار غالبًا حول مشاكل متعلقة بالأراضي. وهذا الأمر يجعلهم على النقيض تماماً من جيرانهم المناهيل الذين ينتمون إلى نفس حلف بني ظنّة. والمناهيل كلهم بدو ولكنهم متفقون تمامًا في اتّباع زعيمهم الشاب عيضة بن طنّاف، ذي الخمسة والعشرين ربيعا الذي يمتاز بكثير من حسن الخلق. لقد اعتقدت في البداية أن المناهيل لن ينضموا إلى الهدنة، ولكنهم جاءوا ووقعوا بعد أن امتنعوا لمدة يسيرة، ولم تبدر عنهم قط أدنى مشكلة، مع أن عيضة واجه صعوبة كبيرة في منعهم من الثأر من الصيعر، الأعداء المعتادين لدى معظم آل حضرموت.

إن رجال المناهيل والمهرة وتلك الفروع النائية من آل كثير الذين يسكنون وسط المهرة على حدود الصحراء يُنسبون إلى أمهاتهم وليس إلى آبائهم. والعادة عند العرب طبعا أن تكون أسماؤهم مثلاً على شاكلة حسن بن محمد، أما هؤلاء القوم فيقولون حسن بن مريم. وبالنسبة للمناهيل والحموم وبعض القبائل الأخرى فجميع الرجال على الإطلاق لا يتزوجون



أكثر من امرأة واحدة، أما النساء وهن غير منقبات في بعض المناطق فإنهن يتمتعن بحرية مطلقة. وإذا أراد الرجل من الحموم والمناهيل الزواج من امرأة تقدم إليها مباشرةً، لأن والدها لا يعُدّ هذا أمراً يخصه. ومهر الزوجة مرتفع جداً، ولكنها تحضر معها كثيراً من المواشي.

لم أسافر براً لمسافة طويلة بطريق وادي المسيلة في الرحلة الماضية، مع أنه كانت قد وجهت لي دعوة للذهاب ضمن الحملة الدينية إلى قبر النبي هود. ولكن بما أنني لم يكن لديّ وقت لهذا النوع من السفر فقد اصطحبني السيد أبو بكر في أول رحلة دينية جوية، كما سمّاها، وكان الضريح الجميل في محيطه الخلاب والمزدحم بحشد استثنائي من الزوار مختلفا تماما عن آخر مرة رأيناه فيها أنا وزوجتي في غير موسم الزيارة عندما كنا مسافرين إلى سيحوت بطريق الوادي. وفي هذه المرة لاحظت أطلال بلدة قديمة على حافة الجول تماماً فوق عينات، وأظن أن هذه هي الأطلال الوحيدة تقريباً التي تظهر بتلك الحالة في حضرموت.

ربما لا حاجة لقول المزيد عن مدن الوادي الكبيرة، تريم، وسيئون، وشبام أو عن الأراضي الخصبة الواقعة بينها التي تسعد كلها الآن بالأمان. كما أن نظام الخندق الشهير المرتبط بمدينة الغرفة لم يعد ساري المفعول الآن وانفتحت المدينة لحركة المرور بعد أن كانت السيارات تضطر للالتفاف حول أسوارها وتتعرض للخطر. لقد أصبح المكان كله مكسواً بخضرة المحاصيل المزروعة ، ففي العام الماضي كان هناك محصول قياسي من الدخن، وعندما غادرت المنطقة في أبريل كان محصول قياسي من الشعير يحصد.

تغيرت سيئون في بعض النواحي فقد أصبح لديها مدرج هبوط جديد مثل تريم لا يستخدمه فقط سلاح الجو الملكي بل أيضاً الطائرات المدنية، وفي سيئون نفسها لديّ مكتب لأنني عينت مستشارا مقيما للسلطان الكثيري أيضا، وتوجد قوة عسكرية ألبست بزة رسمية مؤخرا تسمى الشرطة الكثيرية المسلحة ويتم تجنيد معظم أفرادها من عبيد السلطان. وأظن أنه معروف لدى الجميع الآن أن هؤلاء الذين يسمون بالعبيد هم في الواقع أكثر استقلالية بكثير من العديد من الرجال الأحرار، ولكن الذي ربما ليس معروفًا أنه بالاتفاق التام والتعاون الكامل بين السلاطين اتخذت تدابير لمنح الحرية لأي عبد يطلبها. وقد نقل محط الجمال من الفسحة التي أمام القصر وتجرى تحضيرات لإنشاء حديقة صغيرة محاطة برواق معمّد يستوعب مركز الشرطة ومكتب البريد ومستوصفًا صغيراً.

لقد اكتمل الآن بناء منزل السيد بوبكر الذي كان يجري العمل فيه عندما قمنا بزيارة سيئون لأول مرة منذ ثلاث سنوات. وأظن أن تصميمه المعماري لم ينل استحسان الآنسة ستارك، كما ستخبركم هي بذلك من دون شك، ولكنه منزل مريح إلى أبعد حد، وقد شعرنا بغاية السعادة في المدة التي قضيناها فيه عندما كانت العائلة تعيش هناك. ولكن أسرة السيد بوبكر فضلت أن تقيم لبضعة أشهر في بيت آخر كبير يعد من المباني ذات الطراز القديم في المدينة. وعندما سكنت في بيت (دار السلام)، كما يطلقون عليه، في الوقت الذي كان يخلو من أهله أعطاني شعوراً مشابهًا إلى حد بعيد لما شعرنا به أنا وزوجتي ذات مرة عندما قضينا مدة قصيرة جدا بوصفنا النزيلين الوحيدين في فندق كبير جدا في بلجيكا في غير الموسم السياحي وهو ما يجعلني أفضل دائما النزول في البيت الآخر الذي يسكن فيه

السيد بوبكر. لطالما شعر الكثير من الناس بدفء الضيافة الكريمة لهذا الرجل في البيت الجديد خلال العام الماضي، وخلال الصيف الحار الماضي كان أكثر ما يبعث السعادة في النفس البقاء غاطسين في حوض السباحة وقت المساء والاستماع إلى ألحان الأوركسترا الإمبراطورية لإذاعة (بي بي سي). في ذلك الوقت كانت البرامج العربية لهيئة الإذاعة البريطانية قد بدأت وأصبحت تحظى بشعبية كبيرة في جميع أنحاء حضرموت التي تضبط الآن ساعاتها على دقات ساعة بيج بن. بعد الانتهاء من الغطس يوضع العشاء على السجاد بجانب حوض السباحة. وفي هذه الموائد نادرًا ما يجلس المرء ضمن أقل من عشرين شخصًا من ضيوف بيت السيد بوبكر وكثيرا جدا ما يصل العدد إلى الأربعين. ويبلغ متوسط الاستهلاك اليومي حوالي ٣٠ إلى ٤٠ رطلا من الأرز، وثلاث أو أربع دزينات من البيض، ونصف دزينة من الدجاج، ورأسا أو رأسين من الغنم، وعدة أرطال من الخضروات. كنا قد ذهبنا لحضور عرس ابنته، وفي أثناء مراسيم هذا الزواج تم إطعام ما يربو على خمسة آلاف فرد من الجنسين خلال ثلاثة أيام.

لقد كانت سيئون مقرنا الرئيسي في الوادي، ومنها كنت أنطلق دائما لزيارة جميع الأماكن المجاورة فأمكث في شبام والقطن وهينن وقعوضة وحريضة. وقبل الوصول إلى حريضة لا بد أن تتوقف أولا لتناول وجبة في ديار البقري، حيث الناس في غاية الكرم حتى إنهم، كما يقال، كانوا يطلقون أعيرة نارية على أولئك الذين يحاولون العبور بسياراتهم دون التوقف عندهم لتناول وجبة. وآل البقري ينتمون إلى نهد، وعلى الرغم من أنهم مستقرون الآن فهم ما يزالون أقرب إلى الطبيعة البدوية. وفي زيارتي الأولى، عرضوا علينا منزلاً واسعا فقط لو وافقنا على البقاء لكي نحكم البلاد، وفي ذلك الوقت عرفت أنهم استقدموا من جاوة طباخًا على أعلى مستوى كي يكرموا وفادة الأوروبيين كما يجب. فبقدر ما كان كرم الضيافة واللطف عظيما عند جميع قبائل نهد، كانت ولائم ديار البقري لا تقل في جمالها وتنوعها عن أي مكان في العالم يمكن أن تتخيله. وكانت أفكارهم حتى بالنسبة لوجبة شاي العصر بالغةً أقصى حد من الإسراف. لقد تناولته معهم ثلاث مرات وفي كل مرة كانوا يقدمون مع الشاي الكعك والعسل والحلوى والعديد من أنواع الفاكهة المعلبة والبسكويت الإنجليزي والحلويات المشبعة بالكريمة.

بعد ديار البقري عند دخولك وادي عمد ينتصب حصن صغير عليه حارس دائم التحديق إلى الأمام. وقد مضت مدة من الزمن قبل أن أكتشف أن الحارس كان دميةً، وهي عبارة عن كتلة من الطين ملفوفة بشكل فني بقطعة قماش سوداء، ولكن في الأشهر الأخيرة لاحظت أنه آل إلى التلف. وتمتد قبيلة نهد باتجاه مسار وادي عمد حتى تكاد تبلغ بلدة حريضة التي يتألف سكانها بالكامل من السادة عائلة آل العطاس وأتباعهم. وقد حللت بهذه المنطقة أيضًا عدة مرات، ويوجد بها الآن مدرج هبوط. ولا حاجة بي إلى الإطالة في الحديث عن حريضة لأنه منذ مدة وجيزة فقط كانت الآنسة ستارك والآنسة كيتون-ثومبسون والآنسة جاردنر يقضين فصل الشتاء بها.



بدو الصيعر

لكن هناك شيئًا مثيراً للاهتمام مرتبطا بحريضة قد يبدو تافها إلى درجة أن يغفلن عن ملاحظته، وهو أن أحد المساجد به ساعتان ضخمتان، إحداهما قطرها ستة أقدام والأخرى ثلاثة أقدام. وهذه الأخيرة فقط هي التي تعمل وهما بالطبع على قمة المئذنة العالية، ولكنهما موضوعتان داخل المئذنة ولذلك لكي تعرف الوقت عليك أن تصعد ستين أو سبعين درجة.

توجد قبيلة الجعدة أعلى الوادي بعد حريضة. لم أسافر أعلى الوادي إلى أبعد من حريضة وكان ذلك سيرا على الأقدام، لكن زوجتي قامت بالرحلة على ظهر الجمل قبل ذهابي إلى هناك لإجراء مفاوضات الصلح. والوادي مكتظ بالسكان وتوجد به العديد من القرى الصغيرة التي كانت جميعها تقريبًا في حالة حرب فيما بينها في ذلك الوقت. وقد دونت زوجتي تفاصيل اثنين وثلاثين نزاعا كبيرا بين المناطق السكنية بل بين البيوت التي تفصل بينها ياردات قليلة. وكانت هناك شبكات خنادق شبيهة بتلك الموجودة في قعوضة، تؤدي إلى الحقول من المنازل، ولكن بسبب الأحوال المضطربة تضررت الزراعة كثيراً وعمت البلاد رغبة في السلام من أجل مواصلة العمل في الحقول.

كانت زوجتي برفقة السيد علوي العطاس وجميلة، وهي خادمة مخلصة للعائلة كانت خلال الرحلة رابضة في وضع غير مريح على ظهر جمل زوجتي بينما كانت تغني أغاني بدوية عن الحرب. وقد حفظت زوجتي بعضًا من هذه الأغاني وواصلتا المسير نحو أعالي الوادي وهما تغنيان معا. وكانت جميلة مرافقة مفيدة جداً إلى جانب كونها مسلية، إذ أثبتت أنها ماشطة ممتازة ومدلكة ماهرة أيضًا. كان السيد علوي قد تزوج من قبيلية، لذلك نزلت المجموعة في زيلع في بيت صهره الذي هو أحد زعماء الجعدة الرئيسيين. وككثير من الجعديين فإن مضيفهم كان قد سافر إلى جاوة، لكن العلامة الوحيدة على أسفاره كانت دراجة هوائية كان قد أحضرها معه وقال إنه يفضلها على البعير. وبعد زيلع مروا راكبين الجمال بالكثير من القرى الصغيرة حتى وصلوا إلى عناق التابعة لآل الشعيبي الذين



يعتقد بأنهم يصيبون الناس بالعين، ولذلك فالناس يتجنبونهم قدر الإمكان. ورأى السيد علوي من باب أخذ الحيطة ألا يركب بعيره إلى أن يكونوا قد تجاوزوا القرية بمسافة كافية خوفًا من أن يسقط من على بعيره بفعل عين من أحد المعروفين بالحسد. ثم أمضوا ليلة في عمد التي تقع تقريبًا عند نهاية منطقة الجعدة، لأنه على مسافة أبعد قليلاً أعلى الوادي يوجد موطن قبيلة المضي. وجميع قرى الوادي متشابهة إلى حد بعيد ويوجد بها عدد قليل من المنازل ذات الثلاثة والأربعة الطوابق موزعة بين المنازل الأصغر، وتتوافر في معظمها خزانات متقنة البناء للاحتفاظ بمياه الأمطار. وتوجد على الأخص في الضفة اليسرى من الوادي العديد من المغارات المحفورة التي تستخدم الآن غالبًا للسكنى ولخزن الحبوب. وتقول الآنسة كيتون تومبسون إن هذه المغارات ربما كانت كلها مقابر حميرية. وأظن أن بعض ساكني المغارات الذين قابلتهم قد أزعجهم قولها لهم إنهم يعيشون في مقابر. وإن العديد من أفراد عائلة العطاس الذين لهم سلطة كبيرة على الجعديين قد تم تقديسهم كما أن قبورهم المقببة تعد

موضع تبجيل عند كثير من القرى. ولم يلاقِ مظهر زوجتي استنكارًا في عمد حيث قضت ليلةً مع مجموعة من النساء اللواتي قد زرن جاوة، وشاهدن من قبل نساءً أوروبيات. وقد جلبن معهن بعض التذكارات من رحلاتهن وقمن بتعليق زوج رخيص من النعال الأوروبية ذات الكعب العالي ليبهرن صديقاتهن اللاتي لم يسافرن، وكان يدفعهن لذلك نفس الروح التي تجعلنا نعلق التحف الشرقية على جدراننا.

ومشوا في طريق عودتهم من عمد باتجاه مصب الوادي متتبعين ضفته الشرقية ومروا بالكثير من الخرائب التي كان معظمها يستر الرعون المنخفضة البارزة في المنحدرات. وتوجد في حصن باقاسم أطلال تعرف بعدية قضاعة التي ربما توحي بأنها موقع لما كان ذات يوم المدينة الرئيسية في الوادي فقد كان يسمى قبل الإسلام وادي قضاعة. وبالقرب من قرية باتح الكبيرة أمضوا وقت النهار مع رجل تحدث إليهم عبر نافذة من الطابق الثاني لبيته حيث كان لا يجسر على الخروج لأنه كان يخوض بمفرده حربًا مع جميع جيرانه. وطالب بالسلام كآخرين كثر تحدثت معهم زوجتي. وقال آخر: "**إننا نريد السلام. لقد تعبنا من الحروب. يعمل الرجل في حقوله ثم يقع ميتًا فجأة، ما الجدوى من وراء ذلك؟**" ثم أوقفهم آخر وقال: "**إن بلادا بلا حكومة ليست بلادا. امنحونا سلامًا وحكومة مستقرة**".

وبالعودة إلى شبام، التي هي بالطبع أهم مدينة تابعة للقعيطي في الداخل، يوجد إلى الغرب منها بعد القطن وعند مفترق طرق وادي دوعن جماعة من اليافعيين، مع عدد قليل من الكثيريين ما زالوا باقين في أماكن مثل عجلانيا عند مفترق الطرق نفسه وكذلك في وادي عمد. وقد استقر هؤلاء اليافعيون في هذا المكان منذ عدة قرون، وذلك لأنه في زمن يعود إلى بداية القرن السادس عشر استقدم بدر بو طويرق السلطان الكثيري المشهور – الذي عثر السلطان الكثيري مؤخرا على درعه الحديدية وترسه في قصر سيئون – هؤلاء الجنود المرتزقة من اليافعيين ومن زيدية اليمن والأتراك. وبمرور الزمن تكونت السلالة القعيطية الحاكمة من هؤلاء المرتزقة وأصبحت هي القوة الرئيسية في البلاد. وقد كانت مدة استقرارهم هنا من الطول بحيث أصبحوا حضارم أصيلين، وكبقية القبائل الحضرمة فإنهم يؤيدون بشدة الترتيبات السلمية الحالية. ويُعرف هؤلاء اليافعيون المتوطّنون (بالتلد) لتمييزهم عن (الغريب)، وهم اليافعيون الدخلاء الذين ما زالوا يفدون من جبال يافع الواقعة في الجزء الغربي من المحمية ويخدمون لمدة قصيرة بوصفهم جنودا. و تظهر الجماعة التي تعادي السلام من بين هؤلاء اليافعيين المذكورين للتو، لأنهم من أكبر المرابين وقد كانوا على مدى فترة طويلة يعتمدون في كسب عيشهم على استغلال الطبقات الفقيرة؛ فهم يدركون أنه إذا توطد النظام الجيد والعدالة فلن يحصلوا على فرص مماثلة في المستقبل.

ربما تعد القطن أقصى منطقة في الغرب توجد بها زراعة واسعة النطاق. وكان من المشاهد الخلابة في مايو الماضي رؤية الوادي الواسع مكتسيًا باتساع عرضه بالخضرة من الطرف إلى الطرف. وخلف اليافعيين ناحية الغرب يسكن آل نهد الذين تمتد أراضيهم تقريبًا إلى العبر. ويعيشون كلهم في الوادي، وفي الجزء الشرقي من منطقتهم يوجد مستوطنون، أما في الجزء الغربي حيث تغطي الرمال معظم الأرض فيوجد البدو الذين يربون قطعان الأغنام. وعاصمة هؤلاء هي قعوضة حيث يعيش حكيم مبارك، وهو زعيم شيخ مظهره يجل عن الوصف وذو سمعة واسعة يحسد عليها في إقامة العدالة الحقيقية. وأبناء قبيلة نهد ذوو بنية قوية والأكبر سنا منهم، الذين يمثلون نسبة كبيرة، لهم بطون ضخمة وأصوات جهيرة. ومن آل نهد قمنا بتجنيد شبان ممتازين للحرس الشخصي الجديد للسلطان القعيطي من حاملي الرماح على الجِمال، وهم يبدون بمظهر جميل للغاية في زيهم القرمزي والأزرق. لن أنسى أبدًا اليوم الذي وقع فيه آل نهد على معاهدة الصلح. لقد كانوا يعيشون في الخنادق وكانوا محبوسين في منازلهم لسنوات، ثم خرجوا جميعًا في وقت واحد والتأم شمل الكثيرين.

84
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

طوابع حضرموت البريدية ١٩٣٨-١٩٩٠م

(تاريخ وهوية شعب ووطن)



قبل الحديث عن الطوابع البريدية، وعن أول ظهور لها وتطورها في العالم، ومن ثم البلدان العربية، وعلى وجه الخصوص حضرموت، لابد من إعطاء لمحة سريعة عن مصطلح طابع البريد، وكلمة البريد في اللغة، ونشأة خدمة البريد وتطوره في العالم.



أ. د. محمد عبدالله بن هاوي باوزير

- طوابع البريد.. المصطلح والمفهوم:

- مصطلح طابع البريد:

الطابع: مصطلح يطلق على وريقة مصمغة، ذات قيمة محدَّدة، تحمل صورة أو رسماً أو زخارف رمزية، ورقماً يدل على ثمنها، تلصق على المراسلات البريدية.

البريد: اختلف اللغويون في أصل كلمة بريد، فقيل: إنها عربية وأنها تعني الرسول المستعجل، وقيل في معجم المعاني الجامع: بَريد جمع بُرُد، نظام يختص بنقل الرسائل والطرود، وما يتلقاه شخص أو جهة ما، وقيل أيضًا: أصل الكلمة العباءة؛ لأن رسل البريد كانوا يلبسون عباءة حمراء. كما قيل: البريد لغة هي كلمة فارسية، يراد بها في الأصل البغل، وأصلها (بريد دم)، أي: محذوف الذنب؛ لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها، ثم سمي الرسول الذي يركبه بريدًا، والمسافة بين السكنين بريدًا، وبريد وحدة طول..

أمَّا عن نشأة خدمة البريد فقد نشأت بغرض نقل الخطاب، ولكن امتدَّت فيما بعد حتى شملت نقل الرسائل، والطرود، والمطبوعات، والعينات، عدا القيام بعمليات تحويل النقود وبعض الأعمال المصرفية. وقد عُرف نظام البريد لدى الفرس والعرب والرومان، وفي القرون الوسطى كان البريد أساسًا لخدمة الحكومة. ثم نشأت مؤسسات فردية تؤدي خدمات بريدية، ولكنها ألغيت فيما بعد. ويبدو أن الإنجليز هم أصحاب

السبق في ذلك، ويرجع النظام البريدي الإنجليزي إلى عام ١٦٥٧م.

أما وسائل النقل البريدية فقد كانت عبر الأفراد، ثم أصبح نقلها على ظهور حيوانات النقل، كالخيول وغيرها، ثم العربات المغلقة التي تسير على الطُّرق العامة وتحمل الرُّكَّاب، أو تسير في قوافل تحت الحراسة المسلحة. استخدمت أيضًا السكك الحديدية وخطوط الملاحة البحرية التجارية المنتظمة للنقل البريدي، وهكذا تطوَّرت عملية النقل البريدي بإدخال البريد الجوي (١٩١٨م) بعد الحرب العالمية الثانية، وزاد استخدامه بانتشار الطيران المدني المنتظم. وفي عام ١٨٧٤م عقدت اتفاقية دولية لتنظيم الخدمات البريدية بين الدول، فأُسِّس اتحاد البريد الدولي، وأخيرًا البريد الدبلوماسي، أي: نشوء نظام الحقائب الدبلوماسية.

- الطوابع البريدية:

كانت إنجلترا هي السباقة إلى ذلك، وفيها أصدر أول طابع بريدي في السادس من مايو ١٨٤٠م، وهو يحمل صورة الملكة فيكتوريا، وقد اقترح الصورة (السير رولاند هيل)، وقد اقترح ذلك بناءً على مقالة له بعنوان: "**إصلاح مكتب البريد – أهميته وعمليته**". وانطلاقًا من إنجلترا أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية طابعها في نيويورك عام ١٨٤٢م (الثانية عالميًّا)، ويحمل طابعها صورة الرئيس جورج واشنطن، والدولة الثالثة عالميًا في إصدار الطوابع هي مصر الخديوية، في عهد الخديوي إسماعيل عام ١٨٦٦م، كما تُعَدُّ مصر الدولة الأولى عربيًّا في إصدار الطوابع. ومنذ عام ١٨٦٦م انتشرت الطوابع في العالم المتحضر، كما تزامن معها تطور وسائل نقل البريد.

- بريد حضرموت:

أنشئت الخدمة البريدية في حضرموت في بداية ثلاثينيات القرن العشرين، وقد افتُتِح أول مكتب بريد في المكلا عاصمة السلطنة القعيطية في عام ١٩٣٨م، ونظرًا لازدياد الخدمات البريدية توالى افتتاح المكاتب البريدية في الأربعينيات في مدن السلطنات القعيطية والكثيرية، وفي هذه الأخيرة أنشأ أول مكتب بريد في سيئون عام١٩٤٣م، وتريم في عام ١٩٤٥م، وحوطة أحمد بن زين عام ١٩٤٨م، وهكذا تواصل افتتاح المكاتب البريدية في مناطق ساحل ووادي حضرموت.

- الطوابع البريدية:

وبالنسبة للطوابع البريدية التي ترمز لهوية حضرموت فقد بدأت تظهر، وكانت أول مجموعة خاصة بالسلطنة القعيطية منذ ثلاثينيات القرن العشرين، بدءاً من عام ١٩٣٨م في المكلا، ومن ثم في سيئون عاصمة الكثيري.. وهكذا توالت ظهور المجموعات البريدية في سائر المدن الحضرمية التابعة للدولتين القعيطية والكثيرية.

أما بالنسبة للخدمات البريدية فقد كانت المكاتب والوكالات البريدية محدودة العدد، إذ لا تتعدى (٤٤) مكتبًا ووكالة، غالبها في حضرموت، وتليها عدن، وبعد الاستقلال الوطني (١٩٦٧م) أنشأت عددٌ من المكاتب والوكالات البريدية في رقعة واسعة من جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وعلى وجه الخصوص العاصمة عدن، ومعها بعض المحافظات المهمة، كمحافظة حضرموت، حتى بلغ عددها في العام ١٩٨٥م (١١٠) مكاتب بريد ووكالات بريدية، ونظراً لأهمية حضرموت وجغرافيتها الواسعة حظيت بـ ٢٦ مكتبًا واثنتي عشرة وكالة (الإجمالي ٣٨)، وتأتي بعدها العاصمة عدن (١٦) مكتبًا، وثلاث وكالات (الإجمالي ١٩).

- أهمية الطوابع البريدية

رمزيتها، معانيها ودلائلها:

تكمن أهمية الطوابع البريدية في موضوعاتها المتنوعة، كالتعرف على قصص البلدان وتاريخها والثقافات والأشخاص والأحداث، والتعرف على بلدان العالم ورؤسائها وملوكها وأعلامها وعملاتها، كما نتعرف من خلالها على الكثير من

المناسبات والأعياد الوطنية والدينية وأعياد الميلاد وعيد الأم وغيرها ذلك. بالإضافة إلى الطوابع التي تتناول أنواع الزهور والحيوانات والأسماك، والطبيعة والفضاء، وأنواع الفنون والهندسة المعمارية، والرياضة والموروث الشعبي من صناعات حرفية وعادات وتقاليد، وغيرها من الرمزية والمعاني والدلائل التي تحملها طوابع العالم.. لذلك ظهرت هواية جميع الطوابع.

- أهمية الطوابع البريدية الحضرمية:

من خلال الاطلاع على عددٍ من طوابع بريد حضرموت منذ العام ١٩٣٨ - ١٩٩٠م نكتشف ما تحمله تلك الطوابع من تذكار لأشخاص أو أحداث أو مناسبات أو معانٍ ودلات أخرى، وبعد الاطلاع عليها تبين أن الطوابع الحضرمية تحمل جوانب مهمة من تاريخ الإنسان الحضرمي وهُوِيَّته، من صور للسلاطين، ومعالم معمارية حضرمية، ومساجد ومآذن، ومن الموروث الحرفي المتنوع في حضرموت وغيره، وسنرى ذلك من خلال بعض الطوابع البريدية المتاحة فهي ترمز لجوانب من تاريخ شعب حضرموت وهويته، وهي:

- اللوحة رقم (١):

طوابع تحمل صورة لأحد سلاطين الدولة القعيطية الحضرمية منذ أربعينيات القرن العشرين (سلطان الشحر والمكلا)، وتتضمن أيضًا معالم معمارية حضرمية، مثل سدة العيدروس بالشحر، وحصن الغويزي بالمكلا، وشبام مدينة ناطحات السحاب، أو كما سماها البعض بـ(منهاتن الصحراء)، وغيرها من الموضوعات التي احتوتها الطوابع البريدية.

لوحة رقم (١) الصور حسب الترتيب من اليسار :

١- السلطان وسدة العيدروس بالشحر، المكلا وتظهر فيها مناره الروضة، والمشهد، حريضة، وحصن الغويزي، وشبام، وعينات، ودوعن.



الطوابع إصدار يوليو ١٩٤٢م

٢- شبام والمكلا



الطوابع إصدار أكتوبر ١٩٤٦م

٣- تحمل الصور السابقة نفسها



الإصدار في أكتوبر ١٩٥١م

- اللوحة رقم (٢):

طوابع تحمل صورة السلطان القعيطي، ونماذج من الأعمال الحرفية الحضرمية، وكذا صناعة السفن وغيرها من الموروث الحضرمي الفريد.

لوحة رقم (٢): السلطان عوض بن صالح القعيطي

١- الأعمال الحرفية اليدوية الحضرمية بما فيها صناعة السفن



إصدار أكتوبر ١٩٦٣م - وأبريل ١٩٦٦م

- اللوحتان رقم (٣، ٤):

طوابع السلطنة الكثيرية، تحمل صُوراً لسلاطين آل كثير (جعفر بن منصور بن غالب و حسين بن علي بن منصور)، وهم يعتمرون العقال الحضرمي على رؤوسهم، كالطابع الصادر في شهر أكتوبر عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٦، وعام ١٩٥١، وعام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٤م، وهذا يؤكد أن العقال وإلى جانبه العمامة أو الغترة والكوفية كانا جزءًا مهماً من لباس الحضارم آنذاك، وظل العقال سائداً في حضرموت حتى مطلع الستينيات، أي مع مرور الزمن بدأ يتقلص لبسه حتى اختفى بالكامل، في حين كان (العقال) في دول الجوار زيهّم الرسمي حتى اليوم.

بالإضافة إلى ذلك احتوت طوابع السلطنة الكثيرية صوراً لأعلام، ومعالم تاريخية، ومدنًا، وغير ذلك، كمدينة سيئون، وتريم، والقصور، والحصون، والمآذن التريمية، وطابع يحمل اسم غيل عمر (يسمى بالغيل الأسفل) نسبةً للشيخ عمر بن محمد باوزير، وهو وادي عدم، وابنه الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير، مؤسس مدينة غيل باوزير، وضريح الشيخ عمر ما زال قائماً وبجواره غيل الماء الغزير الشهير في داخل حضرموت، وبجواره غابة من أشجار النخيل، وهي الموثقة في أحد طوابع السلطنة الكثيرية، وتاريخ إصدار هذا الطابع البريدي في غرة يوليو ١٩٦٤م.

لوحة رقم (٣):

١- تحمل صورة السلطان الكثيري جعفر بن منصور بن غالب وعلى رأسه العقال الحضرمي والغترة أو العمامة، وصورًا أخرى: سيئون وتريم وأهم معالمها التاريخية وبواباتها كسدَة تريم، ومآذنها أو مناراتها الشهيرة.



إصدار أكتوبر ١٩٤٢م

٢- سيئون



إصدار يونيو - وأكتوبر ١٩٤٦م

٣- معالم تاريخية من سيئون وتريم



إصدار أكتوبر ١٩٥١م

88
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

لوحة رقم (٤): السلطان حسين بن علي بن منصور بن غالب

١- معالم تاريخية من سيئون وتريم وغيرها من مناطق سلطة آل كثير



إصدار يناير ١٩٥٤م

٢- سيئون ومعالم تاريخية أخرى كغيل عمر



إصدار يوليو ١٩٦٤م

٣- السلطان حسين ومعالم تاريخية متنوعة



إصدار أبريل ١٩٦٦م

- الطوابع البريدية بعد الاستقلال (١٩٦٧م وما بعده):

- اللوحة رقم (٥)

طوابع ما بعد الاستقلال منذ عام ١٩٦٨م وما بعده، والتي تحمل موضوعات متنوعة عن محافظات جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وقد تضمنت بعض الطوابع موضوعات من حضرموت، ومنها: آثار من شبوة عاصمة مملكة حضرموت القديمة، ومدن، ومعالم معمارية، كمدينة شبام، وتريم ومنارتها الشهيرة (منارة المحضار)، بالإضافة إلى أنماط من الموروث الشعبي الحضرمي، كالحرف اليدوية الشعبية، وصناعة السفن، وأيضًا شملت الطوابع فن الغناء، والرقص الشعبي، وأدواته الموسيقية (كالقمبوس والسمسية والمزمار)، والطبول (كالهاجر المرواس). بالإضافة إلى أنواع من أسماك بحر العرب.

وختامًا: تُعد الطوابع البريدية مفخرة لكل شعوب العالم المتحضرة، بل هي رمزٌ لهُويَّتها، والذي يعبر عن ذاكرتها التاريخية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا لا شك فيه أنَّه ينطبق على طوابع حضرموت التي توثِّق لجزء عزيز من تاريخها وتراثها، والتي تعرضت للإهمال والطمس بعد عام ١٩٩٠م .. لذلك ومن خلال هذه المقالة المتواضعة نوصي أجيالنا الحاضرة والمستقبلية بالحفاظ على التراث الحضرمي بكل أنواعه، وحمايته من الاندثار، وتوثيقه؛ لأن طمسه يعني طمسًا لهُويَّة المواطن الحضرمي وتاريخه، وعلى سبيل المثال الطوابع البريدية الحضرمية، وما تحمله من دلالات منذ ثلاثينيات القرن العشرين وحتى العام ١٩٩٠م، فهي تحمل مواضيع كثيرة ومتنوعة، تبرز عادة تراث الأمة الحضرمية، وتاريخها، وتقاليدها، وبعض منجزاتها، كما تحيي ذكرى حكامها، ومعالم البلاد المدنية والعسكرية والدينية وغير ذلك، ومن ثم يمثل كل ذلك تراث شعب .. وصفوة القول إن طوابع حضرموت البريدية تمثل هُويَّة شعبٍ ووطن، يجب الحفاظ عليها، وتوثيقها؛ لتظل حاضرةً في ذاكرة الأجيال الحضرمية الحاضرة والمستقبلية.

89
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

لوحة رقم (٥):

١- أهم المدن التاريخية الحضرمية، شبام ضمن التراث العالمي - اليونسكو



٢- معالم تاريخية، شبام ومسجد المحضار ومناراتها الشهيرة



٢- من المدن التاريخية شبوة عاصمة حضرموت القديمة

- تماثيل وقطع أثرية



- مدن ومعالم تاريخية حضرمية قديمة (من آثار شبوة عاصمة حضرموت القديمة)



٣- صناعات حرفية يدوية

١- حرف شعبية منزلية



٢- الحلي والمجوهرات الفضية الحضرمية



٣- طبول وآلات موسيقية

- كالمراويس ، والمزمار ، والقنبوس والسمسمية



٤- أسماك بحر العرب

- أسماك بحر العرب (السواحل الممتدة من بير علي حتى المهرة)



- الشروخ



المراجع :

– محمد بن هاوي باوزير:

• مدينة العرفان ..غيل باوزير – حاضرة العلم والثقافة والتراث بحضرموت (١٣٠٦ – ١٩٦٧م)، دار جامعة عدن ٢٠١٠م.

• كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها ، دار الوفاق – عدن، ط١، ٢٠١٤م.

• أغطية الرأس في البلاد العربية ودلالاتها اليمن أنموذجًا.

بحث مقدم للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ألكسو ضمن مشروع اصدار كتاب عن أغطية الرأس في الوطن العربي.

– عارف عبدالله صالح:

• طوابع الجنوب البريدية ، تنفيذ وطباعة المجلس الانتقالي الجنوبي، عدن ٢٠٢١م .

– السيد عبدالرحمن بن عبيد اللاه :

• إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ط١، دار المنهاج، بيروت ٢٠٠٥م .

– سعيد عوض باوزير :

• معالم تاريخ الجزيرة العربية، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء .

90
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

التناقل البحثي في مجال الأبحاث

(١ - ٢)





م. محمد سالم مصيباح*

الملخص:

تتلخص مهمة الأبحاث العلمية في تقديم معلومات حقيقية أو أقرب إلى الحقيقية بالبحث والاستقصاء ومحاولة التشخيص الدقيق للوصول إلى النتائج، وهي أهم اللحظات والمنعطفات التي يمكن أن تدوِّن لتاريخ أي معلومة، وأن أي انحراف أو زيف أو عاطفة تضاف في هذه المرحلة تصبح حقيقية يصعب سحبها أو إقناع الأجيال القادمة بعدم صحتها، وتصبح هذه المعلومة مثل كرة الثلج تكبر وتكبر في مضمار التناقل البحثي مع تقادم الزمن وتصبح حقيقية لا يمكن الشك فيها وإن تبينَّ خطؤها، وتأتي مهمة المراكز البحثية لتقوم بدور المصحح للأخطاء التي قد تقع فيها بعض الأبحاث قبل نشرها خصوصًا في الحقائق العلمية، مثل: الإحداثيات، وخرائط المدن، والأبعاد والأطوال، والكميات والمقاييس والأوزان، ولا تخلو غالب المراجع المحلية من الأخطاء التي يعاد تكرارها وتناقلها بحجة أنها معتمدة على مصادر سابقة، والواقع أن هذه المراجع صدرت قديماً في وقتها ولم تراجع بوسائل عصرية فيأتي الباحثون المتأخرون مقلِّدين غيرَهم ينقلون خطأً من مرجع ما، متَّخذين قداسة قدم المرجع السابق مصدراً للمعلومة، وقد اعتمد غالب الكُتَّاب على اجتهادات قديمة، غالبها لم يتم التحقق من صحتها، وظهرت اليوم وسائل حديثة أظهرت عدم دقة بعض الأبحاث.

يرمي هذا البحث إلى توضيح تجاهل تصحيح التناقضات البحثية المتناقلة عن الأبحاث، التي يمكن قياسها، أو تلك المنقولة بالتواتر من الأحداث، أو الروايات التاريخية المتداولة التي تبين خطأ بعضها، كما يرمي هذا البحث إلى الإشارة إلى موانع رفض التصحيح من قبل بعض الباحثين بعدم الاعتراف بوجود خطأ فيها معلِّلين بأن الأقدمين يكونون أقرب إلى الحقيقة! وأن الخوض في بعض القضايا وخصوصًا الأقرب إلى الجوانب الدينية تسبب حرجًا. وتوصل الباحث في ختام بحثه إلى نتيجتين، الأولى عامة، تمثلت في أن غالب مراجعنا بحاجة إلى تدقيق؛ فإنَّ بعضها يحتوي على معلومات غير صحيحة وغير دقيقة، يجب أن تُصحح ومن الممكن وضع بعضها في محل النقد، والنتيجة الثانية، تمثلت في أن المشكل الأساسي لعدم قبول التصحيح أو النقد هي مشكلة في التركيبة الفكرية الثقافية، وقصورٌ معرفيٌّ، من الممكن أن يزول بعد النضوج الفكري.

91
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

المقدمة:

العمل في مجال الأبحاث يعد أمانة بدرجة أولى قبل أن يصبح إنتاج الباحث قاربًا لنقل المعلومات عبره، ويختلف مستوى جودة الأبحاث بحسب ما تحويه من دقة وحرص، ويمكن عدُّ هذه المرحلة خطوة مهمة إلى توجيه مسار المعلومة، ومن ثم فحص التوجه الفكري للمجتمعات في محصلتها النهائية، وهي عملية مضنية، تتطلب المزيد من الجهد للتحقق منها.

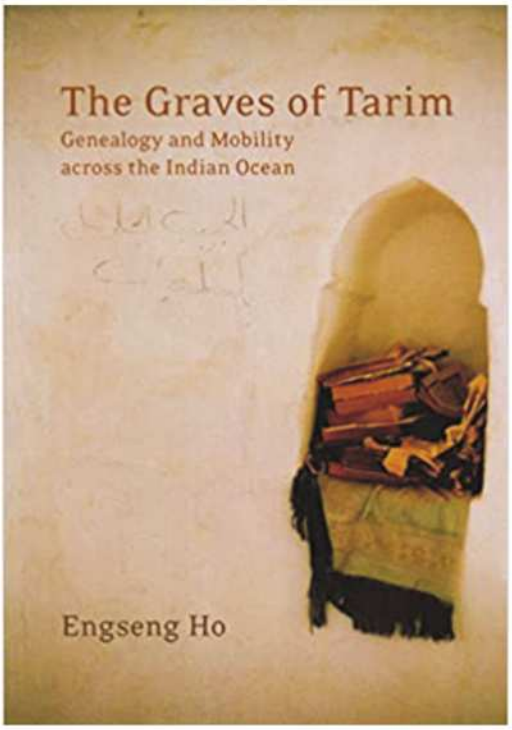
يحاول هذا البحث توضيح أهمية فحص المراجع والأبحاث الناقلة والمتناقلة، وتدارك ما فيها من محتوى، والتحقق منها قبل أن يتسبب بقاؤها إلى مزيد من التعقيد أو الرفض، وقد اتبع الباحث في بحثه هذا توضيح ما يجب أن يكون، وتعد هذه مساهمة وخطوة محسوبة على الباحث؛ لكونه يركب قارب المغامرة في هذا المسار مع علمه من أن بحثه هذا محفوف بالمخاطر؛ لأنه سيبدأ رحلة المغامرة بوضع شيءٍ من الجانب النقدي على بعض المراجع، ويدعو إلى التحقق من بعض المعلومات التي وردت في هذه المراجع، وإبراز مستوى الخطأ أو تلك التي لم تعد صالحة لزمانها، وبخاصة في القضايا المقدسة التي تتصل بالوقائع الظرفية الزمانية أو المكانية أو الحقائق العلمية؛ لإيمانه بأنه أصبح ممكننًا التحقق منها وتصحيحها، وغالبها صار متاحًا للتأكد منها بفضل التقدم التقني، متخذًا من الأدوات العصرية وأجهزة القياس ومنهجي النقد والمقارنة أدوات لتوضيح ما يرمي إليه، فهو يرى من خلال هذا البحث أنه من الممكن مواجهة صورةً من مستوى الحالة الغسقية، التي تواجه الباحثين إزاء عدم الاعتراف بوجود القصور في معلومات المراجع أو محاولة تضليل الحقيقة، التي بقي غالبها سلوكًا يتم التعامل به لدى كثير من الباحثين وحتى المتعلمين منهم. ويتحرك الباحث في مناخ أكثر دقة في أهمية التحقق من التناقل البحثي، وسيصطدم قليلاً ببعض القضايا شديدة التعقيد والحساسية، ملقيًا تجربة إسهامات الفضاء الإلكتروني الذي أظهر للباحثين الكثير من الحقائق غير الدقيقة، ويصل الباحث

> ”أكثر الباحثين ليس لديه الوقت الكافي للتحقق من التناقضات البحثية الموجودة في الأبحاث، وحتى التاريخية سواءً كانت الزمانية أو المكانية، أو حتى تلك التي بها كميات يمكن قياسها ويتم للأسف تناقلها كما هي، وحتى في الأبحاث العلمية أحيانًا يتم غض النظر عنها، ويُترك الباحث يكافح ويجتهد في سبيل إيجاد العدد الكبير من المعلومات والتأويلات والمتناقضات في الآراء، لكنه لا يؤمن بها كليًا، وقد يبدي بعض التحفظ عليها“

إلى أن الباحثين يكونون ساذجين أحيانًا لدرجة نقل معلومات نقلاً كسولاً لنصوص الآخرين دون التحقق منها، فهذه السذاجة لم تعد تُغتفَرُ اليوم، بعد أن يعلم الجميع أن العلم صار قادرًا على كشفها شئنا أم أبينا، ويكشف من قريب أننا بدون تفحص لهذه المراجع نكون متورطين فيها، ولذا كان من الواجب الدعوة إلى تصحيح هذه المفاهيم وما بداخل المراجع من معلومات بوضوح، وأن نؤسس فينا الشجاعة للاعتراف بخطئها الذي تم نتيجة لقصور الأدوات التي استخدمها الجيل الماضي، ومحاولة تصحيح الخطأ إن وُجِد، وذلك ليس عيبًا في إصلاح ما تبينّ، لكن العيب يكمن في بناء أسوار عالية تمنع من الوصول إلى هذه المعلومات ومحاولة نقدها.

لقد كانت هذه العبارات إشارات نصية وقناعة يستطيع أي باحث التوصل إليها اليوم بفضل الوسائل الحديثة في مجال الأبحاث العلمية، فقد أمكن اليوم جمع المعلومات من أكثر من

مصدر، وإجراء عملية المقارنة السريعة عليها، والوصول إلى كمٍ من التناقضات الواضحة التي تجعل من الباحث في حيرةٍ من أمره إما أن يُسلم بما جاء في هذه المراجع ويكون ضالعًا في استمرار الخطأ، أو يضعها في قالب النقد والشك فيها ليجانب الصواب أو يتحقق من صحتها بنفسه. نحن إذا قلنا إنها لا توجد لدى حضرموت مراكز بحثية يمكن الاعتماد عليها، وكون معظم الأبحاث التي تُدفع إلى المكتبات هي أبحاث غير محقَّقة، أو بمعنى أدق (غير مفلترة) أو منتقاه من شوائب الزيف والعاطفة الإنسانية، ولم تخضع لمركز بحثي واحد في الأقل يسمح لها ويمنحها تأشيرة العبور، فهناك كمٌ هائل من المتناقضات في بعض المراجع نفسها تصطدم لا محالة بعقول الباحثين، ومع ذلك فإنَّا لا نجد هناك دهشة يمكن أن تُسمع من خلال قرَّائنا بسبب التبعية والاستسلام الفكري الثقافي أو الخوف من انتهاك حرمة المراجع التقليدية أو تجاوزها، نضيف إلى ذلك أيضًا أن طبيعة الفكر المحلي في معظمة غير عميق، ويحيط نفسه بهالة من القداسة حينما يؤرشف نصًّا والمعلومة لمرجع سابق، هذه الطريقة كانت المصدر الأساسي المتبع حتى في الأبحاث الأجنبية التي ننقل عنها، والتي تكتب عن حضرموت ولا نشعر بها؛ لكونه لا يتوافر لنا معرفة باللغات الأجنبية، ونذكر على سبيل المثال لتقريب الفهم ما جاء بالنص في كتاب (The Graves of Tarrim)[1] فنجد أن الباحث يذكر [أن مساجد تريم ٣٦٠ مسجداً]، وهذا الكتاب صدر عام ١٩٥٩م، وكان المؤلف ناقل المعلومة من مرجع محلي معروف، وهي معلومة غير دقيقة، انتشرت بصورة سريعة، وسبحت في مراجع كثيرة، والتصقت للأسف حتى في وسائل إعلامنا، ولا يحق أن نجرِّم المؤلف هنا، فنحن الذين وفَّرنا له هذه المعلومة ولم نعلن عن خطئها، وفي مثال آخر نجد تناقضات المراجع في تحديد إحداثيات مدن وادي حضرموت، كتريم، وشبام، وغيرها، أو طول وادي حضرموت، أو معلومات عن المحافظة، مثل مساحتها وغير ذلك، وقد يجيب البعض بأنها صدرت



مؤخَّرًا معلومات عن المركز الوطني للمعلومات[2] هي الأدق، وحتى هذه إذا أُدخلت مختبرات الفحص يظهر فيها بعض المتناقضات وعدم الصحة، ويتم الاعتماد عليها، وهي غير مراجعة في حقيقة أمرها، كما لا يخلو تاريخ حضرموت من الكثير من المتناقضات والمرويات والعجائب التي أضيفت إلى الأحداث التاريخية لتكسبها معنى عاطفيًا وبعضها غير صحيحة، ومن المؤسف أنها تتكرر بخطئها، وكان ذكرها في أكثر من مرجع هو قالب الحماية لها، وأقدام رسخت من مصداقيتها مع خلال التناقل.

المناقشة:

التغذية الإرجاعية تمنع قبول فكرة التصحيح هذا وبخاصة في المراجع الأقرب إلى القضايا الدينية لكن ليس هذا كل ما في الأمر، فالباحث المحلي عندما يبحث قضية ما تخص واقعه المحلي فإنه يتجه في مساره إلى ذهن فكره بعدم نقد أدنى معلومة تصل إليه؛ وذلك بسبب أن هناك دوافع تجعله يخلق أسواراً على الكثير من القضايا، وقد يُوصى من قبل أساتذته بعدم النقاش فيها، في الوقت الذي توصي فيه المدرسة النقدية بطريقة العناد بمناقشة المادة المبحوثة أو التي وصلت جاهزة

ومناقشتها مناقشة صريحة، والتوقف عند كل المحطات التي زودت هذه المعلومة والتحقق منها، وهذه العملية لا تتم في السابق وذلك لسبب واحد فقط هو أن عملية تواصل الباحثين كان أبعد، وصارت أقرب اليوم عن ذي قبل، فكان كاتب التاريخ أو من يكتب معلومة لا يتم التحقق منها إلا بعد سنوات أو أكثر، هذا إذا انتشر كتابه وحالفه حظ الطباعة، لذلك فالمسافة الزمانية أصبحت أقصر، والبعد المكاني صار أقرب، ولذلك فالتواصل التكنولوجي جعل من الممكن فحص المراجع كلمة كلمة، كما صار من الممكن التحقق من نسبة الانتحال الأدبي الذي قد يتم في الأبحاث، وهذا ما يتطلب من الباحث التحقق من الأبحاث بدقة أكبر، وأكون بهذا المنطق مقتنعًا بأن أكثر الباحثين ليس لديه الوقت الكافي للتحقق من التناقضات البحثية الموجودة في الأبحاث، وحتى التاريخية سواءً كانت الزمانية أو المكانية، أو حتى تلك التي بها كميات يمكن قياسها ويتم للأسف تناقلها كما هي، وحتى في الأبحاث العلمية أحيانًا يتم غض النظر عنها، ويُترك الباحث يكافح ويجتهد في سبيل إيجاد العدد الكبير من المعلومات والتأويلات والمتناقضات في الآراء، لكنه لا يؤمن بها كليًا، وقد يبدي بعض التحفظ عليها، وهو ما لا يريد توضحيه صراحة لخوفه من عقدة تبعية التربية، التي تربى عليها في المدارس، والتي أوجدت جيلاً يتبع مقولة (حمّلها المصدر السابق)، ويرجح أكثر ما اتفقت عليه المراجع دون التفحص الدقيق لها؛ لكونه يعدُّها مسلمّات يجب أن تكتب هكذا، وهذا التناقل في غالبه حشد للآراء السطحية.

إن المهمة لدينا ليست نقد المراجع المتوافرة التي تلقي بظلها كاملاً على الأبحاث المبكرة لمواجهة التجديد، ولكن المهمة هو أن لا يعيش الباحث في بيئة مرتهنة قطعيًا بمعلومات تبين أن بها من الخطأ ما يتوجب تصحيحه، فالذين مضوا كانوا لا يمتلكون الأدوات اللازمة، فكان وقوع الخطأ أمرًا طبيعيًا، وغير مستنكر ويسهل تقبله في غالب المجالات، لكنه يصبح مستحيلاً ومستغربًا في القضايا الدينية التي تراها الأجيال الحالية غير ممكنة؛ لأن

"إن المهمة لدينا ليست نقد المراجع المتوافرة التي تلقي بظلها كاملًا على الأبحاث المبكرة لمواجهة التجديد، ولكن المهمة هو أن لا يعيش الباحث في بيئة مرتهنة قطعيًا بمعلومات تبين أن بها من الخطأ ما يتوجب تصحيحه"

هذا يدعو إلى الاقتراب من مراجع الصناديق المغلقة، التي وُضعت فيها، وبخاصة تلك التي تتعلق بقضايا التنقلات في المرويات التاريخية الدينية المنقولة عن التراث الإسلامي، والتي لا يجب التفكير في الاقتراب منها أو فتحها، ويجد هذا الجيل نفسه في موقع متقدِّم للإصغاء فقط لما جاء في هذه الصناديق يستقبل الرسائل المشفرة عنها وينقلها، دون أن يكون لهم دورٌ في معرفة كيف وصلت؟ ولماذا قيلت بهذا الشكل؟ ولماذا أُغلقت هذه المراجع في صناديق أصلاً؟ وقد تسبب هذه النظرة مشكلاً فكريًا لدى الكثير من الباحثين، يؤدي إلى خفض المصداقية، ويقلل من درجة الوثوقية، التي تدعو إلى نقد المراجع، وهي رؤية يجب أن تكون، والتي يتخوَّف منها الكثيرون.

ولكي يوجز الباحث ما قصده فيما ذكره آنفًا يوضح عددًا من الأمثلة من واقعنا، تدلل على ذلك، وكان حرصه على وجود هذه الأمثلة أن تكون من بيئة الدراسة، وستضرب أمثلة على الظرفية المكانية والظرفية الزمانية، فعلى سبيل المثال على الظرفية المكانية نجده في عدم تحديد اتجاه قبلة المساجد بصورة دقيقة؛ حيث كانت هناك مساجد موجهة في اتجاه منحرف قليلاً بعض الشيء عن الاتجاه الدقيق، وبقيت هذه المعلومات غير معروف عنها إلى أن أمكن اليوم التحقق من التحديد بصورة أدق بوساطة أجهزة حديثة[٣]، وعن الظرفية الزمانية يمكننا ملاحظة اختلاف مواقيت الصلوات[٤]، التي كانت تنقل كما هي وبها بعض الخطأ

دون المساس بها، وعن الأمثلة في القضايا التاريخية، فهي كثيرة نذكر أبرزها في محطات مختلفة، ونجد النقولات غير الدقيقة تتكرر في رحلة المغربي إلى حضرموت في القرن السابع الهجري، وكيف شعر هذا المغربي بوجود الفقيه المقدم في تريم حضرموت!! وأين تُوفِّي عباد بن بشر الأنصاري، الذي أصبح له موقعٌ مزعومٌ اكتشف بوساطة الكشف الرباني[٥]، دون التحقق منه، ولماذا تم اكتشاف قبر هود في القرن السابع الهجري!!؟ ولماذا لم يتم الفصل في تحديد موقع حصن النجير[٦]؟ أهم معلم في التاريخ الإسلامي لحضرموت، هذه نماذج من الأمثلة التي يتم تكرارها في المراجع دون نقدها أو التحقق من صحتها، ومع ذلك يتم تناقلها، وإذا تبين خطأ أو شيء من التشكيك فيها يقال إن هناك محاولة لزعزعة ما كان عليه الجيل السابق، وهذا يفسر بأنه اقتراب من القضايا المغلقة التي قد تؤدي أية إشارة إليها إلى تأجيج الفتن، وعندها يتم غلق البحث بالقول (يجب تجنب هذا لأنه يخلق فتنة)، هذا الفهم القصير هو بذاته نكوصٌ بحثي يمضي دون أن يلقى قبولاً أو تفهماً لرأي الباحث المتفحص؛ لكون الغطاء الخارجي للتربية الذهنية قد حصن هذا الجيل، وألقى في ذهنه عدم المساس بهذه الصناديق؛ لكونها لها درجات من القداسة، وانطلاقًا من النظرة الراجعة يدخل هذا الكلام في تضاد بين نقد النقل وبين تقبل المنقول كما هو، وتظل مشكلات حياتنا نفسها تكرار نفس المفاهيم دون أن تلامس الواقع المعاصر، بمعنى أننا إذا أخذنا بعض الأحداث التاريخية الأخرى التي تتبع بعض الباحثين الذين يحاولون البحث الحيادي غيرَهم فيها نجد أبحاثًا بها من التكرار لما قيل سابقًا، فضلاً عن أن بها من الخطأ المحمول عليها، والذي تنفيه بعض الأبحاث الأخرى.

أقول هذا الكلام ولا أريد أن أنفي قطعًا جدلية التاريخ بأن كل شيء يحتمل الرأي الآخر، ولكني أريد أن أُبصرَ الباحث المحلي أنه ليس الوحيد في العالم الذي يبحث عن تاريخ حضرموت مثلاً، وتاريخ حضرموت ليس منقًى من الزيف والمغالطات والإضافات المقصودة وغير المقصودة، وليس هذا التاريخ

"تظل مشكلات حياتنا نفسها تكرار نفس المفاهيم دون أن تلامس الواقع المعاصر، بمعنى أننا إذا أخذنا بعض الأحداث التاريخية الأخرى التي تتبع بعض الباحثين الذين يحاولون البحث الحيادي غيرَهم فيها نجد أبحاثًا بها من التكرار لما قيل سابقًا، فضلًا عن أن بها من الخطأ المحمول عليها، والذي تنفيه بعض الأبحاث الأخرى"

الوحيد الذي يضع رأيًا أو حد يستطيع أن يلتف حوله الجميع، في الوقت نفسه يستقيم المعنى لو قلنا أيضًا إن تاريخ التراث الإسلامي المنقول إلينا بعضه يحتاج إلى مراجعة.

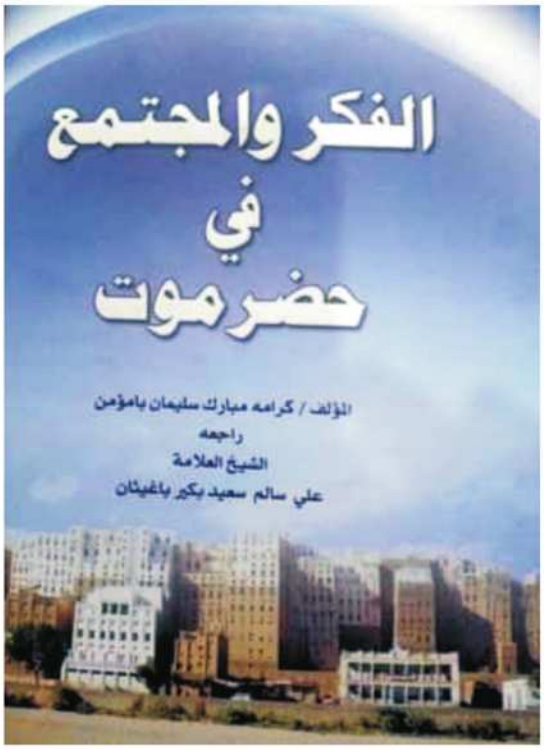
ومع ذلك فإن اللافت للنظر والمشاهد أن غالب الباحثين وحتى حملة الشهادات العليا للأسف ولا أقول قاصري الفهم، ولكنهم جبلوا على خاصية النقل الحرفي، وبخاصة من المراجع التي تقع تحت أقدامهم باللغة الأم لا يتجاوزن لغة أخرى إلا القليل منهم، وهي عادة الباحث المحلي، وحتى في الجامعات مراكز التبصير العليا في المجتمع، وهذا خطأ كبير نؤسس عليه جيلنا الجديد، ونمنعه من الاطلاع على ما كُتب عماً نبحث عنه، وحتى المراجع الأجنبية، التي يكون حظ الباحثين فيها قليلاً جدًا إن لم نقل إنه معدوم وهو الخطأ الذي نتغافل عنه تمامًا ونتغافل عن حضوره خصوصًا في الأبحاث التاريخية التي قد لا يميل إليها غالب الباحثين لسوء العاطفة الدينية النافرة، التي تربَّى عليها الباحث من الخوف مما جاء به علم الاستشراق مثلاً، التي قد نجد فيها من المتناقضات ما تختلف عماً هو لدينا من مراجع بين أيدينا، وبهذا نصل إلى أبحاث يشوبها عدم الشمولية الكاملة، أو مصبوغة بصبغة كاتبها، ولا يكون الباحث

95
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

حياديًّا في غالب آرائه، وإنما نراه عاطفيًا لقوميَّته أو معتقده.

وهذا الأمر يدعو إلى أن نفسر ذلك بالانجذاب العاطفي للباحث، الذي يستخدم كلمات اعتياديه نقلية، يتفنن في وضعها في الحواشي بحرص، وبشيء من القداسة للأمانة العلمية التي يتفحصها بعمق مشرف الدراسات العليا، ويضعها في أولياته حين يناقش أطروحة الباحث خوفًا من الخروج عن مفاهيم المراسيم الجامعية والتمسك بالقيم الأكاديمية، وهذه بذاتها إشكاليات ووسائل لا تفيد طالما أن المادة نفسها غير مختبرة أصلاً، وتظل هذه الأبحاث تعبيراً نصيًا عما في هذه المراجع، ولا تكون سوى أوعية ناقلة لا تضمن أي محتوى لإضافه الباحث سوى المعنى المنقول الذي يعبر عما قيل سابقًا عن هذه المراجع. ومن ثم فالباحث لا يقدم أية معلومة مثمرة، وإنما يقدم معلومة مكرَّرة أو منقولة، أو يقوم بمعنى أصح بجرد المؤلفات التي تتحدث عن الموضوع المعني وإحصائها والتعبير عنها بعبارات ومعلومات وبأسلوب آخر والمعنى هو نفسه، تغيرت عليها تواريخ الصنع وكأنها بضاعة قديمة خرجت في ثوب آخر، والجديد فيها هو تاريخ الطباعة الجديد فقط، دون النظر إلى أن هناك منتفضات محمولة على هذا البحث، ينقلها الباحث الحالي للباحث القادم والذي حتماً سيأتي جيل من بعده سيكتشف أن بها أخطاء تم تناقلها.

وبطبيعة الحال فإن بحثنا هنا ليس مصادمًا لما جاء في هذه الأبحاث، وإنما يريد من الباحث أن يتحقق أكثر من مستوى النقل، الذي يحشره في بحثه، ومدى تعمق الباحث في أن يخترق ما بداخل هذه المراجع من معلومات على الرغم من أنه يمكن التعبير عن ذلك بطريقة الفتح لهذه المراجع والنقد لها للتأكد منها، لكن الممارسة الفكرية المحلية تمنع من مجرد الاقتراب من هذه المراجع، بل تضعها في صناديق مغلقة، ومَنْ يحاول الاقتراب منها يعرِّض نفسه للخطر، وقد يسحب كتابه، ويُعنَّف في الأوساط الفكرية، مثلما حدث لكتاب الفكر والمجتمع الذي عرض بعضًا من المسلمات في حضرموت للمفكر كرامة مبارك



بامؤمن حينما أصدر في مطلع ١٩٩٨م في طبعة واحدة اختفت من الأسواق.

إن ممارسة النقد الحر على النقولات في المراجع في حضرموت محاولة خطرة، قد تعرِّض صاحبها للخطر في واقعنا هذا إذا كان صاحبها صاحب فكرٍ حرٍ، فما بالك إذا كان طالب دراسات عليا أراد أن يبدي رأيًا أو يتقرب من هذه المراجع التي في الصناديق، ويحاول التفكير فيها، فهذا يُعنَّف ويفقد الدرجة، ويطالب بتغيير موضوع البحث، إذا ما تم التجهم في وجهه أو طرده.

---

* ماجستير عمارة وتخطيط جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

الهوامش :

١) (قبور تريم وعلم الأنساب والتنقل عبر المحيط الهندي) كتاب باللغة الانجليزية.

٢) المركز الوطني للمعلومات جهاز حكومي في اليمن يتبع رئاسة الجمهورية انشئ ١٩٩٥م بقرار رقم (١٥٥).

٣) اسم برنامج لتحديد اتجاه القبلة للصلوات (Qibla Direction & Prayers).

٤) جدول مواقيت الصلاة للجعيدي وآخرين.

٥) كتاب بامؤمن، الفكر والمجتمع ص ٢٥٣، ٢٨٦، ط١.

٦) حصن النجير كتاب أدوار التاريخ الحضرمي ص٩٣، ط٢.

96
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

السوارح عند الأحموم والقبائل المجاورة

سارحة عمرو بن ذي جدن أنموذجًا (٢ - ٢)





طاهر ناصر المشطي

أهمية وخصائص السوارح:

١. تعد بمثابة الدستور أو النظام الذي ينظم المجتمع القبلي لقبائل التحالف الحمومي وبعض القبائل المجاورة لهم.

٢. إنها شاملة، تشمل شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية الاجتماعية من عادات وتقاليد، كالضيافة، والزواج، والولادة، والختان، والوفاة، والقضايا الجنائية من قتل وسرقة واعتداء، وعلاقات بين القبائل، والثأر، وعائدات، وأحكام للمرأة والطفل والفتاة والشباب، والبيع والشراء...إلخ.

٣. إنها متجددة، لا تقتصر على الأحكام والأعراف التي سنها الجد الأعلى للأحموم عمرو بن ذي جدن، بل مجال الاجتهاد مفتوح للزعماء القبليين المحكَّمين (الحكمان) وزعماء القبائل من آل عمرو وحلفائهم بإصدار أحكام جديدة، وإذا اقْتُدِيَ بهذه الأحكام وسار عليها مقادمة آخرون فقد سرُحت، وأصبحت من ضمن سارحة عمرو.

٤. قدرتها على الاستمرار لفترات زمنية طويلة خلال جميع الدول التي تعاقبت على حضرموت منذ زمن الممالك القديمة إلى الدول الحديثة المعاصرة؛ إذ لازالت تؤدي دوراً أساسيًا في حياة المجتمع كما كانت في الماضي، ولكنْ بطريق مختلفة نتيجة لتغير الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشها ويعيشها المجتمع الحضرمي. إن هذا الاستمرار ليس

إلا نتيجة طبيعية تبينِّ مدى ارتباط البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للقبيلة بشبكة من العلاقات والعوامل الفاعلة، أهمها: العوامل القرابية، والرابطة الدينية، وطبيعة الحياة الاجتماعية، والبنية الاقتصادية والثقافية والسياسية، كل هذه العوامل مجتمعة بيَّنتْ مدى ترسُّخ العادات والتقاليد والأعراف القبلية وقوة تماسكها، وساعدت على حفظ كيانها وتنظيم حياتها وشؤونها وعلاقاتها[٤٦].

٥. تعزيز كثير من القِيَم الأخلاقية النبيلة في المجتمع في السلم والحرب، ففي السلم كاحترام الكبير، وإكرام الضيف، ونصرة المظلوم، إغاثة الملهوف، الشجاعة، الكرم، التضحية، الوفاء بالعهد، والصبر؛ وأما في الحرب فبعدم قتل الشيبة والصبي والمرأة، ومُنكِّس بندقيته (المستسلم) ... وغيرها.

٦. المرونة ومراعاة الخصوصية: المعروف أن التحالف الحمومي (الزي) يتكون من قبائل عدَّة، والتي لبعضها خصوصياتها، فسارحة عمرو تراعي هذه الخصوصية كما في حالة تنصيب مقادمة قبائل الزي، فلكل قبيلة طريقتها الخاصة بها في تتويج زعيمها[٤٧].

٧. تعتمد على مبدأ الشورى، فليس هناك سلطة مطلقة لمقادمة القبائل، وإذا أخطأ المقدَّم تردُّه الشدائد[٤٨] إلى الحق حسب السوارح[٤٩]. وإذا أخطأ الحاكم أو لم يقتنع المحكوم عليه بالحكم يمكنه طلب الاستئناف (الزوف) عند مقدم آخر.

٨. أحكامها إنسانية بشكل عام، فهي قد رعتْ حقوق جميع أفراد المجتمع القبلي، واهتمت بالمرأة فقد أعطتها السارحة موقعًا مرموقًا في مجتمع القبيلة، ومركزًا قويًّا في الأسرة، فألزمت الأعراف أفراد القبيلة حمايتها واحترامها، سواءً كانت أمًّا أو زوجة أو بنتًا، كما اهتمت برعاية بالطفل حتى ينمو فردًا نافعًا مخلصًا لقبيلته، كما اهتمت بالشباب، وللشيوخ مكانتهم الخاصة. بل اهتمت حتى بحقوق الحيوان.

٩. مرونتها وقابليتها للتطور، فالكثير من السوارح المخالفة للشرع قد تلاشتْ لدرجة أن كثيرًا من المقادمة لا يحكمون بها، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر المقدم عمرو بن ساد بن عمرو الغرابي -رحمه الله تعالى-، وكثير من المحكمين اليوم من الأحموم بهذه السوارح لديهم محامون وقضاة يستشيرونهم قبل إصدار أحكامهم النهائية، وأبرزهم المقدم سالمين فرج بن مجنح بن العليي؛ وهذه المرونة الكبيرة ساعدتْ على الاستمرار بتحكيم هذه السوارح من عهود قديمة جدًا من زمن الجاهلية إلى يومنا هذا، ليس من قبائل الأحموم فحسب بل الكثير من القبائل والتحالفات القبلية ترتضي بالتحكيم لهذه السوارح.

١٠. الرجوع إليها واعتمادها كمرجع للحكم عند كثير من القبائل الأخرى غير الأحموم، كثعين، وسيبان، وقبائل المهرة، وغيرها.

١١. سهولة الاتصال بين الحاكم (الزعيم القبلي/ المقدّم) والمحكوم (رجل القبيلة) في حالات التقاضي.

نموذج معاصر للتحكيم بسوارح الأحموم:

الزمان: صباح يوم السبت ١٨ سبتمبر ٢٠٢١م؛
الساعة ٠٩:٣٠

المكان: عيص خرد بمديرية الشحر بمحافظة حضرموت.

القضية: جنائية في مقتل الشيخ أحمد سالمين بن سالم بن صياد السيفي، بين قبيلتي السيفيين والدحيميين.

القاضي الحكم: الشيخ سالمين بن فرج بن مجنح العليي.

إجراءات المحاكمة: الاطلاع على حيثيات القضية وتفاصيلها والاستماع، وقراءة دعوة الطرف المدعي وجواب المدعى عليه وما تبعه من نقد وتعقيب من كلا الطرفين، وكذا تسلُّم العدايل والوثور[٥٠] والضمانات الكافية لتنفيذ الحكم من الطرفين. وفق الأعراف.

منطوق الحكم:

١. نظرًا لعدم الإثبات الصحيح والأدلة القاطعة لدى المدَّعين السيفيين، في قضية مقتل الشيخ الشاعر أحمد بن بله، يلزم المُدَّعى عليهم الدحيميين، يمين حاتمة لعدد ٥٠ حالفًا، كُلٌّ يحلف عن نفسه من الذين تنطبق عليهم اليمين، بالغي الرشد، ويكون مضمون لفظ اليمين بعدم قتل الشيخ السيفي أو العلم بالقاتل.



٢. إن قبيلة الدحيمي إذا بلغوا اليمين، يعدون بريئين من دم الشيخ السيفي وقتله، وفي حالة عجزهم عن تبليغ الأيمان حسب عددها ونصها ولفظها، يعد دم المقتول السيفي عند الدحيميين، وعليه يلزمهم المقدم سالمين بن فرج العليي دية شرعية، وهي مائه ناقة أو ما يعادل ثمنها، تُسلَّم إلى أولياء دم القتيل.

إجراءات التنفيذ: قدم السيفيون، كشفًا بأسماء المتهمين والمشتبه بهم من الدحيميين، في القضية، على أن يستقبل اليمين عشرة أفراد من السيفيين، منهم أولياء دم المقتول.

تصليب الحكم وتنفيذه: قَبِلَ أطراف القضية الحكم، وجرى التوقيع عليه من كلا الطرفين، على أن يلتزموا بتنفيذه حسب ما حدَّده وفصله، ويعد هذا الحكم آخر المراحل لإنهاء ملف هذه القضية وإغلاقها.

تصنيف السوارح:

يحكم علاقات قبائل الأحموم عرف عام، يبحث في تنظيم إدارة القبيلة واختيار أعضاء مجلس القبيلة ومهامِّه وصلاحياته، كما يبحث في القضاء والعقوبات للأحوال الشخصية والمدنية وفي الخلافات بين فصائل التجمع القبلي، وتنظيم حالات الزواج والطلاق، ورعاية الأبناء غير الشرعيين، وغيرها من الحالات[٥١] وتسمى (سوارح)؛ وهي كثيرة جدًا ولا يمكن حصرها جميعًا في هذه الورقة البحثية، لكنَّنا يمكن أن نصنِّفها إلى أربع مجموعات كبيرة، ونذكر بعضًا منها، في النحو الآتي:

أولًا: سوارح نظام الحكم:

هذه السوارح خاصة بنظام الحكم، وكيفيته في بيت السيادة من القبيلة، واختيار أعضاء مجلس القبيلة ومهامه وصلاحيته.. وينظم الكيفية التي يتم بها ترشيح المرشح الجديد للرئاسة.. ودعوة أفراد القبيلة للتزكية وحقهم بالرفض وعلاقتهم بالزعيم الجديد[٥٢]. ويعد بيت علي الزعيمة لآل عمرو[٥٣]، ويجري اختيار مقدم قبيلة الأحموم (الشيخ) من قبيلة بيت علي.

أما اختيار مقادمة قبائل الزي فيكون ذلك حسب القواعد الخاصة بكل قبيلة وتركيبها، على أن يكون تنصيب المقدم من جميع ديار القبيلة حسب الأعراف الخاصة بكل قبيلة[٥٤]. فبعض القبائل يتم اختيار المقدم من دار التقدمة، وبعضها دار التقدمة يُعينَّ واحدٌ منهم ليكون مقدَّمًا للقبيلة، وتتم الموافقة عليه من بقية الديار، ومثل هذه الحالة عند بيت غراب، وبعض القبائل يتوافق عُقَّالها من جميع ديار القبيلة على تنصيب فلان، ولا يكون خيارًا لبيت التقدمة، وهذا الحال في بيت شنين وبيت علي، أما قبيلة العجيلي فليس بها دار خاص للتقدمة فيتم اختيار المقدم من أي دار من ديار القبيلة شريطة أن تتوافر فيه الشروط المناسبة[٥٥].

ثانيًا: سوارح القضايا الجنائية: منها:

١) السوارح في القتل:

تختلف السوارح في القتل باختلاف الحالات إلى سوارح عدَّة، منها:

أ. قتل قافز الزريبة:

وهو قتل الجار الذي يقفز إلى دار جاره ليزني بحليلة جاره، إذا ضُبِط متلبِّسًا بجريمة الزنا، وقام الزوج بقتله، فيعدُّ دم هذا الزاني مهدورًا، ويُسمَّى عند البادية بـ(دم حنش)، ولا قصاص على القاتل، إلا إذا ثبت البحث بخلاف ذلك[٥٦].

المقدم عمرو بن ساد الغرابي في صف بيت غراب



ب. القتل في صلح أو حلف:

من قتل في صلح أو حلف يعدُّ معيبًا، وهذا العيب يقتضي عقوبة مغلظة[٥٧]. ويسمى هذا القتل (سواد وجه)، وتبييض الوجه يُقتل أحد أفراد رجال الدار القاتل قبل الصلح بينهم، ويسمى هذا القتل (نقاء)، والمقتول لا زال دمه باقيًا[٥٨]، ولا يُمَد الصلح إلا بالنقاء، فكُلُّ مَنْ قتل يُعطَى له كفلٌ من ١٦٨ يومًا، إما أن يتم النقاء خلال هذه المدة، ويُمد الصلح، وفي حالة عدم النقاء لا يُمد الصلح ويستمر القتل. وهنا تظهر الحكمة من سارحة النقاء في صون دماء القبيلتين اللتين بينهما الثأر، وهو تحقيق للقاعدة الفقهية ارتكاب أهون الضررين.

ج. القتل بين صلح وصلح:

تسمى الفترة بين صلح وصلح بـ(العشر السوالف)، وهي عشرة أيام، فإذا كان بين قبيلتين ثأر ثم عقد صلح بينهما، ثم انتهت مدة الصلح، فإذا أخذت القبيلة التي عليها الثأر حقها وقتلت القاتل أو شخصًا من قبيلته خلال العشر الأيام بعد انتهاء الصلح وقبل إبرام صلح جديد، يعدُّ القاتل غير معيب، وقد أخذ بحقه[٥٩].

د. قتل السعيف:

يعد قاتل السعيف معيبًا، ويسقط اعتباره عند أفراد المجتمع القبلي، وعقوبته مغلَّظة، أكثر من قتيل، ومتبوع بالقصاص بالقتل، وما يصدر ضده من أحكام.

هـ. القتل الخطأ:

مثلاً إذا كان بين قبيلتين ثأر، وأرادت القبيلة التي لها الثأر أن تأخذ بثأرها، لكنها أخطأت فقتلتْ شخصًا من قبيلة أخرى، فلا يتم الصلح بين هاتين القبيلتين حتى يتم النقاء من قبل قبيلة القاتل، وذلك بقتل القاتل أو أحد أفراد قبيلتهم بأنفسهم، فيتفق مقادمة القبيلة على شخص ليتم قتله تكفيرًا لذلك الخطأ، شريطة ألاَّ يكون ابن زنا إلا إذا كان هو القاتل، ثم بعد تنفيذ ذلك يتم تبليغ القبائل أنه قد تم النقاء، بعد ذلك يتم الصلح بين القبيلتين[٦٠]. وقَتلُ النقاء وُضِعَ صونًا للفخيذة والقبيلة من التناحر والتمزق.

و. قتل المرأة عمداً:

قتل المرأة بغير سبب عقابه قتل سبعة رجال من أبناء قبيلة القاتل بمن فيهم القاتل نفسه[٦١].

ز. قتل الطفل:

تحرِّم الأعراف قتل الصبي في أي ظرف كان، فقاتل الطفل يهدر دمه، وينظر إليه بنظرات السخط والازدراء[٦٢].

وهناك سوارح حتى في قتل الحيوان، منها:

أ. قتل ناقة من قبل بعير: فإذا ثبت ذلك، فالحكم بأن يثمَّن البعير، ويأخذ صاحبه نصف ثمنه، والنصف الآخر يُعطَى لصاحب الناقة[٦٣].

ب. ضرب الناقة حتى قتلها: إذا قام أحد الأشخاص بضرب ناقة أحد الأشخاص، لأي سبب كان متعمِّدًا حتى ماتت، يحُكَم عليه بدفع ثمن ثماني نوق لصاحب الناقة المقتولة[٦٤].

٢) السوارح في الضرب:

- إذا ضرب الزوج زوجته بكف اليد عليه أن يدفع لها خمسة قروش.
- وإذا لكمها بلكم عليه أن يدفع لها قرشًا واحدًا[٦٥].

٣) السوارح في السب:

- **سارحة الرخص:** إذا سب أحدُ أفراد القبيلة شخصًا، يحكم عليه أن يَطْلق عليه ما هو موجود في يده[٦٦].

٤) السوارح في السرقة:

• سرقة الخريف: ومن يتم ضبطهم متلبسين بالسرقة من شرَّاح النخيل، يتم ربطهم في أحد النخيل إلى أن يأتي الطبين[٦٧] ليعاقبه أو يسامحه.

ثالثًا: سوارح الأحوال المدنية وعلاقات المجتمع القبلي:

وتشمل السوارح في الضيافة والزواج والختان والطلاق ورعاية الأبناء وغير ذلك:

١. سوارح الضيافة:

عندما يحل المقدَّم وجماعته ضيفًا، له ذبيحة على أن يكون طلي عناق، سنُّه من حول فما فوق. وعندما تكون الذبيحة للعشاء فعلى المقدَّم وجماعته أن يغادروا صباحًا، ولا ينتظروا قهوة أو فطورًا؛ وإن كانت للغداء فلا يجلسون للعشاء.

قانون الذبيحة:

تعطى الذبيحة للمقدم وجماعته، فيقومون بذبحها وقسمة اللحم ويردُّون الثلث لأهل الدار، ويسمى (المردود)، وإذا كان هناك خطأ في قسمة اللحم هناك سارحة تلزم المقدم وجماعته بالتعويض عن الذبيحة.

من السوارح في البادية الذبح للضيف، لكن عند بيت عمرو والأحموم إذا قدَّموا ضيوفًا على شخص، وليس عنده ذبيحة يقدِّمها لهم، وقدَّم لهم تمرًا مع سليط سمسم، يعد هذا التمر والسليط غذاء وضيافة ولا يرد. فأصبحت هذه سارحة من سوارح الأحموم[٦٨]. وهذا يدل على مرونة هذه السوارح وتكيُّفها حسب الأحوال.

• ومن السوارح في موسم الخريف على مُلاَّك الغياض تقديم التمر للضيوف إكرامًا لهم، بشرط أن يكون غير شريك[٦٩].

٢. سوارح الختان:

من عادات القبائل بشكل عام، والأحموم بشكل خاص الختان لذكورها في سن الشباب، غالبًا من سن الخامسة عشرة فما فوق، ويتم لهذه السوارح مهرجان يسمى بـ(حراوة الختان)، يتم الإعداد له جيداً من خلال تحديد موعد ومكان حراوة الختان، والشباب الذين سيتم ختانهم، وإعدادهم لهذا المهرجان من خلال تلقينهم أبياتًا من الشعر قبل المراسيم لإلقائها في الحراوة، ومن لا يستطيع حفظ الشعر عليه أن يسلسل نسبه إلى أعلى جد.

ويتم تنصيب منصة الختان، وتسمى (مقعدة)، وهناك من يقوم بتقييم الشباب الذين سيتم ختانهم، من خلال مراقبة حركاتهم من خوف أو تلعثم أو ارتباك، وكذا تقويم قصائدهم الشعرية إن كانت غير مرتبة وغير ذلك.

وعند بداية (حراوة الختان) يتقدم الشاب المراد ختانه نحو المنصة وهو يحمل جنبيتين بيديه، وهما مرفوعتان بكل يد جنبية، وهو يسرد أبياتًا من الشعر أو يسلسل نسبه، وهو يتقدم نحو درجات منصة الختان (المقعدة)، فيصعدها حتى يصل أعلى درجاتها، عند ذلك يتوقف عن قول الشعر الذي لُقِّنَهُ قبل ذلك أو سرد النسب، ويجلس للختان، وتُغَطَّى عورته عن المشاهدين، فلا يرون منه إلا صدره وما فوق، ويكون الخاتن في الأسفل.



ويتم تقييم الختان من قبل النقَّاد، فمجرد أن تُرى من هذا الشاب أي حركة وإن كانت يسيرة يُعَابُ بها، كغض الطرف، أو العض على الشفة تألُّمًا[٧٠]، ثم يسرح بعدالتهم أو

101
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



بعدمها شعراً، لذا لابد أن يكون الناقد من الشعراء المتمكِّنين. ومن الأبيات الشعرية التي قيلت في مثل هذا المهرجان:

إن حيكيتوا في الوليد دف عينه ما احتكم

عند الختان ما صبر يوم ذلح عليه الدم

ومن أشهر من يسرِّح في الختان سعيد بن مبارك الشنيني، قبل حوالي ١١٠ سنة[٧١].

٣. سوارح الزواج في البادية:

من عادات البدو أنهم لا يزوِّجون الحضري ببنت القبائل، بل يتم الزواج فيما بينهم.

يتقدم العريس أو أبوه ويخطب البنت من أبيها، فيتفقون على المهر، ويقيمون الحراوة بدون علم البنت.

وتختلف عادات الزواج في البوادي عن القرى، حيث يصل عدد أيام الزواج في القرى أياماً عدَّةً، أقصاها ثمانية أيام، ثم قلَّتْ إلى سبعة، ثم إلى خمسة، ثم إلى ثلاثة، وأخيراً يوم واحد، وكلها على الحراوة والربوط ليلة، وقصباة ليلة والليلة الأخيرة الزف، وهو قريب من زواج المدينة[٧٢]. أما في البادية فإن سوارح الزواج تكون على النحو الآتي:

أ. الربوط:

عادةً ما يكون الربوط الصبح قبل أن تسرح البنت للمرعي، ويتجمع (الربَّاطة)[٧٣] من الليل، ويقام لهم عشاء فيه ذبح وقدح، وفي الصباح يسرحون بالعراوس إلى مكان الحراوة.

ب. الحراوة:

يتم الزواج في البادية غالباً بصورة جماعية، حيث يتم تجميع العراوس من مناطق مختلفة إلى مكان فيه ماء، كل عروس تصبح بزامل، وبعض المقادمة يصبحون بزوامل، والقبائل بالزوامل، ويعملون صفًا، وكل صف يرحب بالصف الآخر، وعندما تأتي مجموعة من الصفوف تعمل دائرة، وتسمى هذه الدائرة (محرس)، حيث يتم فيه الرقص بطريقة معينة بالجنبية، ويطلقون النار من فوق الرأس، وتتم بعض الشروحات.

وعندما تأتي الصفوف والقبائل إلى مكان الحراوة يكون مع كل صف شاعر، ويأتي حسب الطلب، أو يكون هذا الشاعر منسوباً للقبيلة، فيأتي بقصائد مدح، ويطلب من أهل الحراوة (ترحوبة)، وأهل الحراوة يرحبون به.

وبعد الترحوبة يجلسون ويعطى لكل قبيلة أو صف عدَّة القهوة التي تشمل: المنحاز، الصفرية (الوعاء)، المحماس، وفناجين، وبُن وزنجبيل، من قبل أصحاب الحراوة، حيث يتم توفير هذه العدد، كما يطبخون لهم غداء أرزاً ولحماً، وتمر وقهوة للبسط والعشاء، أو تمر وسليط معصر، وذلك حسب الظروف والإمكانيات[٧٤].

أما البدو في الجبال فيضعون العرسان في الجهة الجنوبية من المحرس، أما في القرى القريبة كحلفون ويضغط والمعيملة فيضعون العرسان وسط المحرس لابسين زي العرسان وبجنبية من نوع العابدي، ودسمال، وعمامة على الرأس ولمشة (سيف) على الكتف.

ولا يكون ثمَّةَ اختلاط بين الرجال والنساء، حيث تجلس النساء تحت شجرة ويبتعدن عن الرجال، ويغطين العراوس بقماش شبه شفاف (شيَّل)، ولهن صوت شرحي يتغنَّينُ به. أما لباس العروس فيتكون من ثوب مصبون بالنيل، وعادة البدو الذين كان عندهم عبيد، مثل بيت علي، وبيت البصيلي، وغيرهم، يعطى ثوب البنت (العروس) للجارية.

بعد الحراوة يذهب الجميع كُلٌّ إلى أرضه، أما العراوس فيخرجْنَ من خدورهن وبعضهنَّ يشترحن، ويسمى هذا الشرح بـ(شرح العراوس)، وبعد الحراوة يذهبْنَ مع أهلهن.

ج. الذهاب إلى المرعى:

وفي اليوم الثالث تسرح كل عروس بغنمها إلى المرعى، وهي عارفة من هو زوجها، لأنه عند ربطها يقول لها ولي أمرها أنتِ مربوطة على فلان بن فلان. وفي اليوم الثالث والرابع يتبعها زوجها إلى المرعى، ويطلب منها الموافقة على الزواج، إذا رغبتْ فيه تطلب منه (فنون)، والفنون عبارة عن طلبات وهدايا تطلبها العروس من عريسها لإهدائها إلى أهلها، مثل فوطة أو صبيغة لعمها وبعض أهلها؛ إذ تحُدَّد بعض الأشياء الخفيفة.

د. عقد النكاح وتكوين أسرة جديدة:

وإذا قبل العريس تلبية هذه الطلبات ذهب إلى أبيها، ويذهبون إلى المأذون لإتمام العقد، ثم يرجع إلى بيت أهلها، فأهلها يفندون لها نصيبًا من الغنم، وتعطى لها مكيل[٧٥] صغيرة ويتبعونها إلى بيت زوجها، وفي بيت أبي الكلان (الزوج)، يفندون للعريس دارًا جديدة أو جزءًا من الدار، ويفندون له نصيبه من الغنم، حيث يتم فصلهم عن الأسرة، ويعتبر العريس مسؤولاً مسؤولية كاملة عن زوجته.

٤. سوارح أخرى:

- **من السوارح:** على المرأة التي تمتلك مجموعة من الحيوانات، فإن أولاد هذه الأغنام من الذكور، وكذلك العوراء والقرناء (مقطوعة القرن) هي حق للزوج[٧٦].
- **من السوارح:** إذا طرد الزوج زوجته وأراد استرجاعها، يذبح رأس غنم من حقها، ثم يتحاكمون عند المقدَّم، وعند معرفة الخاطئ منهما عليه أن يدفع قيمة الذبيحة[٧٧].
- **من السوارح (لزم):** إذا ظُلِمَ أحد أفراد القبيلة من شخص من قبيلة أخرى، وله أصهار ونسب في قبيلة الظالم، يكلف النسيب بإرجاع حق المظلوم (كالخال على سبيل المثال)[٧٨].
- **سوارح الزيارات الدينية:** تسهم قبائل الأحموم في الزيارات



الدينية[٧٩] بتقديم التمور للمشايخ والمناصب من آل باغشوة وباعباد وباوزير وضيوفهم الزُّوَّار؛ إذ يسهم بذلك العليي والغرابي بدرجة أساسية. والمشاركة بالزوامل وإطلاق الأعيرة النارية في الهواء، والمسابقة على رماية لأهداف بالأعيرة النارية، وتحمُّل جانب من إعدادات هذه الزيارات والغذاءات. أما الحراسات فيتحملها الأحموم، وبالأخص الغرابي والعليي؛ إذ إنَّ كل الناس في وجوه هاتين القبيلتين، كما يقومون بمنع لعب القمار، وغير ذلك.

رابعًا: سوارح العائدات:

وهي السوارح الخاصة بعائدات قبائل الأحموم بما تفرضه من جبايات متوارثة مقابل تسيير القوافل والأفراد المتنقلين في أراضيها، وخفارة السفن في موانئها، وما تفرضه من كيلة لحراسة المزارع والثمار.

وهذه الجبايات موروثة على مناطق نفوذهم الممتدة من الشحر إلى مشارف مصب وادي المسيلة بالقرب من سيحوت شرقًا بطول الشريط الساحلي غربًا، ومن شاطئ البحر جنوبًا إلى غيل بن يمين ومشارف وادي حضرموت شمالاً، وهذه المصادر الموروثة تتمثل في الجبايات التي تفرضها القبيلة على المزارع والبحر ونشاطات اجتماعية في القرى المختلفة[٨٠].

وتتمثل هذه العوائد في:

١) الخفارة:

الخفر: هو حراسة السواحل والسفن وقوارب الصيد والمعدات، وهذه العادة على قوارب الصيد وعلى السفن التي ترسو في مقرة والقرن، والطريقة هي:

أ- الخفر على قوارب الصيد في ميناء القرن ومقرة:

• يؤخذ على كل قاربٍ يعمل في الصيد ريال واحد ورطل بُن بشرط ألا يكون القارب من قوارب الحامي أو الديس، فقوارب الحامي والديس لا يؤخذ عليهم شيء من خفر، إنما على قوارب المشقاص والشحر وغيرها مثل شحير وروكب والمكلا وبروم.

• على البادية حراسة القوارب ومعداتها مدة إقامتهم في تلك المنطقة ولو لسنة كاملة.

ب- الخفر على السفن في ميناء القرن ومقرة:

هذه الخفارة تؤخذ على السفن الأجنبية التي هي تابعة لبلدان أخرى عندما ترسو بميناء القرن أو مقرة، وتريد أن تحمِّل (فرم) أو أحجار براق.

• للبادية على كل سفينة خمسة ريالات ورطل بُن.

• على البادية أن يضعوا رجلاً واحداً منهم يبقى حارساً على البحارة وأدواتهم مدة إقامة القارب، وله مصروفه اليومي مثل بحارة السفينة.

. . وهذه العادة بقيت مستمرة حتى عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) تقريبًا[٨١].

ويقوم بهذه المهمة بيت علي، وإذا تغيبوا يحل محلهم الغرابي له أو عليه، وعندما رأى العليي أن المطالب عليه كثيرة والسواحل طويلة، طلب إشراك السباعي في الخفر مع البحسني، هذه القبائل الثلاث لها في القرن ومقرة مجدوح وخفر، وتقسم هذه العادة بينهم أثلاثًا، إذا حضر بعض أفراد القبائل الثلاث، ومَنْ تأخَّر منهم فليس له شيء مما تسلَّمه الحاضر منهم[٨٢]. وكان آل السباعي معفيين من الرسوم الجمركية مقابل نقل بضائعهم من القرن إلى الديس كعادة أو سارحة، وهذا امتياز خاص للقبيلة[٨٣].

٢) الشراحة:

هي حراسة الزرع والثمار كالنخيل أو الحبوب، ومقابل الشراحة تعطى للشرَّاح الكيلة، وهي مكاييل محددة من تلك الزروع والثمار، وخاصة التمور في نهاية الموسم.

غالب القبائل الموجودة هي التي تقوم بشرح الزرع، وغالب الشراحات تتوزَّع على مواقع القبائل، مثلاً: في الحامي: العليي والبحسني، وفي حمم وحلفون: العليي والغرابي، وفي عسد: العجيلي والجمحي، وهكذا.

ومن نماذج الشراحات:

أ. الشراحة في معيان الصيق:

أما في الصيق فشرحاته مقسمة، ومن ضمنها شرحاة بَحْسَن، وشرحاة بن النقش الغرابي، ويقوم الشرَّاح بحماية الخريف من اعتداءات بعض البدو الذين يقومون بقطع الخريف وسرقته؛ إذ يقوم الشرَّاح بمنع الناس من النزول إلى الصيق من بعد المغرب باستثناء من يقومون بري الأرض، ويتجول الشرحُ بأسلحتهم لمنع أي اعتداءات أو سرقات للخريف، وفي الصباح الباكر يسمح للناس بالدخول إلى الصيق، حيث ترى



الصيق

الأطفال الصغار مستعدين للدخول لالتقاط الثمار المتساقطة تحت أشجار النخيل والزيتون والرمان... إلخ.

• **شراحة بحسن في معيان الصيق:**

لبحسن شراحة في معيان الصيق بالديس وقت الخريف، لهم من التمر ما يقارب البهار[٨٤]، وعليهم أن يضعوا أفراداً منهم لحراسة النخل، وقد استمرت هذه العادة إلى قرب عام ١٩٤٦م تقريبًا، فحصلت بينهم وبين أرباب المال منازعات، وبعدها توقف بحسن من تلقاء أنفسهم عن تسلُّم هذه العادة حتى يومنا هذا. وأظن أن توقفهم كان بسبب الرعايا الذين كانوا يطالبونهم بالجلوس مدة الخريف لحراسة المعيان، والعادة تقضي بأن كل شيء يحدث في الخريف من سرقة أو إهمال يكونون مسؤولين به، ويظهر أن بحسن خافوا من المسؤولية وداخلهم الشك في الرعايا من أنهم سيقومون بقطع الخريف خفية ويطالبون بحسن بالتعويض[٨٥].

• **شرحاة بن النقش الغرابي في معيان الصيق:**

وهذه الشرحاة في جرب الديني في الغريفة، وقد منعها عبدالله سعد مشرقي عام ١٩٧٠م[٨٦].

ب. الشراحة في حلفون:

وغيضة حلفون هي أوقاف الشيخ عبد الله محمد بن أبي عبَّاد المشهور بالقديم (٦١٦ - ٦٨٧ هـ/ ١٢١٩ - ١٢٨٩م)، وهي ١٦ فردة، منها ١٣ فردة للشيخ باعباد، وثلاث فرد مقابل الشرحاة[٨٧]. وكانت كيلة الشرحاة سائدة إلى عام ١٩٦٧م[٨٨].

ج. الشراحة في غيضة حمم:

غيضة حمم هي من أملاك بيت العليي والغرابي مناصفة بينهم، بالنسبة للشرَّاح في الغيضة عددهم تسعة شرَح، خمسة من بيت غراب وأربعة من بيت علي يتداولونها كل سنة أشخاص معينون كلٌّ حسب بيته وحسب ملكه في الغيضة.

وطبيعة الشرحاة عندما يبدأ نضوج الخريف يحضر الشرح فيمنعون الناس من دخول الغيضة قبل شروق الشمس، ويمنعون الجلوس في الغيضة بعد الغروب حيث يصيح الشراح:



قناة ينبوع الصيق

(واغابت محجورة) فيخرج الناس، وفي الصباح يسمحون للناس بالدخول. والشرح في الغيضة مسؤوليتهم عن الغيضة بالكامل وعن كل ما هو موجود فيها ولو سكِّينًا، ولكل شارح عشاء يتكون من (مغديل)[٨٩] تمر يحضره الحراث، حيث إن كل حراث يسلم الشارح الذي عنده مغديل تمر، حيث يوجد ثمانية حرث، اثنان من الحرث يتحملون ثلاثة من الشرح، ويسمى الربع (العكي) مقسوم ثلاثة أقسام وهو لبيت الفري.

ومن سوارح الشرحاة في حمم:

• أنه لا يحق للشارح طلوع أي نخلة، وإنما يحمل عوداً مذلقًا إذا أراد أي تمرة لأكلها فقط يأخذها بهذا العود المذلق.

• أن غيضة حمم في موسم الخريف تصبح مكانًا تتجمع فيه قبائل الأحموم وتحل فيها الكثير من القضايا، حيث تلتقي على الخريف قبائل الغرابي والعليبي وغيرها من القبائل، وكل من له قضية يقدمها عند المقادمة، ولها (محوذ) وهو المكان الذي توضع فيه عُدَّة القهوة للشرح، حيث يكون هذا المكان الملتقى، وتُحَلُّ فيه قضايا الناس. وكان الشراح يقيمون حلقات الشرح في الليل، ويسري لها الناس من المناطق المجاورة لا سيما حلفون.

• ومن السوارح ذبيحة ملزمة لمقدم العليي والغرابي والعبيدي والشيخ بن حسين باعباد على حساب الشرح وقت الخريف، وعلى الحرث في غير الخريف مرة واحدة في السنة.

• ومن سوارح وعادات حمم في سبع من نجم القلب، وكذا في

105
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م


حلفون

نجم الشول يتم (تخبير)[٩٠]، ثم قطع الخريف وعادةً يكون في نجم البلدة. وبعد قطع الخريف يعطى للشراح شيء معين من التمر، ويتم تحضير (البهشة) حيث يجتمع الشراح عند الشيخ باغشوة، ولهم ذبيحة ويتم إقرار زيارة حلفون.

• ومن السوارح إذا دخلت أي شاة إلى الغيضة يتم ذبحها من قبل الشراح، وإذا ضاع على أي إنسان أي شيء في الغيضة يقوم الشراح بتحضيره[٩١].

• ويتم تحديد موسم قطع الخريف (القطيع) في وقت واحد من ٨ - ١٠ من نجم البلدة؛ لأجل أن يتجمع الناس ليأخذ كلٌّ نصيبه؛ ويعلن عن يوم القطع (الحشيش)، وبعد القطع يتم تجفيف (تبروح) التمر في الدروع من ١٤ - ١٥ يومًا، ثم الرزم، ويسمى بيوم الرزامة[٩٢].

٣) الجرف (الجريف):

في موسم العَيد (الساردين)، وغالبًا ما يوافق ذلك وقت الخريف، فبعد أن يقوم الصيادون بتبريح العيد لتجفيفها وتحويلها إلى (وزيف)، فيصبح مقادمة بيت علي وبيت غراب على الجريف فيقومون بخط بالعود في العيد، ويقتطع له جزءٌ منها ويقول هذه حقنا، ولا يقدر صاحب المال الرفض فهي إتاوة إجبارية[٩٣].

ومن سوارح الجريف إنه خلال الأيام الأربعة الأولى من تبروح العيد أنَّ أي حمومي يريد أن يشتري العيد بعد بيعها يكون الأحمومي شريكًا للمشتري الأول في الشراء ويدفع القيمة، ولكن إذا تجاوزت الأربعة الأيام الأولى من التجفيف تكون للمشتري الأول[٩٤].

٤) الجدوح:

وهي الضريبة على صنابيق الصيد بدفع كمية محددة من السمك، وعلى الأسماك المجففة، مقابل حماية الشواطئ. كان الأحموم يؤمِّنون الشريط الساحلي للمشقاص ولهم جدوح على طول الشريط الساحلي، في مواسم معينة[٩٥]، فمثلاً على كل قاربٍ يعمل في القرن ومقرة عليه عطف عيد أو حوت صيد - إذا هو شاحن - أما إذا لم يشحن فلهم خصار فقط، أي خصار قوتهم[٩٦].

نقل لي الأخ عبدالله صالح النقش الغرابي عن عوض سالم بن غبيش الغرابي بأن الجدوح والكيل للقبائل وخاصة العليي والغرابي، ليست هبة عادية وإنما هي مقابل حماية الشواطئ، فهناك أربعون نفراً من قبيلتي العليي والغرابي يقومون بحراسة الشواطئ والسواحل وما يخص الصيادين من قوارب وشباك وغير ذلك، فمثلاً بيت عميران سلبَ منهم المهرة قاربهَم وأخرجوهم في معاوز إلى البر، و جاءُوا إلى مقدم بيت غراب يشكون له ما حصل لهم، فأرسل معهم خمسة من بيت غراب من بيت الفرج ثمَّ ذهبوا إلى المهرة وبحثوا عن هؤلاء اللصوص إلى أن وجدوا القاربَ، وتمَّ ردُّه لأصحابه. ومقابل هذه المهمة على كل قارب يخرج من البحر يعطي هؤلاء حوت صيد، إذ تعد هذه الشواطئ تحت حماية الأحموم وسيطرتهم[٩٧].

وفي (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) بعد تعيين المستر هارولد وليام إنجرامس مستر قرامص - مستشاراً سياسيًا للحكومة البريطانية في المكلا زار مدينة الديس، وألغى في هذه الزيارة الأتاوات العرفية التي كانت تفرضها القبائل، وهو ما يعرف بحق الجدح على الصيادين والشراحة على ملاَّك النخيل، بالمقابل فتح الباب لاستيعاب أعداد من أبناء هذه القبائل ضمن جيش البادية والوظيفة الحكومية تمهيداً لنقلهم إلى طور المجتمع المدني ودمجهم فيه[٩٨].

الهوامش:

٤٦) البكري، عبد الخالق محمد صالح (القبيلة في ساحل حضرموت)، ص ٢.

٤٧) راجع سوارح نظام الحكم في موضوع تصنيف السوارح من بحثنا هذا.

٤٨) الشديدة: مندوبو ديار القبيلة.

٤٩) مقابلة مع المقدم سالم سالمين الشنيني الجمعة ١٥ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٥٠) العدايل والوثور: هي عرابين مجزية لضمان تنفيذ الحكم.

٥١) الملاحي، عبدالرحمن بن عبدالكريم (تاريخ الصراع الحمومي القعيطي...) مصدر سابق، ص ٢١٣.

٥٢) المرجع السابق، ص ٢١٣.

٥٣) تقدمة بيت علي في دار بني قحطان، وهو أول مقدم تواتر ذكر اسمه كمقدم لبيت علي، ثم تولى بعده ابنه عجلان، ثمّ سالمين بن حسن، وهكذا .... وممن تولى التقدمة في بيت علي المقدم حبريش ولما قتل تولى بعده ابنه علي ولما توفى علي بن حبريش تولى بعده فرج بن كرامه أبو سالمين بن فرج وبعده أحمد بن حبريش وبعده علي بن أحمد بن حبريش بعده سالمين بن فرج مؤقتاً بعده سعد بن أحمد بن حبريش بعده عمرو بن علي بن حبريش. (المصدر: سليم سعد الشنيني تواصل ٣٠/ ١١/ ٢٠٢١م).

٥٤) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٥٥) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٥٦) المصدر السابق.

٥٧) المصدر السابق.

٥٨) المصدر السابق.

٥٩) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٦٠) المصدر السابق.

٦١) الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم (الدلالات الاجتماعية..) مصدر سابق، ص ٥١.

٦٢) المصد السابق ص ٥٢.

٦٣) المقدم عوض القصير سعد الغرابي ٢٢/ ١١/ ٢٠٢١م.

٦٤) المرجع السابق.

٦٥) مقابلة مع المقدم سالم سالمين الشنيني الجمعة ١٥ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٦٦) المصدر السابق.

٦٧) الطبين: جمعها طبانة، والمقصود بهم هنا ملاك الأرض.

٦٨) لقاء مع المقدم عوض القصير سعد الغرابي بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٢١م.

٦٩) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٧٠) المطري، بورح سبيتي بن دري (قصيدة الختان في التراث المشقاصي)، مجلة حضرموت الثقافية العدد (١٣)، ص ٦٥.

٧١) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٧٢) لقاء مع المقدم عبد الله صالح النقش الغرابي ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م.

٧٣) الربَّاطة: الذين يضربون بالبنادق على الربوط.

٧٤) لقاء مع المقدم عبد الله صالح النقش الغرابي ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م.

٧٥) المكيل: هي الحصير من الخوص.

٧٦) مقابلة مع المقدم سالم سالمين الشنيني الجمعة ١٥ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٧٧) المرجع السابق.

٧٨) المرجع السابق.

٧٩) من أشهر هذه الزيارات: زيارة حلفون للشيخ عبد الله بن عبدالرحمن باغشوة، وزيارة بنشوع للشيخ محمد بن عبد الرحمن الملقب (بن شوع) في هبورك، وزيارة معبر.

٨٠) الملاحي، عبدالرحمن بن عبدالكريم (تاريخ الصراع الحمومي القعيطي...) مصدر سابق، ص ٢٥٣.

٨١) وثيقة (عوائد البادية بالحامي والديس بإمضاء بدر أحمد الكسادي) من وثائق السلطنة القعيطية تحت عنوان ١٣ / سري / ٩، نشرت ضمن وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت بحث (الطابع الاقتصادي العفوي والانتفاضات القبلية..) للأستاذ سالم الخضر، ص ١١٩.

٨٢) وثيقة (عوائد البادية بالحامي والديس بإمضاء بدر أحمد الكسادي) مرجع سابق، ص ١١٩.

٨٣) آل شماخ السباعي (عادل بحر، صالح علي، صالح سعيد) وعوض علي الشقري بتاريخ ٢٤ / ٩ / ٢٠١٠م.

٨٤) البهار يساوي ٣٠٠ رطل.

٨٥) وثيقة (عوائد البادية بالحامي و الديس بإمضاء بدر أحمد الكسادي) مرجع سابق، ص ١١٩.

٨٦) لقاء مع المقدم عبد الله صالح النقش الغرابي ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م.

٨٧) لقاء مع الشيخ عبدالله كرامة باعبَّاد بتاريخ ١٢ / ٦ / ٢٠٢٠م في بيته بحلفون.

٨٨) لقاء مع الشيخ البرك سالم النموري.

٨٩) المغديل: عبارة عن شاية أي وعاء مصنوع من الخوص المسفوف بطريقة معينة.

٩٠) التخبير: هو وضع شوال على الخيل من البسر

٩١) لقاء مع المقدم عبدالله صالح النقش الغرابي ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م.

٩٢) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٩٣) لقاء مع الشيخ البرك سالم النموري.

٩٤) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٩٥) المصدر السابق.

٩٦) وثيقة (عوائد البادية بالحامي والديس بإمضاء بدر أحمد الكسادي) مرجع سابق، ص ١١٩.

٩٧) لقاء مع المقدم عبد الله صالح النقش الغرابي ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م.

٩٨) أبو بدر محمد عوض الخامر تواصل اجتماعي.

107
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب

ساحل حضرموت (أنموذجًا)

الحلقة (١٢)





أ. عمر خميس بامتيرف



حوت حيم haym

حوت القرش (اللخم) الحيم طوله لا يزيد عن ٥٠٠ سم تقريبًا، وله عظم كبير في مقدمة الرأس طوله لا يتجاوز ١٥٠ سم ويسمى سيفًا، والزعنفتان الظهريتان تعلوان جسمه، والأذنان عريضتان وكبيرتان، وجسمه خشن، عليه طهوة سوداء ضاربة للرمادي الغامق، ومن أعلى جوانبه ظل رمادي مائل للفضي، وبين الزعنفتين الظهريتين وأسفل الجسم ظل أصفر وأبيض ناحية البطن، وله زعنفتان شراعيتان وأخرى جانبية تساعده على نثر الرمل على ظهرها بهدف التخفي والتمويه،

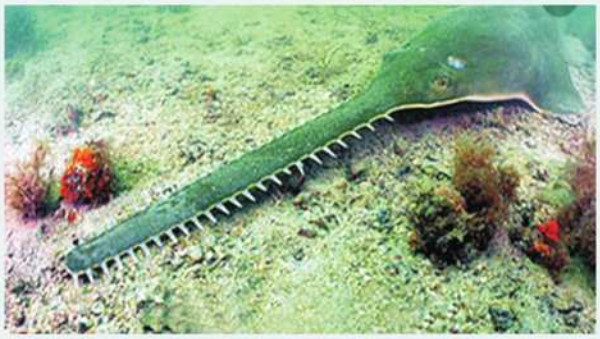
Family : rhinobatidae

الاسم العربي : haym - sharak

الانجليزي:rhinobatos djiddensis

الاسم العلمي : annandalei،s shovelnos ray

والفم أسفل الرأس، وهو من حيتان القرش الطباق الرابض، ويتنفس عبر فتحتين تعلو رأسه خلف العينين مباشرة.



ويسمى أبا منشار لكونه يحتوي على أسنان حادة وغليظة للغاية، تقع في مقدمة الرأس للدفاع عن نفسه، أو لغرض مهاجمة فريسته، كما يستخدم المنشار للحفر في الرمال والطين الضحل بحثًا عن مصدر غذائه، ويصل طول المنشار ثلث حجم طول الحوت الذي يمثل ثلثين، ويمتد من بداية الفم حتى نهاية طرف الذيل، ويعد من الأسماك الغضروفية، وخياشيمه على الجانب السفلي من جسمه والفم والأسنان صغيرة، ويعتمد في غذائه على الأسماك القاعية الصغيرة والمحار والحبار والقشريات الصغيرة خاصة الربيان.

وفي الصورة يحدد الباحث مقاس بعض من عظام حوت الحيم متوسط الحجم.



عرض قعر السيف ١٥سم عرض مقدمة السيف ٥سم عرض منتصف السيف ١٠سم

Hgpdl سيف الحيم siyf al haym طول عظم (سيف) الحيم ١٠٣ سم، وخاصة في مكونات الزعانف والأذنين التجارية الثمينة وغذاء صحي عالي القيمة؛ لاحتوائها على مكونات من بروتين وفيتامين وكالسيوم وسعرات حرارية، وأيضًا على كميات من اوميجا ٣. ومن خصائصه أنه لا يسبب السمنة ولا السكر ولا القلب، ويدخل في صناعات دوائية وتجميلية، ويتبوأ المرتبة الغذائية رقم٢ بعد لحم القطقطة، وعن بقية أنواع اللحم، ولحمه يفضل أن يكون ربيسًا، أوناشفًا مجففًا، أما كبده فيحتوي على أغنى مواد الدهون (الصيفة) في علاج النظر، ويعطيك صحة جيدة وشدة بدنية.



عرض السيف مع النابين الوسطى ١٥سم



عرض السيف مع النابين المتقدمة ٩سم

ويعيش في الأماكن الرملية القريبة من الشواطئ، وغالبًا يكون قريبًا من الحفر العميقة، ومن حين لآخر يتجه حوت الحيم إلى المياه العميقة، التي تصل لأكثر من ثلاثين باعًا؛ خوفًا على حياتها من خطورة وسائل الجرف والشباك القاعية الجائرة، ونادرًا ما يتجه نحو المناطق المرجانية في اتجاه مصبات مياه السيول، وفي الغالب يكون متوافرًا في المناطق الضحلة يتغذى على الربيان، وهو الوقت الذي يوجد فيه في بحر العرب وبحر عمان. وربما أصبح من المحميات في نطاق واسع من بلدان أخرى، ونراه صغير الحجم، وهو قليل الظهور، وأصبح معدومًا إلى حد ما. وعلى ما يقال بأن حوت الحيم ينام طوال فترة النهار ويظهر ليلاً بحثًا عن غذائه من الفقاريات التي يعترضها بضربات السيف، ويعد حوت الحيم من الأسماك الولود بعد مرحلة التزاوج والنضج الجنسي بين الذكر والأنثى، ويعمل الذكر على تخصيب البيض في الأنثى ليخرج من الغشاء الرحمي عبر

مشيمتين، وصغار الحوت عبارة عن مواليد حديثي العهد، كل منها بمنشاره، وغذاؤه المح الملاصق بالصر أسفل البطن، وقد تعرضت للانقراض، واختفى هذا النوع من بحر حضرموت منذُ أعوامٍ طويلة، إلا في حالات نادرة، وآخر مرة تم اصطياد حوت الحيم في بحر روكب سنة ١٩٧٦م من قبل الربان فرج محمد بن قرمان (رحمه الله) وتحديداً بوسيلة الشكة من حفرة الرقل، مقابل مطلع السيارات، غرب ثغر (عيقة) خور الروينة بروكب، وعلى ما يبدو يمكن العثور عليه خاصةً في اتجاه المهرة، وحوت الحيم مشهور بسيفه الضارب للخصم. ومن اهتمامات الناس واعتقادهم في قديم الزمان التبرك بالأولياء حتى إنهم يحتفظون بالسيف داخل القبة (الضريح) أو في قبر الولي الصالح؛ ظنًّا منهم أن الولي يمتلك سيف حكم وعدالة يعاقب كل من يخالف أو يعتدي على الآخر، حتى إنهم يقسمون اليمين (باسم الله وباسم الولي فلان بن فلان)، سبحان الله! هذا بهتان عظيم، وكان وقتهم يعم بالخير والبركة والرزق اليسير من الأسماك وبمختلف أصنافها ومدهم الله بالصحة والعافية، وهم أصحاب النوايا الحسنة، والله ينظر إلى قلوبهم بالرحمة والمغفرة اللهم ارحمهم واسكنهم جنات النعيم يا رب.

أهمية وجبة زعانف اللخم

من المهم معرفة كيف تصنع وجبة من زعانف (ريش) اللخم الزعانف بعد تجفيفها في وقت نحن لا نعرف عن قيمتها وفوائدها الغذائية، وأنها تصنع منها خيوط العمليات الجراحية ((ويقول المهندس عبد الله بن فاجع العوبثاني (أبو طارق) من حيث النوع والصنف (الذيل، السنام، الجناح)، وهذا المنتج له قيمة اقتصادية كبيرة جداً في دول شرق آسيا خصوصًا والهند، بالإضافة إلى استهلاكه كغذاء فاخر في المرافق السياحية والمطاعم والفنادق الكبيرة كطبق شعبي في المناسبات الخاصة لاحتوائه قيمة غذائية عالية)).

وأقول: إن أطراف (زعانف) حوت القرش مفيدة أكثر من لحمها، ويفضل عدم الاستغناء عن الزعانف الطازجة والمجففة فترة شرائك حوت اللخم من السوق.

طريقة صنع (طهي) زعانف اللخم

من خلال تجربتي في طريقة طبخ الزعانف في مرحلتها الأولى عبر غليها بالماء الساخن حتى تكتمل في نضجها، ثم تترك لفترة عشرين دقيقة حتى يبرد الماء فتصفى الزعانف من الشوائب العالقة بالجسم، ويُحتَفَظ بالمرق، وتسلق الزعانف بعد تنظيف الجلد من الفتاتات الدقيقة الشبيهة بالرمل غير الصالحة للأكل، ومن بعد ذلك يتم استخدم المرق ضمن تكشونة البهارات والفلافل بدلاً من إضافة ماء الحنفية، تلك الطريقة تستخدم في صناعة اللخم الطازج، وهي طريقة طباخة اللحم المجفف بالتعامل نفسه، ونزيد فيها مدة وقت النضج لتصل إلى نصف ساعة، ويفضل أيضًا أن تكون لمرق اللخم أهمية خاصة، وأهمها الزعانف لها وجبة خاصة.

ويقول الدكتور/ عبد الله بن فاجع العوبثاني (أبو طارق): بالنسبة لريش اللخم أو زعانف سمك القرش كما هو معلوم لها أنواع، أهمها:

١- زعنفة الذيل caudal (tail)
٢- الزعنفة الظهرية أو السنام(dorsal fin)
٣- الزعنفة الصدرية (الأذنان). pectoral fin

والزعانف نوعان هلالية ومستقيمة، وطريقة طبخ الزعانف المجففة خاصة للنوع الأبيض عالي القيمة يتم طبخه من قبل أناس متخصصين فيه لمقاييس الماء ودرجة الحرارة والمدة حسب النوع (الذيل، السنام الزعانف الظهرية والأذنان)، ويضاف إليها أنواع البزار (الحواج) الهندية، مثل الكركم، والقرفة، وكلها مطحونة، وبعض من أنواع الشعاب البحرية (seaweeds) بمقادير معلومة عند الطباخ لإعطاء نكهة وأبعاد رائحة الأمونيا التي في الزعنفة مع إضافة بودرة خاصة أيضًا من مكونات بحرية لإعطاء قوام الشربة (مرق سمك القرش)، وأحيانًا لا يضيفون الكركم ما عدا ذلك الباقي كما هو، ويقدم كطبقًا شهيًا غالي الثمن. والزعنفة يتم إبعادها من الطبق المقدم، وفي حالة تقديمه مع الزعنفة فتكون للعرض.

110
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



رقصة المشتري ونشأة كواكب نظامنا الشمسي



طارق بن محمد سكلوع العمودي

عندما أمر الله تعالى أن يتفتق عن شمسنا أول نور مشع منها على فجر الفضاء البهيم حولها؛ كان الكوكب الضخم المشتري قد تشكل، فاتخذ مداره حول الشمس، وهو الكوكب الوحيد الذي استقبل ضوأها؛ إذ كانت كواكب المجموعة الشمسية كلها بما فيها الأرض سحاباتٍ وغباراً فضائيًا في طور التشكل لم تتضح ملامحها بعد.

وضخامة المشتري نتج عنه جاذبية ضخمة كانت ومازالت مصدر تهديد لمن حوله.

ويقول علماء الفلك: إن المشتري قد اتخذ فجأة اتجاهه إلى داخل النظام الشمسي باتجاه الشمس.

وعند اختراقه حزام الكويكبات الشهير، الذي يقع بين المشتري والمريخ تبعثرت بسبب جاذبيته الضخمة تلك الجلاميد الصخرية والكويكبات بشكل كارثي، فمنها اتجه بقوة وسرعة رهيبة إلى داخل الشمس فذابت واختفت، وأخرى قذف بها إلى مجاهيل الفضاء الخارجي عن المجموعة الشمسية.

وفي الوقت نفسه تسبب تدخله العنيف في إعاقة نمو الكواكب واكتمالها، فكان من ضحاياه الكوكب القزم (سيريس)، الذي كان يحوي محيطات ضخمة من المياه المالحة قابعة تحت قشرة ثلجية؛ مما جعله مهياً؛ لأن يرتقي إلى كوكب حي إيجابي، فتحول إلى مجرد صخرة جرداء، وتم إعاقة نموه بسبب اختراق المشتري؛ إذ أبعد عنه المواد اللازمة لاكتمال نموه.

وكذلك بسبب اختراقه أوقف نمو كوكب (المريخ) على ما نشاهده اليوم.

وكاد المشتري أن يواصل دخوله، فيعيق نمو الكواكب الداخلية للنظام الشمسي (عطارد، الزهرة، الأرض)، ويسبب لها

111
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



كوارث ضخمة؛ بحيث ما كان لتكون الأرض على ماهي عليه اليوم. لولا تشكل الكوكب الغازي الضخم الآخر (زحل)، فتدخل هو الآخر بالاتجاه إلى الداخل، فتكون التناغم التجاذبي المداري التراقصي بين الكوكبين الضخمين، فانعكس اتجاههما إلى الخارج؛ حتى استقرا في مدارهما المعلوم اليوم، فكان ذلك طوق نجاة لتلك الكواكب الداخلية.

ويرى العلماء عند الاتجاه العكسي للمشتري إلى الخارج، ومروره للمرة الثانية بحزام الكويكبات قد قذف بمجموعة منها إلى الداخل، وكثير منها محمل بالمياه الضخمة، فاصطدم عدد منها بالأرض، ومنها تكونت ونشأت هذه المحيطات الهائلة من المياه على الأرض بما يغطي ثلثي مساحتها، وهذا من آثار المشتري في الأرض.

ويرى العلماء أن للمشتري دوراً بارزاً في إنهاء عصر الديناصورات على الأرض، من خلال تأثير جاذبيته الضخمة على حزام الكويكبات قبل ملايين السنين؛ إذ قذف بأحدها باتجاه الأرض، فكانت كارثة انتهاء عصر الديناصورات في الأرض.

كما كان دومًا لا تؤمن غائلة جاذبيته على كواكب المجموعة الشمسية، بل حتى على المذنَّبات، فكم حاول التأثير في جاذبية كوكب (عطارد) لحثه بقذفه إلى الشمس، ولكن لم يكتب لتلك المحاولة النجاح.

بل أسر المذنَّب الشهير (شوميكر ليفي ٩)، فأوقف طريق اتجاهه إلى داخل المجموعة الشمسية، فجذبه إليه، حتى اصطدم به وتبعثر على سطحه شذر مذر عام ١٩٩٤م، وبقيت أجزاؤه تدور حول المشتري عامين قبل تحطمها على سطحه.

وهكذا كان المشتري ومازال له تأثيره القوي في تحديد ملامح تاريخ نظامنا الشمسي بكل اقتدار.

وكان مسباري (كاسيني) و(جاليليو) قد كشفتا النقاب عن غموض هذا الكوكب الضخم المخيف؛ بما لا يتسع المجال لبسطه في مقالنا هذا.

بل في كثير من تخطيطات (ناسا) عند توجيه مركباتها لأطراف النظام الشمسي أو خارجه، يكون قذفها وتحديد مسارها من طريق جاذبية المشتري؛ لقذفها من خلال مسارات مقدرة محسوبة، فلولا جاذبية المشتري القوية المؤثرة التي يصعب تجاهلها ما كان ليكتب لها النجاح.

أما تأثيراته الضخمة على أقماره المتعددة والتابعة له، وعلى رأسها القمر (ايوا) فتحتاج إلى مقالة أخرى.

كان هذا خلاصة ما قرأته ورأيته وسمعته من آخر النظريات المثيرة الحديثة عن الكوكب الأكبر في مجموعتنا الشمسية (المشتري)، وقد بثثت ما هضمته فهماً في مقالنا هذا.

لقد كانت لرقصة المشتري عند توغله القوي وغزوه العنيف إلى داخل النظام الشمسي ما بيّنا آثاره بحلوه ومره، وكل ذلك بتقدير الله العلي العظيم، وفوق كل ذي علم عليم.

112
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م



قصة قصيرة

من مذكرة أبي



صالح بحرق

كنت في العاشرة من عمري، ألعب مع الصِّبية خلف البيت، فجأة ارتعشت عيني اليمنى، ولم تستقر في مكانها، ظلت تهتز اهتزازات متكررة، حتى ناداني أخي، فدخلت البيت مسرعًا، وتركت ما بيدي من أدوات اللعب، كانت أمي قد أخبرتني أن اهتزاز العين معناه أن هناك هدية لك تنتظرك، وبالفعل وجدتُ أمامي هدية ثمينة، عبارة عن حقيبة مدرسية، بداخلها مجموعة من الدفاتر، أرسلها لي أخي من عدن.

كنت فرحًا بهذه الحقيبة التي اختصرت لي العالم، وأرتني حدود المعرفة الأولى، وأول شخص حدَّثْتُه عنها أمي، أذكر في ذلك اليوم، أنها كانت تُوقِدُ الحطب؛ لتجهز طعام الإفطار من الذرة الخالصة، وضعتْ تلك العيدان وسط التنُّور، وأضرمتْ فيها النار، فغطَّى اللهبُ وجهَها، فاحمرَّتْ جبهتُها، وأشفقْتُ عليها، فدلفت إلى الصالة، وقمْتُ بإخراج الدفاتر، وكان ورقُها من النوع الأصفر، وكانتْ سطورُها مرتَّبة، ولم يكنْ بها أي نُتوءات، ولم تكنْ متلاصقة، وكانت تتحرَّكُ مع دخول الرِّيح إلى الصالة، وقد رصَّت بطريقة عجيبة، ووُضِع عليها حاجزٌ من قماش، حتى لا تتضرَّر من المطر أو نحوه.

قالتْ لي أمي إنه ينبغي عليك منذ الآن، أن تكون فتًى صالحًا، وأنْ تُذَاكِرَ دُرُوسَك، كانتْ تقولُ ذلك بحماس، وهي تضعُ يدَها على كتفي.

لم تكنْ أمِّي تحدِّثُني كثيرًا، كانتْ تَمضِي غالبَ الوقت في العناية بالمنزل، وكان أبي يقضي غالب نهاره في المزرعة، وكانا يَطْمَحَان أنْ أكُونَ طبيبًا، لقد سمعْتُ أبي يقولُ أكثرَ منْ مرَّة: كُنْ ولدًا صالحًا، لا تهتَمَّ بشيءٍ سوَى الدراسة، يومَ أنْ كُنْتُ في سنِّكَ مَنَعُوني من الالتحاق بالمدرسة، وأدْخَلُوا بَدَلاً منِّي ابْنَ السيِّد، أعْرِفُ أنَّهُ لَمْ ينجحْ، لذلك عليك يا ابني بالمذاكرة.

كانتْ أُمِّي تُصْغِي إلى حديث أبي وتبتسم، كان أبي رجلاً قويًّا، كان لا يسمحُ لنا بالسَّهَر، ويقول: إنَّ ساعاتِ الإنسان في الدنيا معدودة، وعليه أنْ يُطيعَ الله.

كان أبي عندما يُصَلِّي، يُطيلُ الصَّلاة، ويَظَلُّ مُدَّات طويلاً واقفًا، وقد أشرقَ وجهُه، حيثُ كانتْ تَصلُني همَسَاتُه وتضرُّعاتُه بصُورَة واضحة، كان وجهُه مستطيلاً، يُغطِّي ذقنَه الشَّيْبُ، وتَبدُو عليه تلك المَهَابَةُ لكنَّهُ شَديدُ الغضب، ولا أستطيعُ أنْ أفسرَّ لماذا يجمعُ بين هاتين الصفتين. أذكُرُ في أثناء جَنْي محصول التَّمْر أنَّهُ ضربَني؛ لأنِّي لَمْ أُحْضِرْ أدوات العمل، كانتْ أُمِّي تقفُ قُبَالَتي ولَمْ تستطعْ أنْ تمنعَه؛ لأنه كاد أنْ يطيح برأسها، لَمْ أُشَاهِدْ أبي عنيفًا إلاَّ في ذلك اليوم، كانتْ أوداجُه تنتفخُ، ويتطايرُ من عينَيْه الشرَرُ، وهو يَصْعَدُ النخلةَ بِثَبَات، وكانَ صَوتُه أجَشَّ،

113
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

لقدْ جنيْنا تمرًا كثيرًا، وفي البيت قام أبي بتقسيم التمرِ إلى أكوام، وأعطى منه للفقراء، وقال: الرحمة ومساعدة الفقراء مطلوبة، لا تدَّخرْ كُلَّ المالِ لك وحدك، أكْثِرْ منَ الدُّعَاءِ وتصدَّقْ. كانَ يقولُ ذلك عندما يكون في غاية السرور.

كُنْتُ قد تركْتُ الصِّبْيَةَ يلعبون خلفَ البيت، وقد التحقَ بهم أخي، سلَّمْتُ الحقيبةَ لأمي، وقالت لي بِضْعَ كلمات: اسمعْ كلامَ والدكَ، ذاكرْ دُرُوسَكَ، ونَمْ مُبكِّرًا.

وأنا أُغلقُ البابَ خلفي شاهدْتُ أبي بقامته الفارعة، كان أخي قد عادَ من اللعب، قال لنا أبي: لا تنسَوُا الذَّهَابَ إلى المسجد، سَأُوْجِعُ ظُهُورَكُمْ بهذي العَصَا، لمْ نَأْتِ إلى هذه الدنيا لنلعب.. أكْثِرُوا منْ ذكرِ الله. ودخلَ حُجرةَ جُلُوسه، جلسَ على السرِّير، وأبعدَ قلنسوتَه (كوفيَّته) عن رأسه، وتسنَّى لي أرى بياضَ ذِراعَيْه، والبُثُورَ التي على وجهه.. كان هادئًا، ينظر إلى نافذتنا الوحيدة، التي تشرفُ على المزارع، ويدخل منها هواءُ الصَّباحِ العَليل، ويتسنَّى لوالدي أنْ ينظرَ إلى أعْوَادِ الذُّرَةِ المُتَمَايِلَة، ويقولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا رزقًا مُبَاركًا، ثُمَّ يذهبُ في نوم القيلولة، ويَسُودُ منزلَنا الهُدُوءُ، فأُطِلُّ على حقيبتي من جديد، وأحْتَضِنُها، راسمًا بدايات مستقبلي.

كُنْتُ أقفُ على حَوْضِ الماء، والمياهُ تجري في وسطه، وتتدافَعُ معَهَا أحلامي الصغيرة، كان لابُدَّ لي أنْ أُحَقِّقَ وصيَّةَ أُمِّي، وأنْ أكُونَ فَتًى صالحًا، فذهبْتُ إلى أخي، وكان نائماً، فأيْقَظْتُـــه، وخرجْنا معًا إلى بَاحَةِ المسجد، قال أخي أظنُّها ستُمطرُ، وما إنْ شرعْنا في الصلاة، حتَّى هطلَ المطرُ، ولمْ نستطع الخُرُوجَ من المسجد، كانت الطريقُ مَليئَةً بالوَحل، والمزاريبُ تسكبُ الماء، لقد كان يُعْجِبُني إلى أبعد الحدود صَوتُ المطر، مشيْنا باتجَّاه جدارِ المدرسة، وتذكَّرْتُ أمي عندما تقومُ بفَتحِ مَسَارِبِ المِيَاه، لتَخرُجَ خارج فناء البيت (الحوش)، لم يكن بالشارعِ منْ أحدٍ إلا الأطفال، لكنَّ أبي لمْ يَدَعْنَا نلعبُ معهم، وقد اشتدَّ في هذه الساعة هُطُولُ المطر، واحتميْتُ بأخي إلى أنْ وصلْنا المنزل.

فدلفْتُ إلى حُجْرَتِي، وبحـثْتُ عن حقيبـتي، فوجدْتُها قـد ابْـتَـلَّـتْ من المطر.

ترانيم مشتاق



سالمين سعيد بنقح

عناني من صدودكِ ما عناني
وذقتُ من الصبابة ما كفاني
وبتُ الليل سهرانًا حزينًا
وقد ضاق المقالُ عن البيانِ
فدتكِ الروح يا "ترياق" قلبي
ويا أنسي ويا سعدَ الزمانِ
فؤادي ليس ينسى عهد ودٍّ
ولو حاولتُ أن أسلو شجاني
فهل وصلٌ لديكِ فتسعفينا
فطيفُ الموت مني اليومَ دانِ!
فأسعف يا حبيبي قلب صبٍّ
مناهُ وصلكم لا شيءَ ثاني
سلامُ الله من قلبٍ مشوقٍ
إلى من جاء من أعلى الجنانِ!
على وجهٍ كنورِ الصبحِ صافٍ
وطرفٍ ناعسٍ بالحبِ وانِ

114
العدد (28)
إبريل
يونيو
2023م

"لك عذر أو لك حمار"



أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

تُروى قصة هذا المثل العربي المشهور بصيغ متعددة لكنها تحمل فكرة واحدة، وغالبًا ما ينسب إلى البطل الفكاهي التاريخي (جحا) فيقال إن جارًا له طلبه في استعارة حماره مرات عديدة، وكان يستحي منه ويعطيه الحمار، إلى أن قرر في نفسه عدم تلبية طلب جاره القادم بأي عذر؛ وفعلا عندما جدد جاره الطلب قال عذره الذي استعد به وهو: (الحمار غير موجود) وفي أثناء ذكره للعذر نهق الحمار، فقال الجار لجحا وهو معزز بالدليل إنه موجود بالداخل عندها تلفظ جحا بما يشبه الاعتراف الصريح بالرفض: (لك عذر أو لك حمار) وبالنص الحضرمي الشعبي "بغيت عذر ولا بغيت حمار" وهو عذر أوهن من بيت العنكبوت.

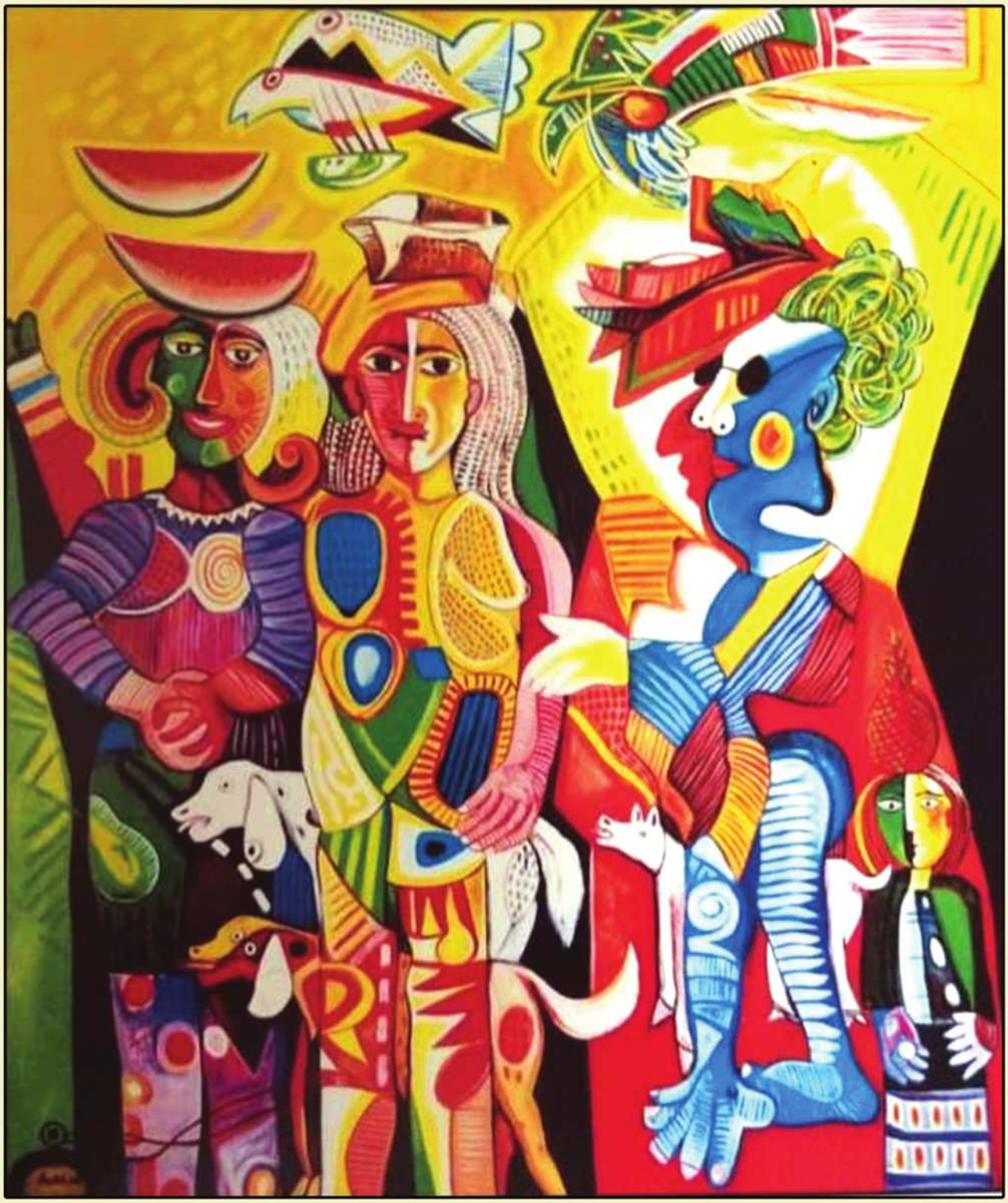
وهكذا تشكلت قصة المثل بجانب زريبة للحمير، والصدفة جعلت الحمار يشهد - ببراءة الأطفال- على صاحبه بالكذب، لكن الموروث العربي الشعبي شفع لجحا كذبته، ونظر إليها بوصفها جزءًا من شخصيته التي تبعث السرور خاصة عندما تذكر في ضمن مغامراته الشعبية الطريفة، لهذا تجد الناس يزيدون على حكاياته أو يحورونها، وأحيانًا يحيلون حكايات تنسب إليه حتى لو كان بريئًا منها براءة حماره من تهمة كشف أسراره.

ولأنه لا يجرؤ أحد على استنساخ عذر جحا المكشوف أو بالأحرى الفج إلا هو، ومن على شاكلته من الحمقى الذين غضبهم قرين لسانهم، فقد تحركت (المقولة) بعد أن سار بها الركبان ليتلفظ بها طرف ثالث غالبًا ما يكون في موضع المشاهد المتابع للذين يكشفون الأكاذيب ويفندون الادعاءات التي تعقبها اقتحامات أو هجمات معادية. فيأتي ترديدهم للمثل بوصفه (حكمة) لخصت زبدة الكلام.

وفي تفاصيل الحياة المتعلقة بعالم الحيوان المتخيل يظهر المثل في قصة الحمل والذئب المشهورة التي اتهم الذئب فيها الحمل بتعكير الماء عليه، وأنه شتمه في العام الماضي، فقدم الحمل أدلته الدامغة الصادقة التي تفند الاتهامات، ومع هذا، وبقانون الغابة اقترب الذئب منه، والتهمه، وكأنه يقول له: (لك عذر أو لك حمار) أو لعل ذلك قيل بلسان حال المستمع الحصيف للقصة الخيالية، وهكذا فإن الغاية الأساسية للقصتين هو حضور العذر الهش وإن اختلفت دوافع الأطراف في القصتين؛ فعند جحا كان الكذب بدافع الحفاظ على الحق، وعند الذئب الكذب للظفر بالباطل.

وإذا عرجنا بالمثل في فضاء التاريخ -دون الدخول في حيثياته- فممكن إسقاطه على أحداث كثيرة، من ذلك عند قيام بريطانيا باحتلال مدينة عدن سنة ١٨٣٩م بعد أن فشلت في إقناع سلطانها ببيعها، وكانت قبل الاحتلال تبحث عن ذريعة أو -لعلها صنعتها - فجاءت حادثة السفينة الشهيرة (داريا دولت) التي تحطمت قبالة سواحل عدن، ونهب السكان المحليون حمولتها، ورغم التزام (الحمل) أقصد السلطان بدفع التعويضات لكن الذئب البريطاني لم يكترث وفعل فعلته التي فعلها، وهنا قد يبرز سؤال افتراضي هو: ماذا لو لم تجد بريطانيا ذريعة السفينة هل ستعود أدراجها؟ في رأيي الشخصي إن المحتل الغاصب في أي مكان إذا لم يجد عذرًا يستره، سيجد نهقة حمار تسنده.

لوحة للفنان التشكيلي: علي غداف



لوحة الفـرح

مركز حضرموت للدراسات التاريخيه والتوثيق والنشر

جائزة أفضل فيلم تسجيلي لعام 2023م

موضوع الجائزة:

المصنعة في حضرموت

المصنعة في حضرموت
جائزة أفضل فيلم تسجيلي 2023



المصنعة صرح معماري فريد، امتازت به حضرموت ويعود تاريخه إلى مئات السنين.. حرص مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر على أن تكون جائزته لأفضل فيلم تسجيلي يعنى بهذا المبنى المنتشر في كثير من مناطق حضرموت، ولصناع الفيلم اختيار الزاوية التي يجدون فيها المحتوى القيم فيما يخص المصنعة.

الشروط العامة للتقدم للمسابقة:

- لا تقل مدة الفيلم عن 5 دقائق ولا تزيد عن 15 دقيقة.
- ألا يكون العمل قد فاز في مسابقة محلية أو خارجية.
- لا يحق للمتقدم المشاركة إلا بعمل واحد فقط.

يتم تحميل الفيلم بدقة عالية على الوسائل المتاحة كاليوتيوب وغيره على رابط مغلق للاطلاع الخاص فقط وإرساله عبر الإيميل الآتي (hadcenter1@gmail.com)، أو تسليمه على (ذاكرة USB) في مقر المركز على العنوان الآتي (حضرموت- المكلا - حي الشهيد - عمارة باشريف)

- الأفلام الفائزة بجوائز المسابقة تصبح ملكاً حصرياً للمركز.
- آخر موعد لاستلام الأعمال 15 سبتمبر 2023.
- موعد إعلان الفائزين بالجوائز ديسمبر 2023م (في حفل خاص)

المستهدفون من هذه الجائزة:

المختصون والمهتمون والهواة في مجال العمل السينمائي والتلفزيوني (فرقاً وأفرادًا).

المعايير الفنية للأفلام التسجيلية المشاركة:

- وضوح فكرة العمل وتميز المعالجة الفنية.
- جودة السيناريو وتماسكه فنياً وتاريخياً.
- دقة التصوير والإضاءة والمونتاج.
- نقاء الصوت (تسجيلاً وتعليقاً وحوارات).
- تناغم المؤثرات الصوتية مع المشاهد التصويرية.

لجنة التحكيم:

سيشرف على التحكيم لجنة فنية مكونة من أساتذة مختصين بصناعة الأفلام.

جوائز المسابقة:

تُمنح الجائزة سنويًا باسم مركز حضرموت للدارسات التاريخية والتوثيق والنشر وهي جائزة تشجيعية ومالية موزعة على النحو الآتي:

الأول

600.000 ستمائة ألف ريال يمني + درع الجائزة

الثاني

400.000 أربعمائة ألف ريال يمني + درع الجائزة

الثالث

300.000 ثلاثمائة ألف ريال يمني + شهادة الجائزة

للاستفسار التواصل على الأرقام الآتية: 135 350 5 967 + واتساب: 491 017 776 967 +